

Khālīs, Ṣalāh

/Muḥammad ibn 'Ammār al-Andalusī

محمد بن عمار الأندلسي

دراسة أدبية تاريخية

لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد
في أشبيلية

تأليف

الدكتور صلاح خالص

مدرس الأدب الأندلسي في كلية الآداب والعلوم
بغداد

مطبعة الهدى - بغداد

١٩٥٧

Near East

PJ
7755
I199
Z7
c.1

~~PJ
7755
I22
Z7
c.1~~

10/1

الاهداء

الى الكافحين في غياهب ظلمات الجهل من أجل نور المعرفة ..
الى المناضلين في أغلال الاستعباد من أجل الحرية ..
رمز تقدير وأعجاب

المؤلف



مجلس

فصل في بيان ما يجب من العلم في كل عصر

فصل في بيان ما يجب من العلم في كل عصر

فصل في بيان ما يجب من العلم في كل عصر

مجلس

مقدمة

كان جديراً بهذا الكتاب أن يظهر بعد دراستين تسبقانه ، تمهيدان له الطريق وتمهيدان له السبيل ، الأولى دراسة تاريخية اجتماعية وسياسية عن فترة ملوك الطوائف في الأندلس ونشوء دولة بني عباد في إشبيلية . والثانية دراسة تفصيلية عن المعتمد بن عباد الإشبيلي ، وهو مركز الحركة الأدبية الأندلسية في النصف الثاني من القرن الخامس ، وقطبها الذي تدور حوله ، والذي له في حياة جل شعراء إشبيلية في هذا العصر أثر غير قليل . ولكن ظروفًا خاصة اضطررنا لنشر هذا الكتاب قبل سابقه وهو كما يرى القارىء ، قائم بذاته وذو وحدة موضوعية كاملة ولم أشأ كما يفعل كثير من الكتاب - أن أطنب في حديث طويل عن بيئة الشاعر الاجتماعية وظروفه التاريخية ، بل آثرت أن اختصر الحديث في هذا الموضوع في الصفحات التالية التي مهدت فيها للبحث ، على أن أترك للدراستين اللتين آمل ظهورهما في الشهور القليلة القادمة مهمة البحث بإسهاب عن البيئة الاجتماعية والظروف السياسية التي أحاطت بالشاعر وأثرت في حياته وفي تكوين مقومات شخصيته .

والكتاب - كما يرى القارىء - قيمان ، أحدهما ، دراسة عن حياة الشاعر وشعره . وأعتقد أن أهمية هذه الدراسة لا ترجع لما فيها من معلومات محققة عن حياة الشاعر وشعره فقط ، وإنما لاسلوب البحث ذاته أيضاً . فقد شاعت منذ مطلع القرن العشرين طريقة سقيمة في دراسة الأدب

والأدباء ، أفقدت الأدب كثيراً من حلاوته وطراوته ، وهي تلك التي اتبعت في جل كتب تاريخ الأدب الحديثة ، والتي يعكف فيها الباحث على الشاعر فيضم كل ما يعثر عليه من أخبار عن حياته بعضه الى البعض الآخر في ترجمة طويلة ، ثم ينتقل بعد ذلك الى شعر الشاعر ، فيقدم نماذج من أغراضه المختلفة معلفاً على كل غرض من هذه الأغراض بما يعن له من خواطر وآراء ، وإذا بالقارى يمر على النصوص مرأ ، ويبدل ما يبدل من جهد لسكى يستوعب الأفكار التي تحتويها والتيارات العاطفية التي تتخللها ، فلا يصل الى ذلك إلا بعد مشقة وعسر قد لا يقوى عليها القارى الاعتيادى ..

أما أسلوبنا هذا الذى انبعثنا فى البحث ، فهو يهدف الى رسم صورة قوية للأديب والتغلغل فى أعماقه ومتابعته فى حياته وملاحظة تطور مشاعره ونفسيته وأخلاقه الناتج عن تطور ظروفه ، وإدراك تأثير كل ذلك فى إنتاجه الأدبى . وهكذا يشاهد القارى مولد النص ويدرك بواعث هذه الولادة وعواملها وظروفها ويستوعب التيارات الشعورية التى اجتاحت نفس الشاعر وملبكت عليه عواطفه ودفعته الى النظم ، ويحسن إحساساً عميقاً بالقوى الملهمة للأديب ويعرف تأثيرها دون مشقة وعسر ، فهى تفرض نفسها عليه فرضاً ثم إن القارى بعد كل هذا يتابع تطور الأديب فى إنتاجه الأدبى ، كما لاحظ تطور حياته ونفسيته وأخلاقه ومشاعره ، ويدرك عوامل هذا التطور فى هذا الانتاج وأسبابها ، فيتحقق الغرض من دراسة تاريخ الأدب إن كل هذه المزايا لا يمكن أن تتحقق بالطريقة السقيمة

الشائعة التي أشرنا إليها .

ولا أزعـم طبعاً ، أنى أول من اتبع هذا الأسلوب فى البحث أو سلك هذا الطريق فى دراسة الأدب ، فقد سبقني الى ذلك أدباء من العرب والغربيين ، وإن كان الأولون قلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، أخص بالذكر منهم الدكتور طه حسين فى كتابه « مع المتنبي » . وأما الغربيون فهذه طريقتهم المثلى وأسلوبهم الشائع فى دراسة أدبائهم . متابعة تطورا دهم وقد حرصت على تقديم ابن عمار إنساناً كبقية البشر ، له محاسنه ومثالبه ، فلم أحاول أن أسبغ عليه ثوباً براقاً من العظمة والمجد ، كما لم أتجه الى النيل منه والخط من قدره ، وإنما حاولت تصويره كما هو ، معتمداً ، أولاً على شعره ، وثانياً على ماوردنا من أخبار وثيقة عن حياته ، فخرست على أن أعيش معه فى طفولته المشردة وصباه المعسر السكثى ، وانتقلت معه فى كفاحه من أجل الحياة الى حين ارتقائه سلم المجد وبلوغه ذروة العظمة والسلسان ، ثم تابعتـه بعد ذلك فى انحداره الفظيع الى درك الذل والأسر حتى بلغه نهايته المفجعة .

ولسكن أهمية دراسة حياة ابن عمار لا تقتصر على كونه إنساناً بحسب ، وإنما تتمدى ذلك الى كونه إنساناً عاش فى عصر معين . ففيه يتعمل جانب مهم جداً من عصره ، بل إننا نرى فى حياته صورة لتلك الفترة المضطربة التى مرّت على مسلمي الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ، بما فيها من صعب وضجيج ، بما فيها من تيارات سياسية وأزمات اجتماعية ، ومشاكل

مصدرها هذا الوضع الخاص الذي كان يتميز به المسلمون في اسبانية آنذاك .
إن أبا بكر بن عمار كان في الواقع من أولئك الاشخاص القلائل الذين يتمثل
في حياتهم جانب مهم ، بل جوانب مهمة ، من حياة مجتمعاتهم كل التمثيل . ولا
شك في أن القارىء سيجد عند انتهائه من قراءه هذا البحث ، أنه لم يدرس
حياة شخص واحد فقط ، وإنما اطلع على جانب من أهم جوانب حياة المجتمع
الاندلسى في القرن الخامس الهجرى .

ولا ريب أن قلة الأخبار وندرة المصادر كانتا العقبة السكّاء التى
حالت دون ملء الفراغات التى يجدها القارىء في حياة الشاعر ، مع أننا لم
نأل جهداً في البحث عن المصادر المطبوعة والخطية في مظانها ، فزرنّا جل
مكاتب المخطوطات في اوربا وشمال افريقية ، وكان لهذه الجهود دون شك
الفضل في ظهور هذه الدراسة بالشكل الذى تظهر فيه الآن ، ومع ذلك فلنا
كبير الأمل بالعثور على مخطوطات جديدة قد تملأ بعض الفترات التى لانزال
نجهلها في حياة الشاعر .

وقد اقتصرنا في مصادر البحث التى ذكرناها هنا ، على المصادر الرئيسية
التي زودتنا بشيء عن حياة الشاعر أو عن أدبه ، أما تلك التى لم نقد منها
فقد آثرنا عدم ايرادها ، لأنها ليست من يصح الاعتماد عليه في دراسة حياة
الشاعر ومن هذه جل الدراسات الحديثة .

صلاح خالص

بغداد في آب ١٩٥٧

الموافق المحرم ١٣٧٧

تمهيد تاريخي

أهم ما يلفت النظر في تاريخ المسلمين في الأندلس ، هي الأحداث الخطيرة التي حدثت في أوائل القرن الخامس الهجري والتي كان من نتيجتها انحلال الخلافة في قرطبة وابتداء فترة ملوك الطوائف . وما كانت هذه الأحداث لتحصل على ما حصلت عليه من أهمية واهتمام لولا أنها جاءت مباشرة بعد بلوغ الخلافة الإسلامية في إسبانيا ذروة العظمة والمجد والقوة ، ولولا أنها تلت فترة منعة وازدهار سياسي وانتصارات خارجية رائعة واستتباب داخلي تام . أقول إن هذه الأحداث التي أطلق عليها المؤرخون اسم « الفتنة » ما كانت لتلفت النظر وتجلب الاهتمام وتصبح موضع نقاش وجدال ، لولا أنها أعقبت مباشرة عصر حكم المنصور بن أبي عامر وابنيه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول ، عصر عظمه دولة المسلمين في الأندلس ومجدهم السياسي والعسكري الزاهر .

كيف جاز لدولة قوية منيعة كمثل التي بناها عبد الرحمن الناصر وأسندها الحاجب المنصور وابنه الحاجب المظفر ، أن تنهار وتتداعى فجأة ولما يمض على وفاة الأخير غير عامين ، لم يبد قبلها في الدولة أي أثر من آثار الضعف أو علامة من علامات الوهن كما يجمع تقريباً كل المؤرخين ؟ ، صحيح أن مثالب كثيرة تعزى إلى عبد الرحمن بن أبي عامر ، ولكن سنتين اثنتين ليستا كافيتين على كل حال لتصدع بناء متين وكيان قوى كذلك الذي بدا في دولة عبد الرحمن الناصر وبني عامر . فكيف يمكن

تفسير ظاهرة مثل هذه؟ .. إن من المؤكد أن أسباب هذا التصدع لم تكن خارجية ، إذ لم تكن الدولة الإسلامية في إسبانية فريسة عدو خارجي هــد كيـانها وصدع أركانها ، وإنما انهارت وتداعت نتيجة أسباب داخلية ليس غير ، ولا شك أن هذه الأسباب الداخلية لم تكن وليدة عام أو عامين وإنما كانت جذورها تمتد مـوغلـة في كيان الدولة ، إلا أنها لم تكن ناضجة متبلورة لكي تحدث ما يجب أن تحدث من نتائج ، أو أن عوامل أخرى أقوى منها منعت ظهورها وأوقفت مفعولها ، حتى إذا زالت هذه العوامل وضعفت انفسح المجال لأسباب التصدع والانهار لتؤني أكـلها وتنتج ثمارها .

ولسنا الآن بصدد بحث هذه العوامل بتفصيل فسيرد تحليل الحالة الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى ذلك في دراستنا التي نأمل صدورها قريباً عن « إشبيلية في القرن الخامس الهجري » إذ سيبدو بوضوح من هذه الدراسة أن القوى الاجتماعية التي كانت تستند إليها الحكومة القائمة في زمن العـامـريـين لم تكن متماسكة كل التماسك . فالأرستقراطية الفرطية كانت منشقة على نفسها ، وفريق التف حول بني عامر ، وفريق تجمع حول بني أمية الذين كانوا ينظرون بغيظ إلى استئثار العامريين بالحكم . وكانت العامة ، كما هو حالها في أكثر الأحيان ، بمعزل عن الحكم . وقد ابتدأ موقفهم السـلبي يتحول إلى تمرد إيجابي عندما ابتدأت تضيق بالبربر من زناـة وصـمـاجه الذي استقدمهم بنو عامر لاستخدامهم محاربين ممتنـين في غزواتهم

ضد نصارى الشمال ، فكانت على استعداد للاستجابة لكل دعوة للثورة
 عند سnoch القرصة . أما القوى العسكرية التي كان يعتمد عليها العامريون
 وجلبها من البربر القادمين من أفريقيا الشمالية ، فقد بدت هي أيضا بعيدة
 عن أن تكون موضع ثقة في نزاع داخلي لاناقة لها فيه ولاجل . لذا لم
 يكن من المستغرب ألا يبدى هؤلاء البربر حماسا في الدفاع عن عبد الرحمن
 ابن أبي عامر عندما ثار ضده أمراء بني أمية بقيادة محمد بن هشام بن عبد
 الجبار المهدي وسانداه العامة في قرطبة في نورثهم وفي تشكيلهم بأن أبي عامر ،
 فقد فضل زاوي بن زيري قائد البربر عدم الدخول في نزاع دام الدفاع عن
 بني عامر وآثر تقديم طاعة للملك الجديد إلا أن البربر لم يستطيعوا
 الاحتفاظ بموقعهم هذا . فقد كانوا موضع احتقار العامة واعتداءاتهم كما
 لم يحفظوا بتقدير الأمير الجديد ورعايته ، وكتب التاريخ حافلة بالاشارات
 الواضحة لهذا الحل ، فاندفعوا لتأييد طامع جديد بالعرش هو سليمان بن
 الحكم المستعين ، وهكذا دخلوا في معركة دموية سافرة مع الفرطيين ،
 سالت فيها الدماء سيولا وانتهت الأموال وخربت المنازل والبيوت . ومرت
 عشرون عاما على العاصمة الاندلسية وهي مسرح لهذا النزاع المريع أطلق
 عليها المؤرخون اسم « الفتنة » ، ولم تفتت إلا بترك البربر لقرطبة والتجأهم
 الى منطقة غرناطة حيث أقاموا دولة بني زيري ، وباتفاق وجهاء قرطبة على
 إدارة شؤونهم بأنفسهم والعدول عن انتخاب خليفة جديد بعد اختفاء هشام
 المعتد بالله .

إذن فأول أسباب هذا التصدع الداخلي في دولة بني عامر - كما هو الحال في أى تصدع داخلي لأية دولة أخرى - هو أن الكيان السياسى الذى بناه عبد الرحمن الناصر وأسندته الحاجب المنصور لم يكن قائما على أسس رصينة متينة ، ومكونا من كتلى متجانسة متراصة ، رغم قوتها الظاهرة ، فان تحليلا دقيقا للمجتمع الأندلسي لا يترك مجالاً للشك فى ذلك

أما السبب الآخر الذى ساعد على تصدع دولة قرطبة وفيام ملوك الطوائف فى مختلف المدن الأندلسية فهو نتيجة طبيعية لتطور المجتمع الأندلسي . فان خضوع المدن الأندلسية الكبيرة لقرطبة لم يعد ممكنا بعد أن تطورت هذه المدن ونشأت فيها أرستقراطية محلية مستقرة عميقة الجذور ذات حول وطول . . . أقول لم يعد ممكنا خضوع هذه المدن طائفة لقرطبة ، بعد أن وصلت الى ما وصلت إليه من ازدهار ونفوذ ، كما لم يكن لدى قرطبة من القوة ما تستطيع بها فرض سلطانها على هذه المدن ، فكان طبيعيا استقلال هذه الأخيرة وإصرارها على إدارة شئونها بنفسها . وقد كانت الخلافات والثورات فى بدء حكم الأمويين فى الأندلس تأخذ شكل منافسات فردية حول العرش ، تستغل فيها القوى الاجتماعية المستاءة أو المناوئة للحاكمين كالفلاحين العائمة ، والذين تمرد ملوك الطوائف امتدادا طبيعيا لانتامي نفوذ الأرستقراطية المحلية واشتداد ارتباطها بمواطنها وشعورها بإمكانية الانتفاء بنفسها والاستغناء عن أية سلطة مركزية . وهكذا استأثر وجهاء إشبيلية وعلى رأسهم بنو عباد بالحكم فى مدينتهم ، واستأثر وجهاء

بطليوس وعلى راسهم شو الأفضى بالحكم فى بطليوس ، وقل مثل ذلك عن بقية السكور والمدن الأندلسية . وابتدأ نزاع دام مرير يتلمع القوى فيه الضعيف ، حتى بدا خطر المسيحيين فى الشمال وتماظم وأصبح نظام ملوك الطوائف غير قادر على الثبات أمام الوضع السياسى الجديد فى شبه جزيرة ايبيريا ، فكان لا بد له أن ينتهى ، وكانت أن ساعد على انتهائه تدخل المرابطين فى الربع الأخير من القرن الخامس الهجرى .

قلنا إننا لسنا الآن بصدد البحث فى تفاصيل هذا الموضوع ، بل نكتفى بالإشارة إلى النقاط الرئيسة التى مر ذكرها فقط والتي لا يمكن التوصل إليها دون دراسة عميقة للأحوال الاجتماعية والأوضاع السياسية للمجتمع الأندلسى فى مطلع القرن الخامس .

فى هذه الظروف التى مرت الإشارة إليها اتفق وجهاء إشبيلية على الاستقلال فى مدينتهم فسدوا أبوابها أمام المتنافسين على عرش الخلافة فى قرطبة من اليهوديين ، وهم أسرة تنسب إلى الأدارسة من أولاد فاطمة ، عاشت فى المغرب الأقصى بين البربر وتأثرت بثقافتهم وحظيت بتأييدهم واستطاعت انتزاع الخلافة فى قرطبة مدة من الزمن فى أثناء فترة الفتنة فتولى الحكم منهم على بن حمود ثم أخوه القاسم الذى نافسه على عرش الخلافة ابن أخيه يحيى بن علي واستطاع انتزاعه منه . وقد ابتدأت إشبيلية تتردها عام ٤١٤ هـ عندما رفض الاشبيليون فتح أبواب مدينتهم أمام القاسم بن حمود الذى اضطر على ترك قرطبة إثر ضغط أتباع ابن أخيه يحيى عليه ، كما

امتنعوا عن تسليم مدينتهم ليحبي هذا عندما طلب منهم ذلك ، ونهبوا
الدفاع عنها وكونوا مجلساً من وجهاء المدينة وراثتها لادارتها ، كان
على رأسهم القاضي أبو القاسم بن عباد ، أغنى وجهاء إشبيلية وأخفهم نراة .
وهكذا بدأت مملكة بني عباد ، أقوى دويلات ملوك الطوائف وأكثرها
تقوذا وأوسعها نراة وقوة .

ولم يكن هذا الانحلال السياسى لدولة قرطبة ظاهرة من ظواهر
الانحلال الاجتماعى او الفكرى ، فقد صاحبه ، على العكس من ذلك ،
ازدهار فكرى ، بل وتطور اجتماعى نضج إثره المجتمع الأندلسى
واكتسب صفاته المميزة وشخصيته الخاصة . فنحن حين نتحدث عن الفرد
الأندلسى أو الثقافة الأندلسية ، أو الأدب الأندلسى أو الشخصية
الأندلسية ، فأنما نتحدث فى الواقع عن كل ذلك فى القرن الخامس الهجرى
على وجه الخصوص . فقد كانت القرون الثلاثة السابقة فترة انصهار العناصر
المكونة للمجتمع الأندلسى وامتزاجها مع بعضها البعض - أما القرون التى
تلت القرن الخامس فقد تدخلت عناصر خارجية (ولا سيما المرابطون
والموحدون من بربر شمال أفريقيا) فى حياة هذا المجتمع السياسية
والاجتماعية والفكرية .

وهكذا يتميز القرن الخامس من بين جميع القرون فى إسبانية رغم
الانحلال السياسى وتفكك الدولة فيه . فلا غرابة إذن فى أن نرى أكبر
الشعراء الأندلسيين وأبرزهم فى هذا العصر ، كابن زيدون والمعتمد

ابن عباد وابن خفاجة وابن وهبون وابن اللبانة وابن عمار وغيرهم .

وقد حكم في شيبيلية من بني عباد ثلاثة ملوك ، أولهم القاضي أبو القاسم محمد بن عباد الذي تربع على دست الحكم من عام ٤١٤ هـ (١٠٢٢ م) حتى عام ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م) وثانيهم ابنه عباد بن محمد بن عباد الملقب بالمعتضد والذي حكم من عام ٤٣١ هـ حتى عام ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) ، وأخيرا محمد بن عباد الملقب بالمعتد الذي تولى الحكم بعد أبيه المعتضد عام ٤٦١ هـ وبقي فيه حتى حمله المرابطون عام ٤٨٤ هـ (١٠٩٢ م) : قضى بعده أربع سنوات في المنفى حتى توفي في انعامات عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٦ م) أسيراً بأثنا غريبا . بعد أن ترك لنا أروع قصائده الباكية الشجية

أما القاضي أبو القاسم بن عباد فقد قضى فترة حكمه في تثبيت دعائم دولته والقضاء على منافسيه في الداخل والاستئثار بالحكم وضرب كل قوى المعارضة دون شفقة أو رحمة ، حتى إذا جاء ابنه عباد المعتضد إلى الحكم وجد أمامه دولة موطدة الأركان ثابتة الدعائم لحد كبير ، فاتجه نحو جيرانه من حكام المقاطعات والحصون الصغيرة فنكل بهم ووسع رقعة مملكته بنى عباد حتى شملت جميع المنطقة الجنوبية الغربية من الأندلس ، وجعل من هذه المملكة أقوى ممالك الطوائف في الأندلس واشدها بأسا وأكثرها ثراوا وازدهارا .

وهكذا جاء المعتد فوجد أمامه مملكة موطدة الأركان في الداخل مرهوبة الجانب من قبل دول الطوائف في الخارج فسار على خطة سلفه

فى توسع رقعة مملكته ، فضم إليها قرطبة وكثيرا من المناطق
والحصون الأخرى .

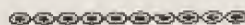
ولكن خطرا جديدا ظهر فى الأفق وابتدأ يهدد ميزان القوى فى
شبه جزيرة ايبيريا ، وهو خطر المسيحيين فى الشمال الذين اتحدت إماراتهم
تحت لواء فرديناند الأول ثم تحت لواء القونى السادس بعده ، وأبتدأت
تهدد الامارات الاسلامية الصغيرة بالويل والثبور . وعيضا حاول ملوك
الطوائف تجنب هذا الخطر بمقد المعاهدات ودفع الأتاوات .

لقد كان لابد من دخول قوة جديدة تحفظ توازن القوى فى شبه
الجزيرة وتوقف نصارى الشمال - ولو لوقت ما - عند حدهم . فكان المرابطون
البربر الذين جاءوا من شمال افريقية هم هذه القوة . إذ ذك فقد كان يحىء
هؤلاء المرابطين أمرا لازما فرضته الظروف التاريخية ، ولم يكن بإمكان
المعتد او غير المعتد إبقاء نظام ملوك الطوائف بعد أن أصبح عاجزا عن
الاحتفاظ بكيانه والوقوف فى وجه أعدائه .

كانت الأرستقراطية الاندلسية فى القرن الخامس مثقفة ، تعنى بالعلم
والأدب ، فاحتضنت العلماء والأدباء وبسطت عليهم ظلها ورعايتها ووجهتهم
فى الوقت نفسه لتنفيذ أغراضها وتحقيق مآربها وكانت بنو عباد من بين
جميع الأسر الأرستقراطية أو سمعهم ثقافة واكثرهم ميلا للأدب واهتماما بالعلم
ورعاية لأهلها بل إن جل من نعرف من ملوك بنى عباد وأمراءهم كانوا
من الشعراء والأدباء ، فللقاضى ابى القاسم بن عباد آثار ادبية متناثرة فى

كتب الأدب ولا يسهل المعتضد صولات وجولات في هذا الميدان اما المعتمد فهو دون شك شاعر من أبرز شعراء الأندلس في هذا القرن وقد ترك لنا ولا سيما في الحقبة الأخيرة من حياته ، قصائد تعبر عن أجل ما خلف لنا الأدب الأندلسي من شعر . وقبل مثل ذلك عن أبناء المعتمد الرشيد والراضي .

فلذا كان هذا حال ملوك بني عباد فيمكن أن نتصور حال وزرائهم وأتباعهم وخاصتهم المحيطين بهم لمد كان شيئا فريدا يبعث على كثير من الإعجاب ، هذه الأجواء الأدبية التي كانت تسود ألمطة هؤلاء الملوك الأدباء ، والتي كانت تجتذب نحوها رجال الأدب والشعر من كل حدب وصوب . وكان من هؤلاء محمد بن عمار شاعرنا الذي سندرسه في الصفحات القادمة بل ان حياة ابن عمار والمركز الذي احتله في الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية لتقدم لنا نموذجا حيا لأهمية الأدب والأدباء في المجتمع الأندلسي أبان حكم ملوك الطوائف في الأندلس .





القسم الأول

حياة محمد عمار وانتاجه الادبي

دراسة أدبية تاريخية



أسرة ابن عمار

في قرية شنبوس (١) الصغيرة قرب شلب ولد أبو بكر محمد بن عمار عام ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في عائلة فقيرة معدمه مغمورة الاصل، لا أعجابه لها تعزيبها ولا مفاخر تدعيها. ولم نر مؤرخاً يتحدث عن دور أقامت به في ميدان السياسة او المعرفة (٢). فكل ما نستطيع استخلاصه من أقوال المؤرخين المسلمين هو أن أباه كان يدعي عمار بن الحسين بن عمار (٣)، وأنه كان ينتسب الى قبيلة مهرة العربية التي ادعى الانتماء اليها آنذاك كثير من الناس. ومهرة هذه فرع من القبيلة العربية المعروفة قضاة الليمانية الاصل (٤). الا أنه مما يبعث على الدهشة ويثير الاستغراب أن ابن عمار نفسه لم يشر ابداً فيما وصلنا من اخباره واشعاره الى هذا الاصل العربي، كما أن جل ثغاف المؤرخين الاندلسيين كابن بسام وابن خاقان وعبد الواحد المراكشي لم يشيروا هم ايضاً الى هذا النسب رغم أنهم أطنبوا في الحديث عن الشاعر وعنوا باخباره. وربما نستطيع الاشارة بهذه المناسبة الى بيت تعرض فيه الشاعر تعرضاً خفيفاً ليس فيه كبير غناء الى عروبتة حين قال في قصيدته الميمنية التي نظمها في سرقسطه وارسلها الى صديقه المعتمد (٥).

وما حال من ربته ارض أعارب والقت به الأقدار بين أعاجم

(١) نفع الطيب ٤ ج ٥ ص ٣٦٠. الأخيرة ٤ ق ٢ ف ابن عمار. انظر حول موقع شنبوس

ابو الفداء ٤ تقويم البلدان.

(٢) المذهب ٤ ص ١١٤. الأخيرة ٤ ق ٢ ف ابن عمار.

(٣) بنو عباد ٤ ج ٢ ص ٢٨٨.

(٤) نفع الطيب ٤ ج ١ ص ٢٧٨. بنو عباد (عن الوفيات) ج ٢ ص ٣٦٩.

(٥) شعر ابن عمار ٤ قص ٩.

أما أمه ، فقد أشار المعتد في قصيدة هجا بها ابن عمار الى أنها كانت تسمى « شمس » او « شمسة » (١)

هذا كل ما نمتلك من أخبار حول أسرة أبي بكر بن عمار مع إجماع المؤرخين على أنها كانت عائلة مغمورة فقيرة دون ماضٍ تعتد به ولا حاضر تزدهر فيه وقد كان لهذا الأصل المغمور أثر كبير في حياة الشاعر ، أسهم في تكوين نفسيته وطريقة تفكيره . فلم تكن الحياة حينه يسيرة آنذاك لا مثاله من الفقراء ، ولسكنه عرف كيف يقود زورقه في خضم هذه الحياة الشاقة المتعبة ليحقق مطامحه الواسعة العريضة . وقد نجح في ذلك بفضل الفترة المضطربة التي كان يعيش فيها من جهة ، وبفضل نبوغه وذكائه الحاد ومعرفته بالناس والخبرات الكثيرة التي زودته بها الحياة من جهة أخرى ، فقد كانت حال أسبانيا المضطربة المعقدة تفسح المجال للمفاسرين الطامحين أمثال ابن عمار لأن يقوموا بأهم الأدوار ، محرزين أسطع النجاحات أو مقدمين نفوسهم ضحايا رخيصة على مذبح الاطماع والشهوات .

الصفات المميزة لشخصية ابن عمار

طرف خلاب ، وطموح واسع ، وذكاء وفاد (٢) ، تلك هي الصفات البارزة في شخصية أبي بكر بن عمار . فقد كانت ثقافته الأدبية وحديثه الممتع ومعرفته العميقة بنفوس الناس سر تقوده على كثير من رجالات زمانه . أما ذكاؤه فقد ساعده على الاستفادة من تجاربه وخبراته وعلى تحقيق مشاريعه كما سنرى في الصفحات التالية . وأما مطامعه فقد كانت السبب في بحثه

(١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٧٦ .

(٢) المنجب ، ص ١٢٧ .

دائماً عن أهداف أوسع ومنازل أرفع، متعرضاً الى المخاطر، حتى قادته في طرق
وعرة، وسارت به في منازل خطيرة أدت به أخيراً الى نهايته المحزنة بين أعداء
ناقين وحساد شامتين، كان جلهم من اصدقائه القدامى، وخلافة
الاصفياء (١). وقولنا هذا لا يتعارض مع ما أشرنا اليه من نقوذ على كثير
من رجال عصره، اذ يبدو أن علاقته القوية بهذه الشخصيات لم تكن تمنع
الشك وسوء الظن اللذين كانت تفرضهما الظروف والمناسبات.

لقد وضع ابن عمار جميع كفاياته وذكائه في خدمة نظامه واغراضه،
فلم تكن المثل الخلقية والدين والصدقة، بل وحتى الشرع نفسه (٢) سوى
وسائل تعينه على بلوغ أهدافه وتحقيق مآربه. لقد جعلت منه هذه الصفات
شخصاً مخيفاً مرعوب الجانب، كثير المكر والدهاء (٣)، ولا شك أن
أصله المنموور وعائلته الفقيرة الى جانب كفايته وذكائه وفترته المضطربة
كانت عوامل فعالة في تكوين شخصيته الخاصة ونفسيته «الوصولية»
وتفكيره «البيكرية فيلي» الذي كانت الغاية بالنسبة له تبرر الوسيلة (٤)
وسنرى كيف تنعكس هذه الصفات في اعماله ومشاريعه واساليبه.

ولكن اعتمام ابن عمار لم يكن محصوراً فقط بالمجد والمنصب الرفيع
والمركز السامي، بل كانت الحياة نفسها بكل ما فيها من متعة وأنس وفرح
وبهجة غرضاً من أغراضه ومأرباً من مآربه، كان يحب الخمر ويهوى حلقات
الانس ويتعشق الغلمان مستسلماً للجميع ملاذ الجسد.

وشأنه في ذلك شأن فتيان الطبقة الأرستقراطية الأندلسية التي

(١) المعجب ١ ص ١٢٣.

(٢) المعجب ١ ص ١١٤.

(٣) الذخيرة، ق ٣ ف ابن عمار: فلائد العيان ١ ص ٨٦.

(٤) بنوعباد، ج « ١ ص ١٠٦.

سنرى انه سيصبح جزءاً منها وعضواً من اعضائها . وسنرى حين نتبع ابن
عمار في مراحل حياته المختلفة صفاته هذه تبدو وتتضح وتتكس في أعماله
وأقواله حتى اللحظة الأخيرة من حياته .

ثقافة ابن عمار

لقد كان في إمكان ابن عمار وهو طفل أن يتردد الى المدارس الابتدائية
التي كانت تعج بها المساجد في الأندلس رغم فقر عائلته . وهذا كان يتعلم
الاطفال القراءة والكتابة وتلاوة القرآن ومبادئ الدين وقواعد اللغة العربية
كما يستطيعون أن يحصلوا في الوقت نفسه على معلومات عامة في التاريخ
والأدب والحساب . وقد كان يوسع أولئك الذين يرغبون في التوسع في
العلم والتعمق في المعرفة أن يواصلوا الدرس والتحصيل ، فالحياة الثقافية
مزدهرة والعلماء الكبار منبثون في كل مكان ولا سيما في المدن الكبيرة ،
يجتمع حولهم طلبة العلم وعشاق المعرفة فيقدمون لهم ثمرات الحضارة الاسلامية
التي وصلت الى الأوج في هذا القرن .

وقد كان ابن عمار من هؤلاء الصبية الأذكياء الذين كانت لهم الرغبة
والمقدرة على الاستمرار في الدرس ولا سيما في ميدان الأدب والشعر .

ولسكى يحقق رغبته هذه فقد سافر الى شلب وهي مدينة اشتهر أهلها بقرض
الشعر (١) ونابع فترة من الزمن دروس أبي الحجاج يوسف بن الأعم أحد علماء
زمانه في علوم العربية ، ثم رحل الى قرطبة حيث واصل حضوره حلقات

(١) ابر القدام ، تقديم ص ١٦٦ .

العلماء و اوساط المتقنين والأدباء ، فنمت ثقافته الادبية واللغوية وأثبتت .
 إن ما عرفه الآن عن حياة ابن عمار وعن شعره لا يشير مطلقا الى أنه
 كان عالما متبحرا أو فقيها موهبا في النغمة ، فكل ما نستطيع تأكيده في
 هذا الموضوع هو انه كان شاعرا ، وشاعرا فقط . فلا نعرف عنه نشاطا
 غير نشاطه الشعري والسياسي ولا إنتاجا باهرا في غير الميادين الأدبي والاداري .
 ولكن من الانصاف أن نقول إن ثقافته الأدبية واللغوية كانت من العمق والقوة
 بحيث تسمح له أن ينظم القصائد المتينة التركيب ، المتأسكة العبارات ،
 الصحيحة الوزن ، ونستطيع أن نلمس هذه الظاهرة في مفرداته وفي تراكيبه
 وتمايزه وصياغته الشعرية .

ابن عمار قبل ان يلتقي بالمعتضد

عام ٤١٥ للهجرة

وما كاد ابن عمار يشعر أنه قد بلغ في ثقافته الادبية حدا يؤهله لشق
 طرق في ميدان الشعر الى المجد الادبي ، حتى انطلق سالكا الطريق التقليدي
 الذي كان يفرضه المجتمع وتقاليد على الشعراء المبدعين من ذوى الطموح ،
 وذلك بوضع قابلياته وكفاياته الادبية في خدمة الأرستقراطية الحاكمة
 يشيد بما ثروها ويتغنى بايجادها ككثيرين من أمثاله .

الا أن ما نظم ابن عمار قبل التقائه بالمعتضد عباد ملك إشبيلية قد اختفى
 اختفاء تاما ولم يصل الى ايدينا منه شيء . ولم يكن ابن عمار نفسه

حريصاً على شعره هذا ، فقد ذكر لنا ابن الأثير أنه أحرقه قبل مماته ، أيام مجده (١) ، لأنه لما يكن كما يبدو مصدر نقر له . ولكن ما نعرفه عن حياة ابن عمار في هذه الفترة يمكن ان يشير الى أن جل هذا الشعر كان في مدح شخصيات عصره البارزة ، بل إن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أنه لم يكن يقصر مدحه على هذا النوع من الناس ، بل كان يقدمه لكل من يستطيع دفع الثمن (٢) . ولا بد لنا أن نصير هنا الى تأثير حالة الاقتصادية وعوزة المادى في دفعه لهذا الاتجاه إمنذ بداية حياته الادبية . فشاعر مثل ابن زيدون نشأ في وسط أرفع من وسط ابن عمار لا يهبط الى هذا المستوى ولا ينزل الى هذا الدرك . وهنا يبدو أثر الوسط المطبق في توجيه الشعراء ، فالأمير المعتمد لا يمدح ، وإن فعل ذلك فللتعبير عن عاطفة شخصية . وابن زيدون الوزير يقصر مدحه على الملوك والأمراء . أما ابن عمار المعدم فيقدمه لكل من يدفع عنه . بل إن شاعرنا نفسه عندما علامركزه وأصبح الوزير الاول لدولة بني عباد نراه يقلع عن التكسب بالشعر ويقتصر على التعبير عن عواطفه الشخصية ومشاغله الخاصة .

إنطلق ابن عمار بحبب الأندلس قاصداً ملوك طوائفها عارضا عليهم بضاعته المبذلة ، رغم تشجيع امراء الأندلس للشعر والأدب ، نظراً لكثرة الشعراء في هذا العصر الأدبي الزاهر . والاختبار القليلة التي لدينا عن هذا الشاعر في هذه الفترة من حياته تشير الى أنه قصد كثيراً من الناس منهم

(١) بنو عباد ، ج ٢ ، ص ٩ . الحلة السيرة ، ف ابن عمار .

(٢) المهيب ، ص ١٦٤ .

ابن طاهر أمير مرسية في حالة مندرية من المدمور ثائرة اللباس (١) ، إلا أن هذه الاخبار نفسها تشير الى أنه فشل فشلاً ذريعاً في جهودة هذه حتى لقي المعتضد عباداً ملكاً إشبيلية . ولكنها لا تغفل لنا شيئاً من إنتاجه ولا تجدنا بشيء من اخباره ، خلا حادثة طرينة يغلب عليها الخيال القصصي ، تصف مع ذلك طرفاً من الحياة التيمسية التي كان يحياها ابن عمار في هذه الحقبة القاسية .

ولدينا عن هذه الحادثة ، روايتان مختلفتان بعض الاختلاف ، الاولى رواها ابن بسام في كتابه الذخيرة (٢) ، والثانية ذكرها عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب (٣) .

تتفق الروايتان تفرقاً في أن ابن عمار وصل في يوم من أيامه العصبية الى شلب ، لا تلك سوى بغلته التي كان حائراً في إيجاد العلف لها ، فلم يجد سوى أن يكتب بضمه ابيات الى تاجر من معارفه يمدح فيها ويصف له سوء حاله . فلما تسلم التاجر الابيات عطف على الشاعر وارسل اليه مخللة شعير .

الى هنا يتفق السكاتبان ، ولكنهما يختلفان في تصوير رد الفعل الذي تركته هذه الهدية في نفس ابن عمار . فيقول المراكشي إن ابن عمار كان راضياً كل الرضى بهذه الهدية ، لذا فقد كافأ التاجر عند رجوعه حاكماً على مدينة شلب مرسلًا من قبل المعتضد ، برسالة مخللة مليئة بالقصص قائلاً له « لو ملائمتها

(١) الحلة السوداء ، ف . ابن طاهر .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، ف . ابن عمار .

(٣) المراكشي ، المعجب ، ص ١١٤ .

براً لملأناها تبرأ». أما ابن بسام فيذكر أن الشاعر غضب غضباً شديداً لكرامته وعددها إهانة له ، وكاد يرفض هذه الهدية الوضيعة ، ولكنه تذكر بغلته فأرسل إليها الشعير . ثم يقول إن ابن عمار لم ينس هذه الإهانة عند رجوعه حاكماً إلى شلب ، فدعا التاجر إليه وعفاه على عمله ، فاعتذر هذا منه خائفاً من العقاب ، ثم أرى ابن عمار أيباتهم منراً لاعتزازه بها وحرصه عليها . فرضي هذا عنه وأمر باعطائه مخلاته مليئة بالفضة قائلا له : « لولا حرمتك لأوجعتك أدباً ، ولوملأت تلك امس رآ لملأنا هذه تبرأ . » (١٥) ورغم أن الخيال قد يسكون لعب في هاتين الروايتين دوراً ما ، فالتأني لا يمكن أن نعرض عنهما تماماً . فربما كان فيهما جزء من الحقيقة ، لاسيما ما يتعلق منهما بحياة ابن عمار البائسة في هذه الحقبة . إلا أن من المهم أن نلاحظ أن كلا من المراكشي وابن بسام صور شخصية ابن عمار بشكل يختلف عن الآخر . فالأول فقد وصفه رجلاً بائساً فقيراً يشتر بوضاعة مركزه ، فهو لا يكاد يحس بالكرامة والاعتزاز لأنفسه ولا ولا بشعره ، فيرضى بمخللة شعير ويسر بالحصول عليها لقاء جزء من استأجره الأدبي ، فأى بؤس واية وضاعة في النفس !

أما ابن بسام فيقدم لنا شخصية أخرى تفرض الاحترام والتقدير شخصية ذات كرامة ونفس رفيعة لاتعتمد نبلا وشهامة ، فهو يتردد في رفض هدية متواضعة جداً ويغضب لكرامته وكرامة شعره ، ولكنه مع ذلك لا ينسى جيلاً أسدى إليه فيكرم صاحبه عليه .

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

إن ما لدينا من معلومات الآن لا تسمح لنا بأن نجزم بصحة إحدى هاتين الروايتين ، ولكن رغم أن ابن بنام كان أقرب عهداً لابن عمار وأنه غنى بأخباره وألف كتاباً عنه (١) ، فيبدو لنا أنه إنما عبر عن رأيه في موقف ابن عمار أكثر مما صور موقف ابن عمار نفسه حينما تحدث عن غضب هذا الأخير إكرامته . يدل على ذلك مخلاة القصة التي قدمها للتاجر منبهاً إياه إلى أنه كان سيعطيه مخلاة ذهب ، لو كان قد أرسل مخلاة من القمح ، إذ ليس الفرق بين ثمني الشعير والقمح كبيراً بحيث يغير ابن عمار رأيه فيرضى وبهيب الذهب ، لذا نرواية المراكشي أقرب إلى المنطق ، هذا فضلاً عن أنها أكثر انسجاماً مع ما نعرفه عن أخلاق ابن عمار وصفاته .

عدا هذه الحادثة ، ليس لدينا أية تفاصيل عن حياة ابن عمار أو عن شعره في هذا الدور من حياته . فقد ذكرنا سابقاً أن الشاعر أحرق جميع شعره الذي نظمه آنذاك ليطمس الذكريات المؤلمة التي خلقتها هذه الفترة من حياته القاسية ^٢ . يبدو من ذلك أنه لم يكن لهذا الشعر أية قيمة أدبية جديرة برفع قيمة قائمها حتى في نظر الشاعر نفسه .

بل يبدو أنه لم يحصل بنظر الآخرين على أي اعتبار يسدفعهم إلى الاحتفاظ به وتسجيله ، فلم نر مؤرخاً من المعنيين بأخبار ابن عمار وشعره يتطرق إلى شيء من ذلك ، كما أننا نعلم أن لا أحداً من رجال الأندلس أعجب به قبل إقامته بالمعتضد رغم أنه قصد قسم كبيراً منهم .

إن هذا الحال يسمح لنا الحد ما بالقول ، إن فقدان شعر ابن عمار الذي نظمه في هذه الحقبة من حياته ليس خسارة كبيرة تستحق الأسف ، لأنه لم

(١) الأخيرة ، ق ٢ ، ف . ابن وهب ، بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) بنو عباد ، ج ٢ ، ص ٩٠ . الحلة السيرة ، ف . ابن عمار .

يحفظ بتقدير معاصريه بل ولا حتى بتقدير الشاعر نفسه .
ولكن رغم أن هذه الفترة كانت قاسية مريرة ، تكبد فيها الشاعر مختلف
ضروب الشقاء ، فلمّا كانت المدرسة التي عرف فيها ابن عمار الرجال وخير الحياة
وأطلع على أحوال الاندلس ، مما كان له أكبر الأثر في حياته التي عاشها بعد
ذلك ومجده الذي بناه . إنّها كانت فترة التحضير والاستعداد للفترات التي
تلت هذه الفترة من حياته . فهي وإن لم تكن ذات قيمة بذاتها ، فإن قيمتها
في حياة الشاعر وفي إعداده كسيرة ذات اثر .

ابن عمار

منذ لقاء المعتضد حتى مجيئ المعتضد الى الخيام

عام ٤٦١ للهجرة

إن هذا اللقاء يعتبر في الواقع حداً ذا أهمية خطيرة في حياة الشاعر المادية والأدبية . ويبدو أنه حدث في غضون عام ٤٤٥ هـ (١٠٥٣ م) بعد الحرب الدامية التي خاضها المعتضد ضد الأمراء البربر ، كما يتبين بوضوح من قصيدة ابن عمار الاولى التي مدح بها المعتضد ، وهي رائيته الشهيرة ^١ .
إننا نستطيع أن نقسم ، تسهيلاً للبحث ، الفترة التي قضاها الشاعر في حكم المعتضد الى ثلاثة اقسام : الاولى ، في إشبيلية حيث تعرف بالامير محمد بن عباد (الذي اطلق عليه فيما بعد لقب المعتضد) وارتبط معه بصلة وثيقة وصداقة أصبحت مضرب الامثال . والثاني ، في شلب برفقة الامير محمد حين عينه أبوه حاكماً على هذه المدينة . والقسم الثالث ، من هذه الفترة قضاها في سرقسطة وشمال شرقي الأندلس بعد اضطراره على مفارقة صديقه الامير محمد .

ان ما بين ايدينا من إنتاج ابن عمار الشعري يشير الى أن هذه الفترة من حياة الشاعر كانت احدى فترتين خصبتي فيها قريحة الشاعر وجادت بخير ماله من أدبه . اما الفترة الثانية فهي الاخيرة من حياته والتي سنعرض لها بعد قليل .

(١) انظر مـ ١ .

ابن عمار في أشبيلية

وصل ابن عمار إشبيلية بعد محاولات لارتقاء سلم المجد الأدبي قام بها في مختلف أنحاء الأندلس ، باءت جميعها كلاً بيدو بالفشل الذريع . فقد ظل الشاعر مغموراً يعاني سمرارة القافة وبؤس الحرمان ، دون أن يفلح بالخطوة لدى أحد أمراء الطوائف . وما كاد يصل هذه المدينة حتى قرر اختبار حظه مع أميرها المعتضد عباد كما فعل مع غيره من قبل . لقد كان المعتضد آنذاك في قمة مجده ، فقد انتصر قبيل ذلك انتصاراً ساحقاً على ابن الأفطس أمير بطليوس ، ثم وجه اهتمامه بعد ذلك إلى الأمراء الصغار من البربر وغيرهم الذين استقلوا بالامر بعد انحلال الخلافة في قرطبة ، فكانوا يحكون مقاطعات صغيرة مستقلة يقع جلها في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة ، فالحق بهم خسارة فادحة وضربات قاضية ووسع نتيجة ذلك رقعة مملكته توسعاً كبيراً . لقد كان ملك إشبيلية آنذاك في حاجة دون شك أكثر من أي وقت مضى إلى أن تعجدا انتصاراته ويخلد اسمه ويتغنى بأعماله . ومآثره . ويروي لنا ابن بسام خيراً يظهر فيه بوضوح اتجاه المعتضد هذا وحاجته النفسية لتخليد مآثره والتغنى بأعماله . فيقول ، إن المعتضد نظم بعد احتلاله لمدينة رندة قصيدة ذكر فيها هذا الحدث ، فافتخر بشجاعته وصلابته وذكر أنه « أعجب بهذه القطعة الرندية عجب حسان بن ثابت بقصيدته اليمية » ، وأخذ الناس يحفظها وحملهم على ضبط معانيها ولفظها ... »^١ فقد كان المعتضد إذن يحس بالفخر والاعتزاز ، كان في حاجة لأن يعدح ويشاد بأعماله وتوصف

(١) ابن بسام ، الأخيرة ، ق ٢ ، ف المعتضد : ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ف ابن عمار : دوزي

بنو هبادج ، ٢ ، ص ٦

بطولاته . ومن الطبيعي أن يحد الشعراء في هذا الاحساس فرصة مناسبة
 يتهزونها لاشباع رغبة الأمير الثرى فتتنظم القصائد الطويلة وتكتب الرسائل
 المستفيضة في ذكر مآثره . ولم يكن ابن عمار ليترك فرصة ثمينة مثل هذه
 تفلت من يديه ، فتقدم الى الأمير بقصيدته الرائية المشهورة التي مطلعها :
 أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
 فكان لها احسن الوقع في نفس الأمير فأسني جائزته وضمه الى ديوان
 الشعراء .

الرائية

ورائية ابن عمار هذه كأكثر شعر تلك الفترة تدخل من حيث موضوعها
 في الاطار الذي صنعته الأرستقراطية الحاكمة للشعر . فقد أشرنا الى أنها
 كانت استجابة لحاجات نفسية ومادية فرضتها طبيعة التكوين الطبقي للمجتمع
 الاندلسي ، ويمدو هذا الاتجاه لا في الموضوع فحسب بل في كثير من
 الافكار المتناثرة في ثنايا القصيدة كما ستأتى الاشارة اليه .

فعدا المقدمة التقليدية التي وقفها الشاعر ، كما يفعل أكثر الشعراء الاندلسيين
 على وصف الطبيعة ومساكنها في متعة الشاعر وأنسه ، فان قصيدة أبي بكر بن
 عمار هذه تشتمل على أربعة موضوعات رئيسية ، ثلاثة منها هم المعتضد ،
 او بالاحرى نظمت لارضائه واشباع رغبته ، والرابع خصصه الشاعر
 لنفسه .

اما الموضوعات الثلاثة ، فأولها الاشادة ببطولة الملك وانتصاراته الرائمة على
 أعدائه . وثانيها تمجيد كرمه وبسطة يده وكثرة عطاياه ، وثالثها هجوم

عنيف على أعدائه البربر ووصفهم بأشنع التبعوت . أما الموضوع الرابع المتعلق
بالشاعر نفسه فهو تعبير عن الأمل الذي علقه على الملك وعلى كرمه وأحسنه ،
والجهود الكبيرة التي بذلها في الوصول إليه والوقوف بين يديه وتقديمه
عصارة قريحته وزبدة فنه للإشادة بما آثره وتمجيد صفاته .

إننا نلاحظ هذه الأفكار متناثرة في المقاطع التي خصصها الشاعر لوصف
كرم الأمير ومجده في الحياة في آخر القصيدة .

ويمكننا أن نضيف إلى ما تقدم من موضوعات تطرق الشاعر في أحد
الآيات إلى مدح الأمير إسماعيل بن المعتضد ولي عهد ملك إشبيلية وقائد
جيوشه ، ملاحظين أن ابن عمار لم يشر مثل هذه الإشارة إلى الأمير محمد
(المعتضد) الذي أصبحت صداقته للشاعر مضرب الأمثال . ولا شك أن هذا
الاهمال يمكن أن يعزى إلى أن الأمير محمد لم يشغل مركزاً هاماً بلغت
إليه الأنظار في الدولة إلا بعد مصرع أخيه إسماعيل ، فلم يكن جديراً إذن
بجذب اهتمام الشعراء ولفت الأنظارهم ، لاسيما وأن عمره لم يكن يتجاوز آنذاك
السنة الثالثة عشرة . هذا إلى أن صداقة الأمير محمد لابن عمار لم تكن
قد بدأت بعد ، إذ أن هذه القصيدة قد نظمت في أول زيارة قام بها الشاعر
إبلاط إشبيلية والتي كانت سبباً لربط أواصر الود بين الصديقين .

إن هذا الرأي يدحض رواية ابن إسام^(١) التي نقلها عنه دوزي^(٢)
وكونثالت بلانتيه^(٣) وغيرهم من المؤرخين^(٤) ، والتي تزعم أن الأمير محمد

(١) ابن إسام ، الذخيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ، ابن عمار .

(2) Mus Esp. T III, P. 83

(3) Gonzalez Palencia, His. de la literatu Arabi ga
Enpanol, P. 77

(4) Pipuet, l'Espagne des Maures, P. 74

إنما تعرف بابن عمار في مدينة شلب عندما كان حاكماً عليها ، وعلى ذلك فإنه
نظم هذه الرائية بعد عودة الأمير محمد إلى إشبيلية مصحوباً بصديقه الشاعر .
وعدم قبولنا لهذه الرواية مرده قبل كل شيء إلى هذا البيت الذي مدح به
الشاعر الأمير اسماعيل بن المعتضد .

ياسائلي ما حمص الا خام
أبصرت اسماعيل فيه خنصرا

إذ أن الأمير محمد لم يعد إلى إشبيلية إلا بعد مصرع أخيه اسماعيل عام
٤٥٠ هـ (١٠٥٨) ، فلا بد أن يكون ابن عمار أذن قد نظم قصيدته
هذه قبل عودة الأمير محمد من شلب إلى إشبيلية ، أي حين كان الأمير اسماعيل
لا يزال على قيد الحياة . معنى ذلك أن ابن عمار قصد بلاط إشبيلية قبل أن
ينذهب إلى شلب بصحبة الأمير محمد ، وأن من المعقول جداً أن يكون قد
تعرف به في إشبيلية لافي شلب . وهذا الرأي مضافاً إليه الإشارات التي
وردت في القصيدة عن بعض المناسبات ، هي التي جعلتنا نحدد تأريخ نظمها
بـ ٤٤٤ أو ٤٤٥ هـ .

ولنعد إلى القصيدة نفسها لنبدي فيها بعض الملاحظات ونلفت الانتظار
إلى صفاتها المهمة .

إن أول ما يلفت النظر فيها على وجه العموم هو سطحية الأفكار
والشاعر وأبتذالها ، فخلها بما أكثر ترداده على السنة الشعراء وأفلام الكتاب .
وقد نستطيع مع ذلك أن نستثنى من هذا الحكم بعض الأبيات ،
كقوليه مثلاً بمدح الملك :

أندى على الأكباد من قطر الندى

وَأَلَدَ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سَنَةِ الْكُرَى

وَالشَّكَّ أَنَّ الشَّاعِرَ عَرَفَ بِظُلْمِهِ لِهَذَا الْبَيْتِ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مَعْقِدَةٍ مِنَ الْعَوَاطِفِ
وَالْأَفْكَارِ . فَالْمَلِكُ يَتَمَتَّعُ بِـصِفَاتٍ هِيَ مُزَيَّجٌ مِنَ اللَّطْفِ وَالطَّبِيعَةِ
وَكَرَمِ النَّفْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَحْمَدُهُ حِينَ قَرَأْنَا لِهَذَا الْبَيْتِ دُونَ أَنْ نَسْتَطِيعَ
تَمْيِيزَهُ بِوَضُوحٍ ، لَمْ يَجِدْ الشَّاعِرُ السَّبِيلَ لِتَصْوِيرِهَا إِلَّا بِهَذَا الْإِسْلَوبِ الْجَمِيلِ
الْمُعْبَرِ .

وَكثِيرًا مَا يَجَازِيهِ الْفَارِسِيُّ الْبَسِيطُ آيَاتِ الْمَدِيحِ بِالْإِمْتِعَاضِ وَالْإِعْرَاضِ مَتَّبِعًا
الشَّاعِرَ بِالْكَذْبِ وَالتَّلْمِيقِ وَبِذَلِكَ يَجْرِدُ نَاقِضًا مِنْ كُلِّ قِيَمَةٍ أُدْبِيَّةٍ . وَفِي هَذَا الرَّأْيِ
مَا فِيهِ مِنْ تَحِيْنٍ عَلَى الْمَدِيحِ وَسُوءِ فَهْمٍ لَطَبِيعَتِهِ وَتَسْرَعٍ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ . فَالْوَاقِعُ
أَنَّ الشَّاعِرَ حِينَ يَمْدَحُ لَا يَمْنِي بِوَصْفِ شَخْصِيَّةِ الْمَمْدُوحِ ، وَلَوْ كَانَ هَذَا
غَرَضَهُ لَوَصَفَ مَخَاسِنَهُ وَمَسَاوِيَهُ ، وَلَسَكُنْهُ يَحَاوِلُ أَنْ يَرَسُمَ صُورَةَ شَعْرِيَّةٍ
لِمَثَلِ إِنْسَانِيٍّ تَأْتِيهِ عَلَيْهِ ظُرُوفُهُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالطَّبَقِيَّةُ وَمَرَحِلَتُهُ التَّأْرِيخِيَّةُ ،
ثُمَّ يَعْطِي هَذِهِ الصُّورَةَ بِعَدِّ ذَلِكَ اسْمَ الْمَمْدُوحِ أَوْ يَرْبِطُهَا بِحَوَادِثَ وَقَعَتْ فِي
حَيَاتِهِ . وَعَلَى ذَلِكَ فَكُلُّ قَصِيدَةٍ مَدَحٍ جَيِّدَةٍ صُورَةُ شَعْرِيَّةٍ لِمُتَوَزِّجِ الْإِنْسَانِ
عَالٍ وَضَعَهُ الشَّاعِرُ تَبَعًا لِمُقَابَلَتِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي مَصْدَرُهَا دُونَ شَكِّ الْمُقَابِلِ
الْإِخْلَاقِيَّةِ لِلْمَجْتَمَعِ الَّذِي يَعْشِشُ فِيهِ .

فَبُودَةَ هَذَا الْبَيْتِ أَذِنَ لِأَتَعَوَّدَ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ صَدَقَ فِي وَصْفِ الْمُعْتَصِدِ ،
وَأَصَابَ فِي تَحْدِيدِ صِفَاتِهِ ، وَأَتِمَّا لِأَنَّهُ عَبَّرَ تَعْبِيرًا قَوِيًّا حَيًّا عَنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ
سَامِيَةِ تَقْصُرُ الْإِنَاءَةُ لِلْأُلُوفَةِ عَنْ التَّعْبِيرِ عَنْهَا بِإِخْلَاصٍ . أَمَّا أَنَّ الشَّاعِرَ لَكِي
يَحْظَى بِالْجَائِزَةِ أَوْ هُوَ الْمُسْتَعْتِدُّ بِأَنَّهُ يَصِفُهُ ، فَذَلِكَ مِمَّا لَا يَهْمُنُنَا فِي تَقْدِيرِ قِيَمِهِ

البيت الادبية ، بل قد تكون له أهمية تاريخية خاصة .

ومع هذه السطحية والابتذال في الافكار والمشاعر الذي يلفت على اكثر مقاطع هذه القصيدة ، فإن فيها ما يلفت النظر ويثير عجب الإعجاب واخص بالذكر بناءها اللغوي وتركيبها اللفظي . فابن عمار متمكن من النظم واسع الاطلاع على الالة ، فلا جرم إذن في أن تكون تعابير عن افكاره الهزيلة السطحية قوية متماسكة ، بل ان فيها براعة وحذقاً دفعت النقاد القدامى الذين عاصروا ابن عمار او جاءوا بعده ، الى تعجيد هذه القصيدة واعتبارها درة من درر الشعر . واسكن اختلاف مقاييس التذوق الادبي ولا سيما بيننا وبين نقاد ذلك العصر الذي ابتدأ فيه الادب يتجه الى العناية بالشكل فحسب دون الاهتمام بما يحتويه ، جعلتنا نقف منها موقفاً قد لا ينسجم مع ما قد قيل عنها حتى الآن .

ولمستعرض بسرعة هذه القصيدة لاقتين النظر الى ما يستحق الالتفات منها .

افتتح ابن عمار قصيدته كما يفتح كثير من الشعراء الاندلسيين قصائدهم ووصف مجلس من مجالس الانس حضره ونتمتع فيه . ومن متمات مجالس الانس لدى الاندلسيين الحدايق الغناء والطبيعة الجميلة التي تسكتف هذه المجالس او تحيط بها :

أدر الرجاجة فالنسيم قد انبرى
والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد اهدى لنا كافوره
لما استرد الليل منا العنبرا

والروض كالخسنا كساه زهره
 وشياً وقلده نداء جومرا
 او كالغلام زها بورد رياضه
 خجلا وتاه بأسه من معذرا
 روض كأن النهر فيه معصم
 صاف أطل على رداء أخضرا
 ونجزه ربح الصبا فتخاله
 سيف ابن عباد يبدد عسكرا

من الواضح أنه من العبث أن تبحث في هذه الآيات عن عواطف قوية
 ومشاعر صادقة مثيرة او افكار عميقة ، فقد اختفى كل ما هناك من عواطف
 ومشاعر وافكار سطحية تحت حجب من الصنعة البيانية هي التي تلقت النظر
 وتحجب الانتباه ، لقد بذل الشاعر جهده في البحث عن التشبيهات وتركيب
 استعارات ، لم يستطع مع جهده هذا في أن يتعد بها عما هو مألوف في
 عصره ، فالغلام كالغبر وضوء النهار كالسكفور ، والروض كالخسنا والزهور
 كالوشي والندى كالجومر ، او هو أى الروض كالغلام يتبعه بالبحر من الاحمرين
 اللذين يشبهان الورد وبالشمر النبات عليها والشبيه بالآس ، والنهر كالمعصم
 فوق الرداء الأخضر الخ .. ثم انتقل بعد ذلك الى المديح انتقالا يصفه النقاد
 القدماء بالبراعة والخلق ، وان كان لا يتصل بالتمن من قريب او بعيد .

ولا شك ان هذه المحسنات البيانية تساهم في تكوين القيمة الفنية للنص
 اذا كان الغرض منها زيادة قوة تعبيره عما يضمه من المشاعر والعواطف
 والافكار . أما أن تكون غرضاً في ذاتها فذلك مما يجعل النص الأدبي

شكلا اجوف ، قد يثير الإعجاب بتركيبه وحذق صياغته ولكنه لا يمس الحاسة الفنية ولا يثير في النفس الشعور الجمالي (الاستيتيكي) الذي يحسه المرء أمام قطعة فنية حقيقية .

بعد هذه المقدمة التقليدية ينتقل الشاعر الى غرضه الرئيس . وهو المدح فيقف جل القصيدة عليه . وقد حاول الشاعر ، كعادة المداحين من الشعراء ، أن يسبق على المعتضد شخصية مثالية تصف بكل مثل المجتمع العليا وتكاد تنحصر في اربع صفات : مجد باذخ ، ومكانة رفيعة ، وشجاعة منقطعة النظير ، وكرم لا يعرف الحدود . فلا يكاد يخلو بيت من بيت القصيدة الا رباعين الباقية من اشارة الى واحدة من هذه الصفات او عرض لها بشكل من الاشكال ، سواء أكان الحديث عن المعتضد ام عن ابنه اسماعيل ، ومما يلفت النظر براعة الشاعر في التعبير عن نفس الافكار بأشكال مختلفة وطرق متباينة : إلا في الغليل من الايات حيث يحطم هذه الحدود :

الحاجب المنصور سيف الدولة ... (١) معلى ... من الحباء الاكبر (٢)

علق الزمان الأخضر المهدي لنا

من ماله العلق النفيس الأخطرا

ملك إذا ازدهم الملوك بمورد

ونجاه لا يردون حتى يصدرا

أندي على الاكباد من قهار الندى

وأند في الاجفان من سقا الكرى

(١) كنفاء في الذخيرة وف ابن عمار

قداح زندالمجد لا ينفك من
 نار الوغى إلا إلى نار القرى
 ينحترار إذ يهب الخريدة كاعباً
 والطرف أجرد والحسام مجوهر
 أيقنت أنى من ذراه بجنه
 لما سقاني من نداء الكونزا
 وعلمت حقاً أن روضي مخصب
 لما سألت به الفهم المطرا
 يا سائلي ما حمص إلا خاتم
 أبصرت اسماعيل فيه خنصرا
 من لا توازنه الجبال اذا احتجى
 من لا تسابقه الرياح اذا جرى
 ماضي وصدر الرمح يكهم والظبي
 تنبو وأبدى الخيل تعثر في البرى
 لا شيء أقرأ من شفار حسامه
 إن كنت شبهت الكتاب أسطرا
 قاد المواقب كالسكواكب فوقهم
 من لامهم مثل السحاب كنهورا

وهكذا يستمر الشاعر يجول حول ممدوحه بشكل لا تكاد نحسن تجاهه

بغير الارهاق الذي ارهق به الشاعر نفسه لكي يسهل من افكار سطحية
مبتذلة اياتاً ذات قيمة لسامعيه ، فبالإضافة الى التكلف البياني وجه الشاعر
جهداً غير قليل للمحسنات البديعية كالطباق والجناس ، ولسكن التكلف
والتصنم فيها واضح بين يفقدها كل جمال في ارتأثير ادبي لقد كان عصر
ابن عمار مولعاً بالصنعة شغوفاً بتزويق الكلام ، فلا جرم اذا رأينا نقاد
العصر يعجبون بالشاعر ويطنبون في مدحه ، بينما تنحصر أهميته لنا بالتركيب
اللغوي لأبياته ليس غير .

واسكن من حق الشاعر علينا ان نقول ان روحاً جديدة ابتدأ يظهر في ابيات
القصيدة الأخيرة حين انتقل الشاعر للحديث عن نفسه وتصوير اهفته الى نوال
الامير وجهده في ارضائه وجلب عطفه وامله في ان تحظى ابياته التي بسذل
فيها ما بسذل من جهد وبراعة بالقبول لدى الملك .

واليك يا منصور قادت همتي

بزمامها جرد المذاكي الضمرا

مدت سنانكها القوادح للصفى

مرطاً على متن الظلام معصفرا

يجعلك قبلتك الهبة قبلة

ويردك ساحتك البهية مشمرا

خذما اليك وروضها لك ناضرا

اسميتك مـاء النعيم فنورا

نمقتها وشياً بذكرك مذهبا

وفتقتها مسكاً بحمدك أذفرا

من ذا يخالفي وذكرك منذل
أوردته من نار فكري بجرا
ولئن وجدت نسيم حمدي عاطر
فلقد وجدت نسيم برك أعطرا
واليكها كالروض زارته الصبا
وحنا عليه الظل حتى نورا

ان هذه الالفة وهذا التوسل والرجاء المنبعث من هذه الالفاظ القوية التركيب
المتينة البنّيان قد يعطي هذه الايات قيمة أدبية لا تجددها فيما سبق . ومع ذلك
فاننا نترك الحكم عليها للقارىء حيث يجددها كاملة في القسم الثاني من هذا
الكتاب .

لقد كان تأثير هذه القصيدة على المعتضد كبيراً جداً فاعجب بالشاعر
وقربه اليه وضمه الى ديوان الشعراء (١) حيث يتمتع برزق خاص .

الدالية

وبالإضافة الى هذه الرائية فان لدينا ست قصائد لا بد أن يكون الشاعر قد
كتبها في هذه الفترة من حياته ، أهمها قصيدة دالية تستحق أن نوجه نحوها
اهتماماً خاصاً وعناية كبيرة . مظهرها :

ألا للمعالي ما تعبد وما تبدى
وفي الله ما تخفيه عنا وما تبدى

(١) السج ١ ص ١١٧

ويبدو أن الشاعر نظم هذه القصيدة بعد الانتصار الرائع الذي أحرزه الجيش
الاشبيلي على البربر المقيمين في قرمونة قرب إشبيلية. ويبدو واضحاً في أبيات
هذه القصيدة نحمس ابن عمار لهذا النصر وفرحه به، ولا غرابة في ذلك
فقد كان بين الأندلسيين والبربر حقد متبادل جذير بأن يفرح كلا منهما بعصائب
خصمه، وقد كان لهذا الشعور دون شك، أثره في إعطاء هذه القصيدة قيمة
خاصة ولنستمع إلى الشاعر في إحدى مقاطعها نصف هجوم الأمير اسماعيل
بن المعتضد على قرمونة:

ورب ظلام سار فيه إلى العدى
ولا نجم إلا ما تطلع من غمد
أطل على قرمونة متبلجاً
مع الصبح حتى قيل كانا على وعد
فأرملها بالسيف ثم أعارها
من النار اثواب الحداد على القعد
فيا حسن ذاك السيف في راحة الندى
ويا برد تلك النار في كيد المجد

أفلا نحس برضى الشاعر وابتهاجه وبتشفيه بما حل بالبربر من ضيم؟
وعدهاء ابن عمار للبربر متأصل في نفسه وسرى أنه كان ذا اثر كبير
في اعماله وسياسته طيلة حياته، فلا عجب إذن في أن نحس بعواطف الشاعر
واحساسه في أبياته التي يتحدث فيها عنهم. فيقول مشيراً إلى ابن اسحاق
البرزالي حاكم قرمونة وباديس بن حبوس حاكم غرناطة، وكانا من اشد
امراء البربر شكيمة واقواهم سطوة:

يهوداً وكانت بربراً فانتفض الظبي
 وأنبتهم منها بالسنه لد
 أقول وقد نادى ابن اسحاق قومه
 لأرضك يرتاد المنية من بعد
 لقد سلكت نهج السبيل الى الردى
 ظباء دنت من غابه الاسد الورود
 كأنى بياديس وقد حط رحله
 الى الفرس الطاوى عن الفرس النهدي
 الى الفرس الجارى به طلق الردى
 سريعاً غنياً عن لجام وعن لبد
 يحن الى غرناطة فوق متنه
 كما حن مقصوص الجناح الى الورود
 ظفرت بهم فارخ وأومض كؤوسها
 بروفاً لها من عودها ضجة الرعد

لقد كان النزاع بين الانداسيين والبربر صفة بارزة من صفات القسم
 الاول من عهد ملوك الطوائف في الأندلس . وما نلاحظه في هذه القصيدة
 وامثاله ما هو الا انعكاس لهذا العداء المستحكم والنزاع الدامي .
 وكما فعل ابن عمار في قصيدته الرائية السابقة ، فعل في هذه القصيدة ،
 إذ خصص الأبيات الأخيرة منها لاستدراار عطف الملك واستجدائه وكسب
 رضاه ونواله . والواضح ان الشاعر لم يتورع عن الاستجداء الصريح والالحاح

في طلب هبة الأمير مبيدًا بوضوح أنه إنما يمدح ليحصل على الجزاء . ولا شك في أن أصل ابن عمار الطبقى وما كان يعانيه من فقر وعوزهما اللذان دفعاه إلى سلوك هذا السبيل في استجداء الأمير .

ولو قارنا أسلوبه هذا واسلوب ابن دراج وهو فقير مثله بأسلوب ابن زيدون مثلاً وبغيره من الشعراء ذوي المراتب الاجتماعية الأكثر سموًا ، لتبين لنا الفرق واضحا بين النفسيتين .

وابيات ابن عمار الأخيرة هذه قوية التركيب متينة البنيان ناجحة في التعبير عن لهفة الشاعر وأمله وشدة ثقته بالأمير واعجابه بما بذله هو نفسه من جهد في نظم قصيدته :

ودونكها من نسج فكري حلة

مطرزة العطفين بالشكر والحمد

الذ من الماء القراح على الصدى

واطب من صل الهوى عقب الصدى

وما هذه الأشعار إلا مجامر

تضوع فيها للندى قطع الند

وكنت نثرت الفضل في وأعما

نثرت سقيط الطل في ورق الورد

وها أنا باغ من نذاك بقدر ما

يضاف لتأميلي ويعزى إلى ودي

فأقسم لو قسمت جودك في الورى
على قدر التأميل فزت به وحدى

قنعت بما عندى من النعم التى
يفسرها قولى قنعت بما عندى

ورغم أن هذه القصيدة تفوق سابقتها، كما اعتقد. فى قيمتها الأدبية،
فإنها لم تحظ بالاهتمام الذى حظيت به القصيدة الرائية من قبل المؤرخين
عدا صاحب الخريدة فقد خصها بقسط كبير من المدح والأطراء.

أما القصيدة الثالثة التى لدينا من هذه الفترة فهى رائية (١) من
البحر « المتقارب » تتكون من ثلاثة عشر بيتاً يبدو أن الشاعر نظمها بعد
معركة ناجحة خاض غمارها المتضد ضد أعدائه، استعمل فيها الدهاء والرأى
بالإضافة الى السلاح. وفى هذه القصيدة صور مليئة بالحركة والحياة.
ساعد فى إعطائها هذه الصفة وزن القصيدة المتحرك وقافيتها « الساكنة »

تعاطى الخوارج حتى برز
تقوم من خدنها ما صعر

واقبلتها الخيل حمر البنود
دمم الفوارس بيض الفرر

فكروا فلم يفهم من مكر
وفروا فلم يفهم من مفر

ودارت دماؤهم كالـكـؤوس
 وفاحت نفوسهم كالزهر
 فمأقر سيفك حتى انحنى
 وعزبد رمحك حتى انكسر

اما القصيدة الرابعة (١) فهي كافية من البحر « الكامل » تتألف من عشرة ابيات فقط يصف فيها الشاعر مجلساً من مجالس الانس حضره المعتضد .

وتتضح في هذه الأبيات صفات شعر ابن عمار الرئيسة كاهتمامه بالمحسنات البديعية والبيانية وتعلقه بالتزييق اللفظي مع براعة في اختيار الألفاظ وصياغة الأبيات تلفت النظر .

اما بقية مالدنيا من شعر هذه الفترة (٢) فلا يكاد يلتفت النظر فيه شيء إلا أننا نلاحظ في إحدى هذه المقطوعات ، وهي قطعة من قصيدة مغلغها :

أشأقك برق ام جفأك حبيب
 فليلك فضفاض الرداء رحيب

امراً يلتفت النظر يتصل بعلاقة الشاعر بالملك .

ولا نمتلك من هذه القصيدة سوى أحد عشر بيتاً فقط ، يمدح فيها الشاعر المعتضد ، ولكنه يمر في الوقت نفسه عن خوف داخلي وحذر من وقوع مكر ويحاول تجنبه بالتحدث عن الوفاء والقدر ولا سيما ولاء الملك

(١) ديوان قصص ٤ .

(٢) انظر الديوان قصص ١٦ ٧ ٨٠ .

وحافظته على العهود وعزوفه عن الغدر .

مزحت فأنى يا ابنة القيل لم أكن
لأفشي سراً ضمنته قلوب

سأشهد قومي أن طرفك من دمي
بريء وإن كان الفتور يرب

وكيف أرى في الغدر نهجاً لسالك
وعهدى بالملك الوفي قريب

فنى نسخ الغدر اقتضاء وفائه
فلا نحكم أن الوفاء غريب

إن الخاح الشاعر على هذه الناحية مع ما نعرفه من بطش المعتضد وغدره
ليترك في نفوسنا انطباعاً قوياً عن حذر الشاعر وخوفه واحساسه بتغير نفس
الملك تجاهه . مما ستبدو آثاره بعد ذلك كما سنرى .

ابن عمار والامير محمد بن عباد (المعتمد)

وفي إشبيلية تفتحت امام ابن عمار آفاق جديدة ، تربت عليها نتائج مهمة
كان لها أكبر الأثر في مستقبله . ففي بلاط المعتضد تعرف الشاعر بالامير
محمد بن الملك وخليفته على العرش . ويبدو أن صفات مشتركة وميولاً متشابهة
جمت بين الرجلين ومنت عرى صداقة وثيقة أصبحت فيما بعد مضرب

الأمثال (١)

وعندما أرسل الأمير محمد فاتحاً لشلب ثم حاكماً عليها ، كان ابن عمار
ساعده الأيمن ورفيقه المقرب اليه (١) وهناك في شلب أصبح الشاعر البائس
الشريد شخصاً آخر لا يكاد يمت الى سابقه بصلة ، فقد غيرت الحياة المترفة
التي كان يحياها الى جانب الأمير في قصر الشراحيب كل مظهر من مظاهر
حياته القديمة البائسة . لقد استجاب الرقيقان لدواعي المتعة والأنس
واستسما للعازات والمباهج وانغمرا في التبذل والمجون بشكل بقيت ذكراه
عائقه في نفسيهما بعد ذلك بزمن طويل . فعندما أرسل المعتد صديقه بعد
ذلك بسنوات حاكماً على شلب ، خاطبه ، بآيات ذكر فيها هذه الحقبة السعيدة
من حياته ، قال فيها (٢)

ألا حبيي أوطان بشلب أيا بكر
وسلمن هل عهد الوصال كأأدرى
وسلم على قصر الشراحيب من فتي
له ابدأ شوق الى ذلك القصر
منازل آسـاد ويبيض نواعم
فناهيك من غيل وناهيك من خدر
وكم ليلة قد بت أنعم جنحها
بمخصبة الأرداف مجدبة الخصر

(١) المعجب ، ص ١١٧

(٢) فلائذ ، ص ٥ ، ديوان المعتد ص ١١

وبيض وسمر فاعلات بهيجتي
فعال الصقاح البيض والأسل السمر
وليل بسد النهر لهواً قطعته
بذات سوار مثل منعطف النهر

نضت بردها عن غصن بان منعم
نضير كما انشق الكلام عن الزهر

وباتت تسقيني الدمام بلحظها
فمن كأسها حيناً وحيناً من الثغرا

وتطربني أوتارها وكأني
سمعت بأوتار الطلي نغم البتر

وابن عمار نفسه لم ينس هذه الأيام الهائلة فقد بقيت ذكراها عالقة في
خاطره يستعيد لها كلما حاقت به السكروب وداهمته المصائب، وها هو ذا
يذكرها في قصيدته التي بهت بها إلى الأمير محمد بعد ذلك بسنوات وهو
في سرقسطة خائفاً من غضب المعتضد وبطشه وطامحاً بالحصول على عفو
ورضاء، قال (١) :

أشلب، ولا تنساب عبرة مشفق !
وحمص، (٢) ولا تمتد زفرة نادم !

(١) ديوان حمص ٩ .

(٢) يقصد حمص (أشيبابة) إذ كانت تسمى كذلك لأن جنم حمص نزلوا فيها بعد الفتح .

كساها الحيا برد الشباب فانها
 بلاد مها علق الشباب تماغي
 ذكرت بها عهد الصبا فكأنها
 قدحت بنار الشوق بين الحيازم
 ليالي لا ألقى على رشد لأنم
 عناني ولا أتنبه عن غي هائم
 أنال سهادي عن عيون نواعس
 وأجني عنادي من غصون نواعم
 وليل لنا بالسدين صفاطف
 من المهر ينساب السياب الأراقم
 بحيث أخذنا الروض جارا تزورنا
 هداياه في أيدي الرياح النواسم
 تبلغنا أنفاسه فنردها
 بأعطر أنفاس واذكي مناسم
 تسر إلينا ثم عنا كأنها
 حواسد تمشي بيننا بالغمائم
 سقنا به الشمس النجوم ومن بدت
 له الشمس في جنح من الليل فاحجم

وبئنا ولا واش يحس كأنما
حللنا مكان السر من صدر كأنم
هو العيش لاما أشتكيه من السرى
الى كل نمر أهل مثل طاسم

فيبدو واضحاً أن الصديقين الشابين لم يدعيا سبيلاً من سبل الأُنس لم
يسلكاه ولم يتركاه أبداً من ابواب التمتع لم يطرماه ، حتى اصبحا مضرب امثال
الناس وموضع حديث البعيد والقريب . لقد كان لهذه الأيام السعيدة وهذه
الحياة والصفات المشتركة أثرها الفعّال في تشديد روابط الصداقة وتوثيقها
حتى اصبح احدهما كما يقال لا يكاد يفارق الآخر . ومع ذلك فقد كان بحال
قلب ابن عمار الذي عرف الناس وخبرهم ، قلق عميق من مستقبل هذه الصلة
الوثيقة كما يقول دوزي (١) . تدل على ذلك القصة التي يرويها مؤرخو
الأدب الاندلسي والتي يقال انها حدثت في هذه الحقبة من حياة ابن
عمار ، ويبدو أن لهذه القصة اساساً من الصحة لأنها رويت في مصدرين :
ذكرها ابن بسام في كتابه « الذخيرة » (٢) نقلاً عن المعتمد بن عباد ،
ورواها عبد الواحد المراكشي في كتابه « المعجب » (٣) نقلاً عن ابن
عمار نفسه .

يقول ابن بسام ... ويتعلق بهذا القتل الشنيع خبر غريب المسموع من
ذلك الأوان وحديث طريف من الحداث ، اخبرت به عن غير واحد من
وزراء المعتمد ، وذلك أنه لما مضت لقتل ابن عمار ايام ، حضروا مع المعتمد

(1) Us. Esp, T.3P84 ,

(١)

(٢) الذخيرة ق ٢ ، ف . ابن عمار

(٣) المعجب ص ١١٧

في مجلس أنس . فلما طابت الأنف وأخذت منهم حميا الا كؤوس ، وراح
 المعتمد وهم عطفه ، وبدأ على قسبائه عطفه ، سئل عن هذا الخبر المستظرف
 الذي كانوا يسمونه من بعض السلف وأقسموا عليه بتخليد ملكه في ان
 يحدثهم بحديث كان اليه ينسب ، وقالوا هو من فم مولانا طيب . فقال لهم
 كلاما معناه ، لعل هذا الاستخبار عن شأن ابن عمار ، قالوا : أجل . وطلقوا
 يذودونه بالأنف واكثروا في وداده من شرب الا كؤوس ، فأخبرهم أنه
 كان أيام مقامه بشلب قد غلب ابن عمار على نفسه ، وأخذ بمجامع النسب ،
 فأمره واخذ عليه ، اذا دعا اصحابه أن يكون أول داخل وآخر خارج ،
 ليأنس به ويتمتع بأدبه ، فيجده ينفر تمار العذار ويتسلل من مجلسه تسلل
 الطريدة من يد الصائد . فلما أبى الا اطرادا عن اصله وطال عليه ذلك من
 فعله ، تقدم الى اصحاب سدة ليل في ترقبه ومنعه عن مذهبه ، وانذر
 وتهدد وابرق في ذلك وارعده . وقام ابن عمار كما داته فلم يخفل المعتمد ليلته
 بمكانه لما كان قد قدم من شأنه . فلما انقض من كان عنده التمه ففقدته ، وطلبه
 منتبها جهده فما وجده . واحضر من كان تقدم فيه ، فأخبر انه لم تقع له عين
 عليه . فراه امره وخفي عنه سره ، فظهر فينا بلغني سيفه واخذ الشمع بين
 يديه ، وجعل يطالبه حيث يحسبه ولا يحسبه ، فلما انتهى الى بعض الدهاليس ،
 اذا بحصير مطوى وابن عمار فيه اغمض من سرخفي ، عريان كالا فعوان .
 فأمر بحمله وهو قد تعجب من فعله . فلما استقر بالمعتمد الجحاس جعل
 يبسط جانب ابن عمار ويؤنسه ، وابن عمار يبكي فيضحك ، ويشكو
 فيشكك . فلما سكن قليلا وأفرخ روعه ورفى دمه ، سأله عن شأنه .

فاخبره أنه كلما كانت تأخذ منه الشمول يسمع كأن قائلاً يقول : يا مسكين هذا يقتلك ولو بعد حين . كلاماً هذا معناه . فلا يزال يطلب الأئس بوسعه فيبعد عليه ذلك ويمتنع حتى يصنع ما يصنع الى ان كان له معه الذي قد در (١) هكذا يروي ابن بسام هذه الحكاية مستنداً على حديث للمعتمد مع وزرائه . أما عبد الواحد المراكشي وهو أبعد عهداً عن عصر ابن عمار من سلفه ، فقد رواها بشكل يختلف بعض الاختلاف عن رواية ابن بسام . معتمداً على حديث لابن عمار نفسه . قال المراكشي :

«وله معه (اي لابن عمار مع المعتمد) أيام كونها بشلب خير عجب . وذلك ان المعتمد استدعاه ليلة الى مجلس أنسه ، على ما كانت العادة جارية به ، الا انه في تلك الليلة زاد في التحفي به والبرلة على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم المعتمد عليه : لتضعن رأسك معي على وساد واحد ! فكان ذلك . قال ابن عمار فهتف بي هاتف في النوم يقول ! « لا تغتر ايها المسكين انه سيقم لك ولو بعد حين ! » قال : فانتبهت من نومي فزعاً ، وتعوذت ، ثم عدت ، فهتف بي الهاتف على حالته الاولى ، فانتبهت ، ثم عدت ، فسمعتة ثالثة ، فانتبهت ، فتجردت من اثوابي والتفت في بعض الحصر ، وقصدت دهليز القصر مستخفياً به ، حتى آتى البحر فاركه واقصد بلاد المدوة فاكون في بعض جبال البربر حتى أموت . فانتبه المعتمد فافتقدني فلم يجدني . فامر بطلي ، فطلبت له في نواحي القصر ، وخرج هو بنفسه يتوكأ على سيفه والشمعة تحمل بين يديه ، فكان هو الذي وقع عليه ، وذلك أنه آتى دهليز القصر يفتقد الباب هل فتح ، فوقف بازاء الحصير الذي كسنت فيه ، فكانت

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار

مني حركة فأحس بي وقال ما هذا يتحرك في هذا الحصار ؟ ثم أمر به فنفض ، فخرجت عريافاً ليس علي إلا السراويل . فلما رأي فاضت عيناه دموعاً وقال : يا أبا بكر ، ما الذي حملك علي هذا ؟ فلم ارد بدأ من أن صدقته ، فقصصت عليه قصتي من أولها الي آخرها . فضحك وقال : يا أبا بكر اضغات احلام ، هذه آثار الحمار ، ثم قال لي : وكيف اقتلك ؟ أرايت أحداً يقتل نفسه ؟ وهل انت عندى الاكنفسي . فتشكر له ابن عمار ودعا له بطول البقاء ... » (١) .

ولا يهمننا الاختلاف بين الروايتين بقدر ما يهمننا اتفاقهما في وصف متانة عرى الصداقة بين الشاعر والمعتمد وشدة تعلق هذا الأخير بالأول مما سيكون له أكبر الاثر في حياته المقبلة .

وهكذا كانت حياة ابن عمار في شب ، حياة كلها متعة وائس ، وترف وبذخ بين جدران قصور الاسراء حيث العيش فيها اشبه بالاساطير .

العودة الى اشبيلية

في عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨) قتل المعتضد ابنه اسماعيل لاتهامه بالتآمر ضده ودعا ابنه الأمير محمد (المعتمد) حاكم شلب ليحل محل ابنه القتل ولياً للعهد وحاجباً للخليفة هشام المزعوم (٢) ، الذي اضطره ملوك بني عباد تبريرا لتسليمهم مقاليد الحكم . وهكذا عاد الأمير الى اشبيلية ليصحبه صديقه ابن عمار ليعيشافي بلاط المعتضد الملك المرعبي .

(١) المعجب ، ص ١١٧ . الخلة السراويل . ف ابن عمار . بنو عباد ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٢) البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٣٤٨ ؛ المعجب ، ص ١٠٠ .

ولكن مقام الشاعر لم يطل من هذه المدينة إذ سرعان ما اضطر الى مغادرتها متجهاً الى سر قسطة وشرق الاندلس . وقد ذكر ابن بسام في سبب هذا التفراق بين الصديقين أن ابن عمار « أرجس خيفة في نفسه من ابيه المعتضد ففر عن البلد ولحق بشرق الاندلس ... » (١) اما عبد الواحد المراكشي فيقول في سبب ذلك ان المعتضد « سلم اليه (اي الى ابن عمار) جميع اموره فغلب عليه ابن عمار غلبه شديدة ، وساءت السمعة عنها .. فاقنضى نظر المعتضد التفريق بينهما فغنى ابن عمار عن بلاده ... » (٢) .

وسواء أكان سبب ترك ابن عمار لاشبيلية خوفاً من بطش المعتضد ارضه منها ، فإنه لم يترك دون شك هذه المدينة وحياهه الطائفة الرضية فيها ، مختاراً راضياً ، بل مكرهاً حزناً وخائفاً مترقباً . وواضح من قصائده التي نظمها بعد ذلك أنه لم يكن يستطيع الرجوع اليها دون الحصول على عفو الملك ورضاه .

ابن عمار في المنفى

عاد ابن عمار الى حياته الشاقة للتمعية ، تمسك بخناق الحاجة ويطارده الحرمان رغم رعاية المقتدر بن هود أمير سر قسطة له وعنايته به ، وطفق يتنقل بين هذه المدينة ومدن شمال شرقي الاندلس الأخرى ولا سيما لاردة حيث المستعين بن هود اكبر اولاد المقتدر ، دون كبير جدوى او نفع ، فقد كانت حياته عسيرة شقية تذكره دائماً بالايام السعيدة التي قضاه الى جانب صديقه في شلب وإشبيلية ، لذا فقد كان هم الشاعر السعي بكل ما لديه

(١) الذخيرة ٢١٢ ف ١٠ ابن عمار

(٢) المعجب ١ ص ١١٧

من وسائل واساليب للخطوة بغفر المعتضد والعودة الى إشبيلية سريع احلامه
ومحط امانيه ، ولم تكن هذه الوسائل والاساليب تتمدى التوسل الى المعتضد
حينئذ الى ابنه الامير محمد حينئذ آخر والى هذا الصديق او ذاك ممن يتمتع
لدى ملك إشبيلية بخطوة وتأثير في اطوار اخرى . وهكذا كان بعد ابن
عمار عن إشبيلية وشوقه الشديد اليها مصدر إجماع مستمر ومبعث الهام شعري
دائم له مدة بقائه في هذه البلاد . فترك لنا نخبه من خيرة انتاجه الادبي
رغم أنه نزر قليل إذا ما قورن بالمدة الطويلة التي قضاه الشاعر في تلك الاصقاع
والتي يبدو أنها قاربت عشر سنوات .

إن ما لدينا من شعر ابن عمار الذي لا بد أن يكون قد نظم في هذه
الفترة لا يتجاوز في الواقع اربع قصائد ، واحدة كتبها الى المعتضد والثانية
ارسلها الى المعتمد والثالثة والرابعة ارسلها الى أبي الوليد بن زيدون
وزير المعتضد ومشايرو الاول . ولكن هذه القصائد على قلتها نماذج قيمة
لاروع ما نظم ابن عمار من شعر وخير ما قدمه من مساهمة في التراث الادبي
الأندلسي .

الهيمة

اما القصيدة الاولى هيمة (١) من البحر الطويل تشتمل على ثلاثة وتسعين
بيتاً ارسلها الشاعر من سرقسطه الى صديقه الأمير محمد (المعتمد) في إشبيلية
وضمها كل ما كان يجول في نفسه من افكار وانطباعات ، واهتمل في قلبه
من مشاعر وعواطف واتعالات واحساسات ، كما كتب فيها كل ما يملك من

(١) ديوان نص ٩

مقدرة على نظم القصيد وبراعة في سبك الالفاظ ، حتى اننا نستطيع اعتبارها النموذج الحمى لشاعرية ابن عمار في وجوهها المختلفة ، في قوتها وضعفها ؛ في أصانها وتكلمها ، في تحليقها وهبوطها . انما نستطيع أن نكتشف خلال هذه الايات الثلاثة والتسعين شاعراً مبدعاً جديراً بأن يحتل مكاناً احسن بكثير من هذا الذي يحتله الآن ، شاعراً يجمع بين غزارة الشعور وتدفعه ، وتملك ناصية الصياغة الشعرية والصناعة الكلامية .

امّا نامة هذه القصيدة فهي شكوى وتذمر ، واسكنها شكوى تختفي فيها العواطف الممتلئة خلف التكلف البياني الواضح والتشبيهات المصطنعة التي تكاد تقرب من الابتذل ، بل وسكاد ابن عمار رد على قصيدة ابن زيدون اللامية المشهورة التي نظمها شاكيًا مزاره السجين وغنت الحياة وقسوة الدهر والتي قال في مطلعها (١)

الم بأن أن يبكي الغمام على مثلي .

ويطلب تأري البرق منصل المصل

وهلا اقامت النجم الليل مأمناً

لتندب في الآفاق ما ضاع من نبلي

فيقول (اي ابن عمار) :

علي والا ما بكاء الغمام

وفي والا ما نباح الحمام

(١) الاخيرة ، ق ، ج ، ١ ، ص ٢٧٣

وعني أثار الرعد صرخة طالب
لثأر وهز البرق صفحة صارم

وما لبست زهر النجوم حنادها
لغيري ولا قامت له في مآتم

وهل شققت هوج الرياح جيوبها
لغيري أو حنت حنين الروائم

ويستمر كذلك محاولاً تقليد الشعراء القدامى ، فيصف الخيل وسرعتها
إلى أن يصل إلى التحدث عن ذكرياته السابغة في إشيدلية وشلب ، فنلاحظ
آنذاك روحاً جديداً ابتدأ يسرى في القصيدة ، روحاً منشؤها الاخلاص
والصدق والمواطف الفياضة ، وقد مررت ببعض هذه الأبيات عند حديثنا
عن حياة ابن عمار في شلب .

ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى ذكر حاله في سرقسطة ليتضح الفرق بين
الماضي السعيد والحاضر الشقي ، فهو يشكو من كل شيء : من صعوبة العيش ،
وجفاء الناس وجهلهم وما يحيط به من دسائس ونحائم فيقول :

هو العيش لا ما أشتكيه من السرى
إلى كل نفر أهل مثل طاسم

وصحبة قوم لم يهذب طباعهم
لقاء أديب أو نوادر عالم

صمالك هاموا بالفلأ فتدروا
جلود الأفاعى تحت بيض النعام
ندامي ولا غير السيوف أزامري
لديهم ولا غير الغموم كما نمي
وما حال من ربه ارض أعارب
والقت به الأقدار بين الأعاجم

ويغضب ابن بسام لتعامل الشاعر على اهل سرقسطة هذا التعامل العنيف
وهجوم هذا الهجاء المقتدع فيقول : « وما ينقضي عجبى من ابن عمار أن
ينكر تلك الهبة على اهل نجر أبناء قتلى وبقايا اسرى فما خلوا من ميعه من
النصارى اذ مسافة ما بينهم اقصر من ايام الحبارى ، وبلد مع مجرعواليهم
وموقد صاليهم ومحقق اعلامهم ودربة سهامهم . (١) » ويستمر ابن
عمار قائلا :

يقبح لي قوم مقامي عندهم
وقد رسفت رجل السرى في الادم
يقولون لي نع ايدى العيس انها
تؤدى الى ايدى الملوك الحضارم
فديتهم لم يبعثوا حرص عاجز
ولا نبهوا اذ نبهوا طرف نائم

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ج ٢ ، ف ابن عمار

ولسكنها الايام غير حوافسـل
أأرب اريب او حزامه حازم
وانى لأدعو لودعوت لسامع
وانى لأشكو لوشكوت لراحم
اريد حياة البين والبين قالى
وارجو انتصار الدهر والدهر ظالمى

ثم يعود يبحث عن خلانه واصدقائه الذين يرجو منهم ان ينفقوا الموقف
الذى يتطلبه الاخاء وتقتضيه الصداقة :

وبئت اخوان الصفاء تغيروا
وذموا الرضى من عهدى المتقادم
لقد سخطوا ظالما على غير ساخط
عليهم ولاورا ضلة غير لائم

ومع ذلك فان الذى يراود احلامه ويستهوئ خيالاته ، هو غفوا المعتضد
ورضاء . عند ذلك فقط تبدأ حياته من جديد رضية مشرقة فيتمحى الماضي
بكل ما فيه من عنف وقسوة وآلام وتزول الصغائر من النفوس ويتسم
الدهر وتزهو الحياة :

ولو أن غفواً من هنالك زارى
لزرت وما عدو الزمان بدائم

أجر ذبول الليل ساقطة الدجى
واركب ظهر العزم صعب الشكائم
فاورد ودى صافياً كل شارب
والبس حمدي ضافياً كل شائم
وأغضي لمن يلقي بوجهه مكاره
حياءاً فألقاه بوجهه مكارم
وما هو الا لثم كف محمد
وممكن كفى من نواصي المظالم
ان اتفقت لي فالعدو موافق
على كل حال والزمان مسالم

بعد هذه الموضوعات الشخصية ينتقل الشاعر لممدح الأمير محمد وابه
المتنشد فيطيل في ذلك كل الاطالة ويفتن في استعمال البديع والبيان ويفوض
خلف التشاويه النادرة والمجازات الغريبة فيستثير اعجاب نقاد عصره ومن
جاء بعدهم ممن اولعوا بالصنعة وشغفوا بتعميق الكلام . ولكن رغم
ذلك فاننا نحس بلوعة الشاعر وتلهفه الى رضى الأمير ، نحس بشعور عميق
يحرك الشاعر ويدفعه الى التوسل والرجاء والاستعطاف ، بل وحتى الى
المبالغة في المدح . فيقول مقدماً قصيدته الى الامير محمد :

ابا القاسم اقبلها اليك فاعلم
شاؤك مسكي والقوافي لطاعمي

محلة عذراً فانك جملة
من الفضل لم استوفها بتراجم

فديتك ما حبل الرجاء على الثوى
بواه ولا ربح الوفاء بتمام

انا العبد في ثوب الخضوع لوانني
ارى البدر تاجي والنجوم خواتمي

وما عز في الدنيا طلاب لما جدد
ولا اعتاص في الايام ورد لحاسم

ولكن ذاك الظل اندي غضارة
لضاح وذاك البرق اوفي لشام

واني - اذا انصفت، بعدك خادم
لدهري وكان الدهر عندك خادمي

الى أن يقول :

وتقت بحظي منك لم اخش نبوة
عليك وأرم بالظنون الرواجم

ولو نهضت بي قدرة كل ساعة
لأديت من تقبيل كفك لازمي

لعل الذي أقضى بفرحة راحل
 عيوناً سيجلوها بفرحة قادم
 فترجع أيام مضت وكأنها
 إذا امتثلتها النفس للذة عالم

ثم ينهي الشاعر قصيدته متمنياً للأمر السعادة والهناء وطول البقاء .
 لقد حظيت هذه القصيدة كما مر بالعجب أهل عصر الشاعر ونقادها فطنوا
 في أطرافها ومدحها واقتباس ما جاء فيها من المعاني والأفكار والتشبيهات
 حتى أن ابن بسام يقول « أما معاني هذه القصيدة فحجة مسلوكة ومضغة
 ملوكة . قد كثرت تجاذب الشعراء أهداها وقرعوا بابها حتى صارت كاللؤلؤ
 المذلل والمهيع من السبل ... (١) ويذكر بعض مؤرخي الأدب الأندلسي
 كمحمد الواحد المراكشي (٢) أن ابن عمار نظم هذه القصيدة في سرقسطة
 وأرسلها من هناك إلى الأمير محمد بن عمار ، إلا أن ابن الأبار يذكر (٣)
 أن الشاعر كان في لاردة في شرق الأندلس حين نظم قصيدته هذه وأرسلها
 لصديقه من تلك المدينة رسواً . أصبح هذا القول أم ذاك فإن من الواضح أن
 ابن عمار نظم قصيدته بعد مفارقتها لاشبيلية أثناء حكم المعتضد وأنه كان
 لا يزال قريب عهد بحياته السعيدة التي قضها هناك .

أما القصيدة الثانية التي نظمها في هذه الفترة فلدينا منها أبيات غزلية
 لا بد أن تكون فاتحة قصيدة طويلة أرسلها إلى المعتضد من منفاه . وإهمية
 هذه الأبيات التي لدينا تنحصر في كونها خير نموذج لغزل ابن عمار

(١) ابن بسام ، الأخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

(٢) المراكشي ، المذهب من ١٩١ .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ف ابن عمار .

ولأسلوبه في وصف مشاعر الحب والصبابة، وهو أسلوب قد يرضى نقاد
عصر الشاعر ولكنه بعيد جداً عن أن يحدث هذا الاثر في نفوس من
لا يكتفون بالتنميق اللفظي والمبث البياني والمبالغة الملهمة، بل يبحثون عن
المواطف العميقة والتحمس الفنى، يقول في مطلع هذه الايات (١)

جاء الهوى - فاستشعروه - عاره

ونصيه - فاستعذبوه - أواره

قالوا اضربك الهوى فاجبتهم

ياحبذا - وحبذا - أضراره

الى ان يقول واصفاً حبيبته:

من قد قلبي اذ تنفى قدده

واقام عذرى اذ اطل عذاره

أم من طوى الصبح المنير نقابه

واحاط بالليل البهيم خفاه

غصن ولكن النفوس رياضه

رشأ ولكن القلوب عراره

سخرت بيد الهم غرته كما

أزرت على آفاقه ازدراره

أنحس في هذه الطباقات المتكافئة والجناسات المصطنعة أى أثر للشهور

(١) انظر ديوانه ص ١٠ .

الحزن والاحساس العميق ؟ كلا طبعاً . . . إن هذه الظاهرة لدى كثير من الشعراء المتمكنين من النظم لتجلب إليها الانتباه . فما نعرفه عن ابن عمار يدل على أنه كان منهمكاً بالذات مغرمًا بالنساء ، حساساً تجاه الغلمان ، فلم لا ينعكس هذا الميل في الشعر ؟! . . . فنحن لانكاد نحفظ في الشعر الذي نظمته الشاعر في هذه المناسبات سوى معان مبتذلة وافكار اخلقها الشعراء اعادة وتكراراً . أفنستطيع القول إن ابتذال المرأة نفسها في الاوساط الارستقراطية الاسلامية افقدها أثرها الروحي وجعل منها أداة للعبث واللعب والتمتع ؟ وهل يمكن ان تكون المرأة مصدر وحى والهام اذا لم تكن ذات منزلة رفيعة في نفس الشاعر وموضع احترامه وتقديره ؟!

وعلى كل حال فما لنا نطلب من ابن عمار أن يخلص ويبدع وهو لم ينظم هذه الايات تغزلاً بحسنة او شوقاً الى حبيب وانما اتخذها وسيلة يبدأ بها قصيدته لينتقل بعد ذلك الى غرضه الاصيل وهو الاعراب عن شوقه الشديد لاشبيلية ومدحه للملك المعتمد عباد حيث يقول :

فوحسنه لقد انتدبت لوصفه

بالبخل لولا ان حصاً داره

بلد رمتني بالمتى اغصانه

وتصبرت لي بالندى انهاره

بلدتي اذكره هيج لوعتي

واذا قدحت الزند طار شراره

اما القصيدتان الاخرتان اللتان لدينا من هذه الحقبة فقد ارسلها

الشاعر الى الوزير أبي الوائدين زيدون الشاعر المعروف مستشار المعتضد الاول
ويده اليمنى . والقصيدتان مثالان نموذجاً رائعاً من ادب الرسائل الشعرية .
فلما اولاهما فهي بائنة من البحر الطويل لدينا منها اثنا عشر بيتاً ، مطلعها (١)

تأملت منك البدر في ليلة الخطب

ونلت لديك الخصب في زمن الجذب

يقول فيها معاً تباً صديقه القديم :

أحين سقى صوب اعتائك ساحتى

فنعما واهز روضى في تربى

نذيت لعطف قد نذيت مدانجى

عليه وسرب قد بدلت به سربى

أما انه لولا عوارضك التي

جرت في جرى الماء في الفصن الرطب

لما ذدت طير الود عن شجر القلى

ولا صنت وجه الحمد من كلف العتب

واكن سأكنى بالوفاء عن الجفا

وأرضى بعدد بعد ما كان من قربى

وان لمحتنى من سمائك حرجف

سأهتف بإبرد النسيم على قلبى

(١) ديوان ، قص ٨

وإني إذا قللت جاهك مطلبي

واخفقت فيه قلت يازمني حسي

أبظالم في عيني كذا قر الدجى

وتذبو بكفى شفرة الصارم المضرب

وأما ثانيتهما فهي لامية من البحر الكامل المجزوء ، فيها من الابداع

الشمرى ما بلغت النظر ويجلب الانتباه ، مطلعها (١) : (م)

كيف اعترزت على الدليل

وقطعت أسباب الوصول

وفي النصيدة عتاب مرير وشكوى قارصة من موقف ابن زيدون تجاه

صديقه القديم رغم ما يجمعهما من ذكريات وما تمتعا به مشتركين من سويعات .

أبرزت في خلق الكريد ... (م)

م وراءه خلق البخيل

ودعـوتـى حتى أجب .. (م)

.. بك ثم حدث عن السبيل

جد بالقليل فان ... (م)

سي منك تقنع بالقليل

واذكر على زمن قطعـ .. (م)

سناه بصافية شمول

(١) دهران قص ١١ - الذخيرة ١ ج ١ ، ٢٧٣

اذ نسحب الاذيال ما
بين الخليج الى النخيل

(م) ونحل من سيف الغدير..
ر بقية الظل الظليل

والروض ممطرور تم
عليه أنفاس القبول

(م) والشمس ترمقنا خلال
الغيم عن طرف كليل

أبان يحدو الرعد من
ورق السحاب كالمحول

(م) ويهز كصف البرق في
الآفاق مرهفة النصول

(م) زمن ستيكيه الحمام
معي وتذهل عن هديل

يابرق أد رسالتني
تهديك تقمى من رسول

عرج بشلب محيياً
ماشتت من تلك العلول

واطلع على شرفات حمص

قرارة الشرف الاثيل

فاذا اجتلاك ابو الوليد

بناظر اليقظ النبيل

فاقرأ من قلبي سلاماً

يقتضى حسن القبول

نم ينفي الشاعر بعد ذلك في مدح الوزير طالباً منه الشفاعة لدى الملك

المربع :

إشفع عنايتك الجليلة (م)

لي لدى الملك الجليل

وعاقداً أمه كله عليه .

وواضح أن في هذه الايات غير قوة التركيب ومثاته التعبير شيئاً آخر

يتفجر من الالفاظ فينغذ الى الذنوس ، شيئاً نستطيع أن نقول إنه جزء من

نفس الشاعر نوح في أن ينزعه انتزاعاً ويضله باحساسنا ، فشعرنا به دون

أن نستطيع تمييزه بوضوح .

هذا كل ما لدينا من شعر ابن صمار في هذه الحقيبة العسيرة من حياته التي

قضاهها منفيًا في سرقسطة وشمال شرقي الاندلس . إن مؤرخي الأدب الذين

عنوا بأخبار الشاعر لم يحددوا لنا بدايتها ، فكل ما نعرفه عن ذلك ، هو

أن ابن مزارق من إشبيلية كما ذكرنا بعد رجوع الأمير محمد (المعتمد)
إليها عام ٤٥٠ بفترة من الزمن لاسبيل إلى تحديد ما اعتمداً على ما لدينا من
أخبار . ولكن الشيء الذي اتفق عليه هؤلاء المؤرخون ، أن هذه الحقبة
المريرة من حياة الشاعر انتهت بوفاته المعتمد عام ٤٦٠ هـ (١٠٦٩ م) وبحي
ابنه المعتمد على عرش إشبيلية . إذ سرعان ما استدعى ابن عمار من منفاه
ليحتل قرب الملك الجديد أعلى الراتب وأسمى المناصب

ابن عمار في أثناء حكم المعتمد بن عباد

لقد أحدث مجيء المعتمد الى العرش تحولاً خطيراً في حياة ابن عمار، فلم يعد ذلك الشاعر الأفق الذي يمشي من إحسان الآخرين وعطفهم، ولا ذلك الذي يتمد في حياته على رضى وارتياح كبار رجال عصره الذين سخر كل مواهبه، ولاسيا الشعب، لخدمة أغراضهم والاستجابة لأهوائهم. لم يعد ذلك الشاعر البسيط ذا الأصل المصور والمزلة النافذة والمكانة المزدرة، وإنما أصبح شخصاً آخر يختلف كبير الاختلاف عن سابقه، فقد استبدل بمهنته مهنة أخرى أسمى مركزاً وأعلى مقاماً، واتخذ لنفسه، بدل طبقته الواطئة طبقة أخرى أرفع جاهاً وأهى حياة. لقد أصبح من خاصة الاشراف بكل ما يتطلبه الانتساب لهذه الطبقة من ترف وبذخ وحياة ناعمة ومشاعر خاصة. لقد أصبح رجل دولة وقابضاً على زمام حكم، مع جميع ما تقتضيه هذه الرتبة من غنى وقوة وتفوذ. وأما الشعر فلم يعد وسيلة الأصيل للعيش، وإنما حلية وزينة تتطلبها مقتضيات الحياة الأرستقراطية ومراكزه الاجتماعى الجديد.

إنه لما يبعث العجب أن نلاحظ الى اى مدى هائل أثر تبدل طبقة ابن عمار، أى تبدل حالته الاقتصادية ومزلقته الاجتماعية في شعره. ولو أن ذلك لايعنى أنه قطع صلته بماضيه، بل على العكس من ذلك فقد بقي لأيامه

الماضية اثرها الكبير في حياته السياسية والأدبية . وسرى الشواهد على ذلك حينما نستعرض نشاطه السياسي والأدبي .

ابن عمار السياسي

لقد كان من ألمع شخصيات عصره السياسية ، بل إنه نموذج فريد من نماذج الساسة في العصور الإسلامية المختلفة ، يستحق منا كل عناية واهتمام . وقد كان لحياته الأولى ونشأته أثر واضح في سيرة معرفته بالمعصر الذي يعيش فيه والناس الذين يخاطبهم . وهما نحن نحاول في السطور القادمة إيضاح الخطوط الأساسية في سلوكه السياسي قبل أن نتطرق الى أعماله السياسية التي هزت إسبانيا المسلمة طيلة تسلمه مقاليد الوزارة في إشبيلية .

لقد كان همه الأول في هذا الميدان هو احتكار صداقة الأمير - إذا صح هذا التعبير - وتقوية نفوذه لديه ^(١) إلى أن شهد في نفسه القوة على العمل لحسابه الخاص والاستغناء عن سيده . ولم تكن الجهود التي بذلها للوصول الى هدفه هذا صعبة التحقيق ، إذ لم يكن أمامه عند رجوعه الى إشبيلية سوى أبى الوليد بن زيدون وزير المعتضد ، ولدى المؤرخين المسلمين إشارات عديدة الى الشعور غير الودي الذي كان يعتل في نفس ابن عمار تجاه وزير دولة بني عباد المتنفذ ، والى المحاولات المختلفة التي قام بها للتخلص من غربته . وقد نجح أخيراً في معاهه عندما أقتنع المعتمد بإرسال ابن زيدون من قرطبة الى إشبيلية لانقاذ ثورة قامت ضد اليهود هناك . ولم تكن حال ابن زيدون الصحية لتسمح له بتحمل مشقات السفر ومتاعبه فيما كانت تمر بضعة أيام على وصوله الى إشبيلية حتى لفظ أنفاسه الأخيرة في عام ٤٦٣ هـ

(١) الذخيرة ، ٢ ، ف ابن عمار . ابو الوليد بن المصفي .

لقد بقي ابن عمار صاحب الفوذ الأوحـد تقريباً على المعتمد ، مبعـداً عنه كل من لا يرغب فيه . وقد قلنا تقريباً ، لأن شخصية أخرى في حياة الملك لم تكن قليلة التأثير فيه حتى آخر أيام حياته ، ونقصد بها اعتماد الرميكية زوجة المعتمد الحسناء ، التي كان قد التقى بها على شاطئ الوادي الكبير في صراج الفضة في ضواحي إشبيلية ، فتمت بحالها وشغف بها حباً ، فاشترعها من سيد عارميك بن الحجاج وتزوج بها . لقد كانت الشخص الوحيد الذي شارك المعتمد في سرائه وخصائه حتى نهاية حياته في منفاه الدائمي .

إن ما نعرفه عن علاقة ابن عمار باعتماد يشير الى أن الشاعر كان مع المعتمد حين التقى بهذه الجارية الحسناء ، كما نعلم أيضاً أنها كانت عدوته اللدود في آخر حياته ، بل إنها كانت سبباً رئيساً من اسباب القضاء عليه . ويذكر المؤرخون الاندلسيون أن سبب هذا العداء العنيف هو قصيدة نظمها ابن عمار في عجب المعتمد (٢) وكان لا اعتماد فيها من هذا الهجاء أو في نصيب . حيث قال :

(م) تخيرتها من بنات الهجان
رميكية ما تساوى عقالا

(م) خبأت بكل قصير العدا
... ر لئيم التجارين عما وخالا

(١) الأخير ج ١ ، ص ٣٥٥ . عبد السلام اللطوف ، بنو عباس ، ص ١٤٢ .

(٢) انظر الديوان ، قس ٥٩ .

بصفر الوجوه كأن استها
رماعم فجاوا حيارى كسالا

والسكن ، لنا أن نقسام ، أكان ابن عمار يصل في الاقذاع الى هذا
الحد لو لم يكن العداء بينهما مستحكما منذ أمد طويل ؟ من الواضح أن
كرهاً متبادلاً كان متغلغلاً في نفسيهما قبل ذلك بوقت ليس بالقصير ، أي
في أثناء مقام ابن عمار في إشبيلية وهو في قمة مجده وعنفوان نفوذه ، وإلا
لما اختارها ليصب عليها جام غضبه ويوجه اليها أقذع شتائه . ولا نريد
أن نزعّم أن صداقة الاعتماد الشديدة لابن عمار أنارت غيره اعتماد
فليس بين أيدينا من المعلومات ما يثبت ذلك ، الا أننا لانريد ايضاً ان
نتناقل تعاماً عن وجود أثر لعلاقة الملك بوزيره على علاقة زوجته به
وشعورها نحوه وسلوكها تجاهه .

لقد استطاع ابن عمار أن يرمح من طريقه جميع منافسيه عدا اعتماد
التي بقيت عدواً خطراً لم بكل عن محاربتة حتى قاده الى حتفه .
أما في ميدان السياسة العامة فقد كان ابن عمار يمثل اتجاهاً مهماً جداً
في سياسة ملوك الطوائف في إسبانيا المسلمة آنذاك . لقد كان لابد للسياسة
المسلمين في تلك الفترة المضطربة من التأرجح الأندلسي أن يختاروا - كما اعتقدت
واحداً من هذه الخطوط السياسية الرئيسة الثلاثة ، متخذين مصالح دويلاتهم
التي تكون جزءاً لا يتجزأ من مصالحهم الشخصية قاعدة لسياستهم .
اولاً : سياسة إسلامية . باعتبار أن مصلحة دويلاتهم مرتبطة بمصلحة

الاسلام ، وعندئذ لابد لهم أن يضعوا نصب أعينهم توسيع نفوذ الاسلام ومحاربة المسيحيين ، وتضحية جميع الأهداف الثانوية الاخرى في سبيل هذه الغاية النبيلة السامية العليا . ولنا الآن يصدد بحج إمكان تطبيق مثل هذه السياسة آنذاك ، والسكن ما نستطيع قوله ، هو أن أنصارها لم يكونوا كثيرى العدد بين الساسة الاندلسيين في حياة ابن عمار ، ولم يكن لهم تأثيرهم في حياة البلاد السياسية آنذاك . وعلى كل حال ، فلم تكن هذه السياسة مطلقاً سياسة ابن عمار .

ثانياً : سياسة مساواة وحفظ للتوازن . وذلك بقبول الحال الموجودة والمحافظة بكل الوسائل على التوازن السياسى ، والتشبث بفكرة التعايش السلمى بين جميع دول الطوائف . وربما كانت اسباب إتباع سياسة مثل هذه ، هى الضعف ، او عدم التمكن من عمل غير ذلك ، او الاكتفاء بالوضع القائم . وقد كان أنصار هذه السياسة عديدين بين حكام المقاطعات الصغيرة والحصون المستقلة القائمة هنا وهناك في أطرافها . وقد اتبعت في حياة ابن عمار السياسية بشكل يختلف قوة وضعفاً من قبل بنى الأفطس أمراء بطليوس ، وبنى زبرى أمراء غرناطة وبنى عامر أمراء بلنسية وبنى طاهر أمراء مرسية . الخ . والسكن تزايد خطر المسيحيين في الشمال في أواخر هذه الفترة وضع ملوك الطوائف امام ظروف جديدة تفرض عليهم تبديل سياستهم والاتجاه نحو سياسة تقارب في مظهرها السياسة الاسلامية التى مر ذكرها ، وسنتحدث عن ذلك في حينه . إلا أن سياسته التعايش السلمى هذه لم تكن هي ابدأ

سياسة ابن عمار .

ثالثاً : سياسة توسع وطموح ، تهدف الى توسيع رقعة المملكة بكل الوسائل الممكنة ، سواء أكان ذلك عن طريق الحرب او المؤامرات او الشراء او المعاهدات الخ ... وقد كانت أهم الدويلات التي اتبعت هذه السياسة بوضوح ممالك بني عباد في إشبيلية ، وبنى ذى النون في طليطلة . وبنى هود في سرقسطة . وكانت قوة هذه الدويلات النسبية حافزاً مهماً دفع رؤسائها الى اتباع هذه السياسة .

ولكن هذه الامارات لم تسكن مع ذلك على مبلغ من القوة بحيث تستطيع الدفاع عن نفسها تجاه الأمراء المسيحيين الأقوياء من جهة : والتوجه نحو التوسع والفتح ومهاجمة الحصون القوية والمدن المنيعه التابعة لدويلات الأخرى من الجهة الثانية . فليس هناك إذن سوى سبيل واحد لاتباع مثل هذه السياسة ، وذلك بضمان صداقة الدويلات المسيحية الشمالية بالتنازل لرغباتها وشروطها ، بل وبإتفاوت معها إذا اقتضى الأمر . وقد كانت شروط الدول المسيحية ومتطلباتها الثقيلة سبباً مهماً من أسباب تحديد نطاق مثل هذه السياسة . ومع ذلك فقد كان ابن عمار يظلمها الأول في أقصى حدودها وأوضح مظاهرها .

ولاشك أن اتجاه ابن عمار نحو هذه السياسة وتشبثه بها كان مرجعه الى معرفته الثامة بحال الملوك الأندلسيين ، هذه المعرفة التي اكتسبها من سفراته الطويلة وتجاربه الكثيرة والتي أملت عليه موقفه تجاه

الملوك المسيحيين عموماً ونجاء القوننس السادس على وجه الخصوص .
كان أبو بكر يعرف ضعف ملوك الطوائف المسلمين ، ويدرك قوة
ملك قشتالة النامية ، لذا وجه همه الى توثيق الروابط وتقوية الصلة بهذا
الاخير . فقد كان القوننس السادس في الواقع الحكم الوحيد القادر على
فرض وجهة نظره في النزاع المبرر القائم بين الأمراء المسلمين ، فالجميع يدفعون
له الأتاوات ويستسيحونه الرضى والعطف ليتجنبوا هجماته ويحفظوا بصداقته .
ويبدروا ضحاً من أقوال المؤرخين المسلمين أن ابن عمار كان يوجه عناية خاصة لأرضاء
الملك المسيحي واكتساب وده وأن جهوده هذه آتت ثمارها وعادت
عليه بنتائج لم يستطع نيلها غيره من ساسة المسلمين . فقد ذهب لزيارة
الملك مرات عديدة ، آتار سولاً للمعتمد وطوراً بصفته الشخصية ، حتى
أن بعض المؤرخين يقول ، إنه كان موضع إعجاب الملك وتقديره (١) ، بل
من المحتمل جداً أن لا يكون ابن عمار قد تمرد على المعتمد دون رضى القوننس
السادس وتشجيعه أو على الأقل ، دون مشورته . وروى أبو الطاهر
النجيمي في هذا الموضوع أن القوننس السادس اهدى لابن عمار بعد احتلاله
لمرسية التي تمرد فيها ، وطرده لابن طاهر كما سيأتى ذكره ، خاتماً ، فلما سمع
هذا الاخير بذلك قال متهاكاً « أخاتم التأمير أم التأمين » فغضب ابن عمار عند سماعه
بذلك وهدده بقصيدة قال فيها (٢)

(١) المعجب ، ص ١١٩ .

(٢) بتر ميادج ٢ ، ص ٩٨ . الحلة السيرة ، ف . ابن عمار ، الديوان ، ص

بلغت دعايتك التي أهديتها
في خانم التأمين والتأمين

ولا نريد أن نحمل هذه الحكاية أكثر مما تتحمله ، إلا أنها اذا اضيفت
الى القرائن الأخرى التي لدينا عن علاقة ابن عمار بملك قشتالة ، فإنها توضح
لنا دون شك جانباً من سياسة الوزير الأندلسي ، وتشعر بوجود علاقة
خاصة بينهما دفعت ابن خاقان الى وصف ابن عمار بالتبعية [الأنفونس] ، اذ قال
« واصطفاه العدو فائق به السكون والهدوء ، ونهاك فيه كلناً وهياماً وامطره
من الخطوة غماماً ، واهتصر منه موادة وائتلافاً ، استدرجها ملوك أوانه
أخلاقاً ، فارتاعت منه الأقطار وطاعت له اللبانات والأوطار... » (١) . وأشار
الى مثل هذا الرأي عبد الله بن زيرى ملك غرناطة في مذكراته التي نشرها
ابن بروفنسال في مجلة « الأندلس » (٢) الأسبانية ، واعطى أمثالا عديدة
على الخدمات التي قام بها ابن عمار للملك المسيحي .

فقال مانصه « ولأنه (اى ابن عمار) قد استمال النصراني واندخل معهم
بحيلة فتى مادهمه أسر من قبلهم وجهه (اى المعتمد) اليهم فيجلبى من امرهم
ما يضيق الصدر به الخ... » .

إن من الطبيعي أن نعتقد أن علاقة الأنفونس بالوزير الأندلسي لم تكن
نتيجة إعجاب شخصي وجب برىء ، وإنما كانت قائمة على اساس من المصالح

(١) اللاند الطيان ١ من ٨٦ .

(٢) مجلة الأندلس ١٩٣٥ ، من ٣٢٤ .

المشتركة ، لذا نرى ملك قشتالة ينفذ يديه من نصرة ابن عمار بعد هروبه من مرسية ، كما سيأتي ذكره ، عندما لا يوجد في هذا الأخير ما يغني أو يسمن من جوع . إلا أن هذا لا ينبغي بعد نظر ابن عمار ، ودقة حسابه في التمسك بصداقة القونس السادس وتوثيق الروابط معه لتحقيق أهدافه التي لم تكن ، كما أوضحنا ، تتجاوز توسيع رقعة نفوذه وضرب منافسيه .

فبناء على ما مر اذن ، نستطيع القول إنه بالإضافة الى اسلوب ابن عمار الأول في العمل السياسي ، وتقصد به احتكار صداقه ملك إشبيلية ، كان همه الثاني ، توثيق الروابط مع القونس وتقوية الصلات به وجلب رضاه إذ كان لا بد له من ذلك لكي يحقق مشاريعه ويطبق خططه وينفذ سياسته .

ونستطيع أن نضيف الى ما مر من أساليب ابن عمار شيئاً آخر حرص على التزامه والتمسك به ، وهو تقوية صلاته بالشخصيات الأندلسية وحرصه على ارضائهم بمختلف الأساليب والطرق ، ونظرة سريعة على ما لدينا من إنتاجه الأدبي (١) خلال مدة وزارته يدلنا بوضوح على كثرة علاقاته وتعدد اتصالاته بها . ولكن محاولة ابن عمار لتحقيق هذا الهدف لا يعني بأي حال من الأحوال ، أنه كان ناجحاً في ذلك ، كما لا يعني أنه كان مخلصاً في علاقاته وفيك الصداقات : فالظاهرة الواضحة في هذه العلاقات أنها تبدأ قوية عميقة لتنتهي بعداء شديد وحتم متبادل عميق . لقد كان

(١) انظر الديوان ، قس ٥١٤٣ ٤٦١ ٤٨١ ٤٩١ ٥٢٤

ابن عمار «وصولاً» - اذا اصح هذا التعبير - مع أخلص اصدقائه . فقد
 خان المتمد صديقه وولى نعمته ، واستغل ضعف ابن طاهر ، رغم ما بينهما
 من علاقات وثيقة ، ليوقع به . كما لم يسلم من لسانه السليط امير بلنسية عبد
 العزيز ابن أبي عامر (١) . والمعتصم بن صالح امير دانيه نفسه ، الذي كانت
 تربطه بالشاعر اوتق الصلات ، غضب عليه واستنكر اعله (٢) . وسرى انه
 أساء في استعمال علاقته ببعض قواد الحصون ، فاستغل ثقته به ليقتله
 ويذترع قلعته . كما حاول أن يفعل الفعل نفسه مع بنى سهيل حكام حصن
 شقورة ففشل في ذلك ووقع في الفخ الذي نصبه لغيره حيث آل الامر به
 الى السجن ، فتلقت يبحث عبثاً عن صديق ينتشله من وهدهته ، فلم تصطدم
 عيناه بغير الشائقة والسخرية ، ولم ير سوى أعداء يتحينون له الفرص ويتمنون
 هلاكه .

قدييدو للقارىء بعض التناقض فيما قلناه عن محاولة ابن عمار كسب
 الأصدقاء وما ذكرنا عن كثرة أعدائه . والواقع ان محاولات ابن عمار
 كانت قليلة الأثر ، وان أثرت فإن ثمارها آنية وقتية ، سرعان ما تحف
 ويشخر فيها الفساد ، إذ لم يكن الاخلاص مما ينسجم وسياسة ابن عمار واهدافه
 فقد كان ابو بكر رغم ذكائه مندفعاً بتمنيه الطامع ويعتلك عليه
 نفسه حب السلطان ، فلم يكن في حال يستطيع معها تحقيق غايته هذه في

(١) انظر الديوان ، قص ٥٨

(٢) « « « ٥١٤

ميدان العلاقات الشخصية اذ لم تكن هذه الغاية نفسها سوى وسيلة لتحقيق غاية اخرى اكبر منها وهي تحقيق مطامعه . ولا بد من الإشارة هنا الى ان ابن عمار لم يقصر جهوده على الخطوة بصداقة الحكام والاسماء ، وانا توجه الى كل من وجد في علاقته به فائدة وتعمقاً ، فوزع الهدايا وأغدق الاموال عند قدومه الى شلب واليا عليها وعند استتالاله لمصرية بعد خروج ابن طاهر منها ، وكان يهدف من كل ذلك الى الحصول على رضى الناس وتقريرهم اليه . وسياسة ابن عمار هذه التي حاولنا رسم خطوطها الاساسية العامة ، كانت مستوحاة من معرفته العميقة بحال المساعين في إسبانيا آنذاك . لقد كانت مستندة الى ضرورة توسيع مملكة إشبيلية مع الحصول على رضى الملوك المسيحيين والتعاون معهم لتحقيق ذلك . وقد بدأنا واضحاً أن هذه الغاية نفسها لم تكن هي آخر ما يطمح به ابن عمار ، بل كان طموحه يتجاوز ذلك ويجول حول شخصه ومصالحه الخاصة ، كما سنرى من تسلسل الحوادث . لذا نراه أول من ازدري مصلحة مملكة إشبيلية وتمرد على أميرها المعتمد صديقه الحميم سابقاً ، عندما تهيأت له الفرصة وخلالها الجوى .

ومع ذلك ، فلننا ، رغم نهاية ابن عمار المفجعة ، لانستطيع أن نقول إنه قد فشل فشلاً تاماً في تحقيق غايته وتنفيذ مطامعه ، فقد كان اسمه يتردد في جوانب إسبانيا المسماة فيبعث الرعب والهلوع في نفوس ملوك طوائفها وأمراء حصونها وقلاعها^(١) . وكان نفوذه في إشبيلية لا يكاد يقل عن نفوذ الملك نفسه . ولما كان طموحه الشديد وتمتد مشاكل تلك الفترة ،

(١) انظر فلاتد المعبان ، ص ٨٦ .

بل وربما مساعدة القونس السادس له ، منعه من إدراك عواقب أعماله
والتنبؤ بمصيره . كما لا بد من الإشارة الى أن اعنف ضربة وجهت له لم
تأت من أعدائه وإنما من اتباعه ومساعديه كما سنرى بعد قليل .

إذن فنستطيع القول إن ابن عمار كان مدركاً كل الإدراك لأهدافه
وللاسياب التي يستعملها لتحقيق هذه الاهداف . ولكن اسبانيا المسلمة لم
تكن في حال يمكن فيها وضع خطة دقيقة مضمونة النتائج متيسرة التطبيق ،
أيا كان واضعها . فقد كانت النزاع محتدماً بين رؤساء المسلمين وامرائهم ،
والشك المتبادل ، الذي كان يزيد فيه شعورهم بالضعف والظور ، وفقدانهم
لأساس شرعي لسلطتهم يقرهم من رعايهم ، أقول إن هذا الشك زاد في
تعقيد الحالة السياسية وشجع الغامرين من أمثال ابن عمار على إبداء دلوهم
بين الدلاء وتجريب حظهم في المعركة . لقد كان هؤلاء الغامرون منشزين
آنذاك في كل جوانب الاندلس ولا سيما في بلاطات الملوك وقصور الامراء
يتلمضون بانتظار فرصة سانحة وصفقة رابحة واقعة سائغة . وكان محتدماً
بينهم ، دون رحمة ولا شفقة ، نزاع مرر ترتبت عليه أفظع النتائج ، لاسيما
في حكم المعتضد وأبيه ، فقد صنع الإواحدة ملاً لها برؤوس ضحاياهم الذين
كان بينهم عدد غير قليل من وزرائه واشعوانه (١) . ولم يكن أبو الفاضل
أبو القاسم بن عباد بأكثر رحمة منه (٢) . أما في زمن المعتضد فقد استتب

(١) الأخيرة ق ٢ ، ف المعتضد .

(٢) - - - - - أبو الفاضل أبو القاسم بن عباد .

الأمر في المملكة لبني عباد واستطاع وزيرهم ابن عمار أن يقبض على زمام الأمور بيد من حديد ، فبدأ الحال أكثر هدوءاً داخلها وأقل اضطراباً . فقد اختفى منافسو الوزير الشاعر خوفاً من بطشه وإدراكاً لقوة نفوذه . منتظرين الفرصة السانحة لليل منه . ومع أن هذه الحال المضطربة قد أوقعت ابن عمار ومنعته من مواصلة طريقه الشائك ، فإنها فسحت له المجال لاجتياز جزء مهم منه . ولم تكن نهاية الأمراء الأندلسيين الآخرين بأسمد من نهايته على وجه الخصوص . فقد ذهب بعضهم كبني ذي النون وبني هود ضحية للملوك المسيحيين . وسقط الآخرون صرعى تحت سيوف المرابطين كبني عباد وبني الأفلح وبني صامح ، وغريق آخر كبني جهور وبني طاهر كانوا فرائس سهلة لجيرانهم الأقوياء وضحية نزاعهم مع بعضهم البعض . هذه هي الخطوط الرئيسة لنشاط ابن عمار السياسي وحياته الحافلة بالمطامع والأعمال والتدخل والتعطش للسيطرة والسلطان .

ابن عمار حاكماً لشلب

ما إن عا ابن عمار من سر قسطة إلى اشبيلية وأبدأ حياته قرب المعتمد حتى بدأ نشاطه السياسي بأن طلب من صديقه الملك تعيينه حاكماً لمدينة شلب التي نشأ فيها (١) . فقصدتها في موكب كبير متنقلاً بالهدايا التي وزعها على كل من رأى في اعطائه فائدة وجدوى . يجذب بذلك قلوب الناس

(١) المرجع ٤ ص ١١٨

ويستميلهم نحوه ، فقد سبق أن ذكرنا أن هذه وسيلة من وسائل ابن عمار
واسلوب من أساليب عمله السياسي .

كما أشرنا أن كرمه امتد إلى من سبق أن أعطاه مخلاة شعير في أيامه
المسيرة فلأها بالفضة ، ولكنه كما يبدو لم يبق طويلا في شب ، إذ
سرعان ما ترك مدينته وتوجه إلى إشبيلية حيث تولى وزارة المعتمد الاولى
وبقي فيها يدير شؤون الدولة ، فيدير المكائد ويحوك الشباك حتى ضج
الأمراء منه وخافوا شره (١) ، إذ كما يقول ابن خفايا « تارتعت منه الاقطار
وطاعت له البسات والأوطار » (٢) . حتى كان عام ٤٧١ هـ (١٠٨٠ - ١٠٨٣ م)
فصار في رحلة إلى مرسية لم يعد بعدها إلى إشبيلية الا مكبلا بالحديد على
عمار بين عدلي بن

وقد غل المؤرخون العرب وثابهم في ذلك دورى تودة ابن عمار
السريعة إلى عاصمة الملك بشوق المعتمد وتعلقه بصديقته وعدم استطاعته
الابتعاد عنه وتعليل عاطفي مثل هذا لا يمكن أن يور عودة الشاعر الغامر
الطموح رغم ما عرفه عن صداقة الملك إشبيلية وقوة ارتباط التي تصله
به . فقد كل المعتمد آنذاك في الثلاثين من عمره ، وكان ابن عمار يبلغ
الناصفة والثلاثين ، فلم يكن ما يقر من به إذن في هذا السن يرجع لاندفاعات
عاطفية فحسب ، هذا فضلا عن أن الصديق سبق أن اغتراف بضع سنين عندما

(١) مذكرات عبد الله بن زريق ، ص ١٠٦ لا تاليس ، سنة ١٩٣٤

(٢) الغلائل ، ص ٨٦ .

كان الشاعر في المنفى هرباً من بطش المعتضد عباد . إذن فقد لعبت المصالح المشتركة للمعتد وابن عمار ، ولا سيما لهذا الأخير ، دوراً رئيساً في تسلم الأخير وزارة الاول وتعهده لشؤون الدولة .

فلم يكن من مصلحة ابن عمار في تلك الفترة القلقة الصاخبة أن يبقى بعيداً عن صديقه ومملكته . فقد كانت كل مطامحه التي عرضنا لها قبل قليل ، والتي ابتدأت تتضح الآن ، تدفعه للذهاب الى إشبيلية والتمسك فيها قرب السلطان . وقد كان المعتد نفسه في أشد الحاجة لرجل مثل ابن عمار يساعده في الأخذ بزمام الدولة والسير بها في طريق التوسع والتقدم بعد أن استقرت له الأمور في الداخل نتيجة سياسة البطش والعنف التي سار عليها والده . لقد كان لابن عمار صفات قل أن تجتمع في غيره ، فذكاءه الوفاة وإيمانه ومعرفة له بالبلاد وأسرانها كانت خير مشجع للملك على اختياره لهذه المهمة الشاقة . ولا نستطيع القول إنه أساء الاختيار . نصلاً من ذلك الى أن عربة ابن عمار الى إشبيلية كانت بدوافع سياسية أكثر منها عاطفية .

ابن عمار وزير الاول طهارة إشبيلية

إذن فقد أصبح ابن عمار بسرعة رجل دولة بنى عباد الاول . ولم يكن ثبوته وتأثيره يقتصران في الواقع على هذه الدولة فحسب ، بل قد تجاوزاها الى أكثر مناطق إسبانيا المسلمة . ويبدو صدى هذه الشهرة الكبيرة والنفوذ الطائرين اللذين حصل عليهما في الأوصاف التي أسبغها عليه مؤرخو العرب

والتي اشترنا اليها من قبل ، فهو مخيف (١) ، شديد الخبث ، واسع الشهرة (٢) ،
فاذا اضفنا ذلك الى رأى الملك عبد الله بن زيري ملك غرناطة ، الذي اوضحه
في مذكراته (٣) والذي يبرر هذه الاوصاف بما يذكره من اعماله ، استطعنا
أن نتمثل الدور المهم الذي كان يلعبه في حياة الاندلس السياسية والتي سنرى
وجودها منها في الصفحات القادمة .

فعندما نتحدث عن سياسة إشبيلية او سياسة المعتمد ، بين ٤٦١ هـ
(١٠٦٩ م) و ٤٧٤ هـ (١٠٨٢ م) ، فلما نتحدث في الواقع عن سياسة
ابن عمار نفسه فقد كان فعلا العصب المحرك لهذا الاضطراب الذي شمل
علاقات دولة بني عباد مع جيرانها حتى لقد أطلق عليا ملك غرناطة عبد الله
بن زيري اسم « وسيط السوء » فقد أكد هذا الملك الذي قام من ابن
عمار الاميرين « ارتباط المعتمد الى الظير واشاره الى الصلح بعد زوال هذا
هذا الفاسق ابن عمار عن دوائه . فلم ير بعد ، (أي بعد ابن عمار) فتية
فيما بيننا وبينه (اي بين ابن زيري والمعتمد) ، فهو يعزو جميع الاضطرابات
التي قامت بين المعتمد وغيره من ملوك الطوائف الى سياسة ابن عمار وتأثيره
على الملك . ومن ذلك فعبد الله بن زيري نفسه رغم عدائه الشديد للزيري
الاشبيلي يعترف بأنه قدم للملكه خدمات جليلة فقد دفع النصارى عن

(١) فلاند العتيان . ص ٨٦ . درزي ، بنو عباد ج ٢ ص ٦٩ .

(٢) المعجب ص ١١٩ .

(٣) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الاندلس ١٥٣٥ ج ٣ ص ٢٢٥ .

إشبيلية بضع مرات ، آنا بدهائه ، وآنا بمكائده كما اثبتنا الى ذلك من قبل
واسكن ملك غرناطة . رغم اعتراؤه بأهمية النتائج التي توصل اليها ابن عمار ،
لا يريد ان يرجعها الى ذكاء ابن عمار وبراعته السياسية وإنما يقول ان
« كل ذلك بأمرال رئيسه وسعادة إيمانه وهو (اي ابن عمار) بحظه يستفيد
أن ذلك لا يتبها إلا بسيرة ورد المس كله الى نفسه . » (١)

ولا نريد ان نزع عننا أن سياسة ابن عمار لم تكن سياسة المعتمد
فقط : ارأ أبكر أن ما جرى من تبدل ، يستدعي دور ابن عمار في حكم إشبيلية
لا يرجع لحمل ابن عمار بقدر ما يرجع الى تبدل عام في الظروف التي احاطت
بمملكة إشبيلية دفع المعتمد الى تعديل سياسته . فسياسة التوسع التي
اتبها ملك إشبيلية ووزيره لم تكن الا امتداداً لسياسة التي سار عليها
المعتمد . ولكن صفاتها المميزة الخاصة بها كانت لتعاون مع النصارى ،
وذلك نظراً لأهمية الاعتراف التي حاول الملك . وزرعه تحميمها . ورغم هجمات
المؤرخين المسلمين على ابن عمار . ورغم الروح « الانتهازية » التي كانت
تتمثل في الوزير ، ورغم النفقات الباعضة التي كانت تتطلبها سياسته (نفقات
حربية وأذونات لأمرام المسيحية) : نقول رغم ذلك فإن هذه السياسة نجحت
في توسيع رقعة مملكة إشبيلية الى حد كبير . لقد كان ابن عمار يضحى
للمسيحيين بمبالغ طائلة واسكنه قلعا كان يضحى لهم بالأرض ، وفي هذا
الحساب دعاء وراعاة لا يمكن تجاهلها .

(١) مذكرات عبد الله بن زكري ، الاندلس ١١٩٣ ، ص ٢٢٠

أبن عمار وقرطبة

عندما ارتقى المعتمد عرش إشبيلية ، كانت دولة بني عباد تسيطر على جنوب غربي شبه جزيرة إيبيريا . وكانت قد نجحت في القضاء على الدويلات الصغيرة التي تكتنفها فضمتها تحت جناحها . ولم يبق في غرب شبه الجزيرة إلا مملكة بني الأفطس في بطليوس الواقعة شمال غربي إشبيلية ، والتي نجح المعتضد عباد في توجيه ضربات قوية لها واقتطاع أجزاء كبيرة من ممتلكاتها . ولم يكن وضعها الجغرافي مما تحسد عليه ، إذ كانت متاخمتها لبلاد النصارى تجعلها دائماً مطمح انظارهم وموقع ضرباتهم . لذا فقد كان على المعتمد أن يولي وجهه نحو الشرق والجنوب الشرقي . أي نحو دويلتي قرطبة وغرناطة . أما في الشمال فقد كانت مملكة طليطلة القوية التي يحكمها المأمون بن ذي النون الطموح ، صديق القونس السادس ملك قشتالة وليون ، منافساً منافساً قوياً يحسب له بنو عباد ألف حساب . فليس من المستغرب أن تكون قرطبة هي هدف المعتمد الأول .

ولا نريد أن نبالغ في دور ابن عمار في هذا الفتح ، إذ لم يكن قد مر على مجيئه سوى أقل من سنة ، إلا أن أنه لا يمكن أن يكون معدوماً في هذه الخطوة الجريئة التي تنسجم كل الانسجام مع سياسته ، ففي عام ٤٦٢ هـ (١٠٧١ م) طلب بنو جهور حكام قرطبة العون من بني عباد ، بعد مظاهر الصداقة التي أبداها لهم المعتمد ووزيراؤه ابن زييدون وابن عمار ، ضد جيش طليطلة الذي يقوده المأمون بن ذي النون والذي هاجمهم من الشمال .

ومرغان ما أرسل المعتمد جيشه استجابة للدعوة ، مما اضطر ابن ذي النون على الانسحاب بجيشه . ولكن بدلا من أن ينسحب الجيش الأسباني ، هاجم المدينة واخلع بالآثار مع قسم من سكانها وضمها الى مملكة ابن عماد . ولا يريد أن نغيب في وصف هذا الفتح فقد وجهنا نحوه اهتماما أكبر في بحثنا عن المعتمد ، وانما اكتفى بالتدوين بأهمية قرطبة الكبرى ، تلك المدينة التي كانت عاصمة الخلافة والتي بقيت حتى في ذلك الوقت مركز الاندلس العامي والثقافي وعط انظار الاندلسيين ، فكان لفتحها أثر مادي ومعنوي كبير .

ابن عمار وغرناطة

ولم يكدهما شئ من أمر قرطبة ويستتب الأمر فيها حتى وجه ابن عمار انظاره نحو غرناطة ، التي كان يحكمها آنذاك أمراء بني زيري ، من قبائل صنهاجة البربرية . وقد كان دور الوزير في هذا المشروع واضحا ، إذ قد تحدث عنه بمرارة ملك غرناطة نفسه في مذكراته . فقد ظل يترصد الدوائر بهذه الدولة الصغيرة وينتظر الفرصة الملائمة ، حتى سمحت له عند ابتداء التصادم والاحتكاك بين ملك غرناطة والقووش السادس ملك قشتالة القوي . فقد أرسل هذا الأخير سفيره السكونت كاريون الى الملك عبد الله بن زيري يطلب منه أتاوة سنوية قدرها عشرون ألف دينار ، أسوة بما كان يفعلها ملوك الطوائف الاخرون ، فرفض ملك غرناطة ذلك ورد السفير المسيحي

طائفاً يهدد بالويل والثبور . وفي طريق عودته وجد اباً بكر بن عمار
 يفتخره في باغته ، ليعرض له مشروعه أسأل لهابه . لقد كان الوزير الاشيلي
 مستعداً لأن يدفع لأفونس خمسين ألف دينار لقاء مساعدة هذا الأخير
 للجيش الاشيلي على احتلاله غرناطة وضربها إلى مملكة بني عباد ، وبالإضافة
 إلى ذلك فقد وند الوزير السنيير المسيحي بأن تكون جميع غنائم وكنوز
 قصور بني زيري غنيمة باردة للقسطنطين . فوافق السنيير على ذلك وأمضى
 مع الوزير الاشيلي عقداً به . ولكن ابن عمار كان يعلم حق العلم أن
 مدينة حصينة كغرناطة سوف لا تترك نفسها فريسة سهلة للهواجين ، فقرر أن
 يبني بمساعدة المسيحيين حصناً قوياً أمام غرناطة يسد عنها السبل ويمنع
 عنها المؤن . وقد بنى فعلاً سجن يابلش . رآه الملك عبد الله بن زيري
 نفسه يروي لنا ما قام به ابن عمار ومدى نجاح خطته . إذ يقول في مذكراته
 « رأى ابن عمار من عسكر الرواس ما قوى به على البنيان بأعداد من
 الأموال جسيمة ، يسوقهم فيها نارات ، ويمدهم ويخاضعونهم حتى تم البنيان ،
 وجعل العتمد يحاول ذلك بنفسه ويبرز أبدأ على مغربة من غرناطة مدة
 كونه ، طمأناً في أن يقوم معه أهل البلدة . فلما تم بنيانه ، قواه بالنصب
 واتخذ فيه جميع الأقوات وأمرهم بالتضييق . وكانت الحال شديدة . . . وعند
 انصراف المعتمد عنه وعساكر الروم عينا عسكراً كبيراً ونهض إليه فلم تقدر
 فيه على شيء . وانقطع رجاء الناس من دولته لاجتماع المظالمين عليها مع
 الرومي ، وندمنا على التفریط أولاً في معاقبته حسب ما سأل . . . »

فكان يلبس قد أفسد وضيق على الخص (أى سهل) غرناطة ... (١)
 وهكذا يبدو أن ابن عمار قد أحكم رسم خطته وقلعها من جميع الوجوه
 وضمن لها النجاح . ولكن شيئاً لم يكن في الحسبان أفسد عليه خطته
 واضطره إلى إيقاف تنفيذ مشروعه ، ولو مؤقتاً . فقد قام عام ٤٦٧ هـ
 (١٠٧٩ م) أحد المغاربة من قواد الحصون المحيطة بقرطبة المسمى بابن
 عكاشه ، متأمرأ مع المأمون بن ذى النون مالك طليطلة ، بمؤامرة استطاع فيها أن
 يفاجئ قصر الامارة في قرطبة ويقتل الأمير عباد بن المعتد وقائد الجيش
 الاشبيلي محمد بن مرتين ويعلن انضمام المدينة الى مملكة ابن ذى النون
 الذى سرعان ما قصد قرطبة بحشده ونهباً للدفاع عنها ضد المعتد بن عباد .
 ولكن القدر لم يحمله ، إذ توفي بعد مقدمه بسنة شهور فعاد المعتد
 الى المدينة وبسط عليها نفوذه (٢) .

لقد كان لهذا الحدث أثره الكبير في خطة ابن عمار ، إذ اضطر بعد
 دخول المأمون بن ذى النون قرطبة الى ان ينصرف عن غرناطة فيسحب
 من حولها جنوده ليستعين بهم في استرداد قرطبة او ملافاة ما قد ينتج عن
 احتلال ابن ذى النون لها من نتائج سيئة . فاخلى حصن يلبش وتنفس ابن
 زيرى الصعداء .

ولكن اطمئنائه هذا لم يطل اذ ما كاد الاشبيليون يستردون قرطبة

(١) مذكرات عبد الله بن زيرى ، الأندلس ج ٣ . سنة ١٩٣٥ . ص ٢١٨ .

(٢) انظر دراستنا عن المعتد بن عباد ، (تحت الطبع)

حتى عاد ابن عمار لموالاة مؤامراته لاحتلال غرناطة متوجها هذه المرة
أيضا إلى الفونس السادس . ولترك ملك غرناطة نفسه يتحدثنا عن هذه
المحاولات ويصف لنا الوضع السياسي المضطرب الذي كان يسود البلاد آنذاك ،
فبعطينا صورة واضحة للمصرح الذي كان يلعب فوقه ابن عمار ادواره .
ولا بد أن نشير هنا إلى أن ركازة الاسلوب ترجع إلى كون الملك البربري
كان يكتب مذكراته ببساطة وبلغة لا تصنع فيها ولا تزويق .

يقول الملك ابن زيري (١) : « وبقي ابن عمار مرتهنا بما جعل على
نفسه للصراخ (أي الفونس السادس) من كراء يابلس في تبعات كثيرة
وجرايات جسيمة ، يقطعها له ، ويعده بها ، وادخل سلطانه (أي المعتمد)
من ذلك في تشنيب ، لأنه كان لا يريد أن يجمله يخلد إلى راحة لكي يحتاج
إليه في تلك الفتنة ، لا يقر عن ادخال ضرر على المسلمين . ومتى ما كان المعتمد
يسعى في تهديد الأمر ونزوم معه الصالح ، أو تنشأ مهادنة ، لا ينم في
نقضها واشغال نار الفتنة ، فماد نازية إلى الصراخ إذ فونش وزير له غرناطة
وصورنا عنده في صورة من لا يقدر على كل شيء من أجل الصبا ، وأنه ضامن
له أموال غرناطة لتصير له بأسرها ، على أن يعاقده ، إن تمكن من البلدة ،
أن يجعلها ملكه (أي ملك ابن عمار) وله (أي لالفونس) مائتي من
أموالنا . والتي يده في يد أذ فونش عاز ما عليه في الاقبال إليها ، واعطى
على ذلك أموالا جسيمة ، ووعدته بخمسين ألف مثقال ، إذا تمت القضية ،

(١) مجلة الاندلس لسنة ١٩٠٥ ، ص ٣١٩ .

ليعطىها زائدة على ما يجود لمساعدته على السير ، فأدرك الرومى من ذلك طمع
كثير ، وقال : هذه نصبة لست اخلو فيها من فائدة وإن لم تحصل البائدة ، فأى فائدة لي
في اعطاء بلدة من واحد لا خيراً الا تقويته على نفسه ، وكما كثر الشوار ووقع بينهم
القتافس ، كان لي افأد (كذا) . فأتى على نية اخذ المال الفريقين ، يكسر رؤوس
بعضهم ببعض ، ولا كان ايضاً من اماله ان يأخذ البلاد لنفسه ، فانه حصل في ذلك
حسباً ، أن قال : انا من غير الملة ، وكل الناس يشأنى ، فبأي وجه أطمع
في أخذها ؟ ان كان من باب الطاعة فأمر لا يمكن ، وان كان من وجه القتال ،
ففيهلك فيها رجالي وتذهب اموالي وتكون الخسارة على اكثر مما نرجوه
إن صارت إلي ، ولو صارت لم تمتسك الا بأهلها ، ثم لا يؤمنون ، ولا يمكن
أن نستبيح أهلها ونعمرها أهل ملتي ، ولكن الرأي كل الرأي تهديسد
بعضهم ببعض ، واخذ أموالهم ابدأ حتى ترق وتضعف ، ثم هي تلقى بيدها
اذا ضعفت وتأتي غمراً ، كاذبي جرى لطليطلة ، إنما كانت من فقر أهلها
وتشتتهم مع اندبار سلطانها ، وصارت الى بلا مشقة ... »

ويواصل ابن زيري كلامه في مذكراته فيقول :

« وكذا نحن نعلم هذا من مذهبه ، على ما كان يخبر وزراءه ، واقد
قال ذلك شيشلاند في حال هذه السفارة . وشافهننا بذلك ، وقال :

« إنما كانت الاتدليس للروم في اول الامر حتى غلبهم العرب والحقوهم
بانحس البقع جيلعية ، فهم الآن عند المتسكن طامعين (كذا) بأخذ طلاماتهم ، ولا
يصح ذلك الا بضئف الحال والمطاولة ، حتى اذا لم يبق مال ولا رجال

أخذناهم بلا تكلف .

فكان الجميع (اى ملوك المسلمين وامراءهم) يساور الامور ويدافع
الايام ، ويقول : من هنا الى ان تتم الاموال وتملك الرعايا ، نعوذ بهم ، يأتي الله
بالفرج وينصر المسلمين . . .

فورد علينا من اقبال الفونس مع ابن عمار هول عظيم ، وصح عندنا
انه لم يأت الا طالباً لملكنا ، قد استوثق من الفونس على ما قدمنا ذكره
ثم ارسل (اى الفونس) الينا ينذر باقباله ويأمرنا بالخروج اليه ، يرى انه
يذهب الى تجديد العهد والاجتماع بنا ، على ما يفعله مع السلاطين . فلم
نملك ان ذلك للتقيض (كذا) علينا ، وانجاز ما عاهدتم (اى الاشبيلين)
عليه .

فاجتمع الينا اهل الراى والمشورة ، وقالوا : ما الذى تذهب اليه ؟ هذا
عدو قد جاء لطلبك ، ولا قدرة بك على منارأته ، وسواء عليك خرجت
ام بقيت ، فان انت بقيت حلت بك الداهية العظمى ، ووقعت الفاسدة ،
واصاب مطالبك سبيلا الى العمل ، وتكون هذه اشد من الاولى .

وقد رفضنا بطرة شولس (وهو سفير سابق لالفونس قدم لغرناطة يطلب
الانابة للملك المسيحي فرداه ابن زبرى) والى ابن عمار يده فيه حتى بنى
علينا يلبس ، والآن لم يروح مخفئنا حتى نعود الى ما هو أدهى وامر .
فلورات الرعايا بعض خلاف من هذا الجيش لم تبق ولا تذر لمشفقة ماقددهوا
به قبل ، وكاد الرجاء ينقطع ويتلف الكل حتى تؤخذ وهنا باليد على غير

صلح ، فلا يرقب فينا إلا ولا ذمة . فالخروج اليه أيسر الأمرين . فإن كانت سلامه شكرت رأيك وثبت ملكك . وإن كانت الاخرى ، كان خروجك عن أمان وصرت خيراً في العافية (كذا) فاعزم على لقاء (أي القونس) وقل له قولاً ليناً ، والله أن ينفذ قضاءه .

فاستعدنا لذلك جهداً واجتمعنا حراً لينا من نثق به من رجالنا ، واخذنا أهبة للحال ، ولقيناها على مقربة من المدينة ، وبالغنا بالضرورة في إكرامه ، فاعرض علينا وجهاً بسيطاً وخلقاً حسناً ، ووعدنا أن يحاي عنا كما يحاي عن بلده .

ثم وقعت المعاملة ، ومشت الرسل منا اليه ومنه إلينا ، يدين ما عوقد عليه ، وأنه سيق سوفاً ، ويقول : اني قد تشبثت في الامر ، ولم نعجل حتى نسمع ما عندكم ، فإن جاملتموني ورأيتم اقصدى وجهاً ، انصرفت عنكم على خير ، والا فها أنا مع من عاهدني . وطلب خمسين الف مثقال . فشكرونا اليه قلة البلاد ، وان ذلك لا يقدر عليه ، وفيه من القطع لنا ما يفترضنا به ابن عباد (أي المعتمد) ، فانه لو أخذ غزاة قوى عنصره ولم يقطع اليك ، نفذ ما تقدر عليه واترك رمتك لا تستأصل من أجله ، وما تركت بحده عندنا متى ما طلبت . فقبل العذر بعد جهد عظيم : وقائله له لتقصد ، بخمسة وعشرين ألفاً : نصف المدد ، ثم أعدنا له من الفرس والسياب والآنية كثيراً استدفاعاً لشره . وجمعنا ذلك كله في خباء كبير ، ودعواناه اليه . ولما رأى السياب استحققرها ووقع الاتحاق معه على زيادة خمسة آلاف مثقال لثم بها

ثلاثون (كذا) الفأ ، فأكلناها له لثلا يفسد الا كثير عن الاقل . فشكر
على ذلك كله وكاتب عليه نفسه ، ورجع على ابن عمار يقول له : كذبت
لي في قولك إن غرامة في ضعف وإن صاحبها من صغر سنه لا يعقل .
ورأيت من رتبتهما وأحوالهما ما خالف قولك . فرجع ابن عمار يسأله أن
يعقد بيننا عقداً يوقف عنده . واستأله على اخذ أسطبة من عندنا . وكان
معقلاً عظيماً مما يلي جهات إشبيلية ، أخذه فائدنا كباب في الفتنة ، وسألناه
نحن خبر القلعة ، فوقع الاتفاق على أن تكون قلعة أسطبر عوضاً عن أسطبة .
وكانت قاشتره ومارتش العقليين على جيان ، ومن أجلها انقطع صاحبها
عمننا . ولم يكن لجيان معنى إلا بهما . فترامى ابن عمار في أمرهما على الفونش
ووعده على مارتش بأموال ، أنه يشتريهما ، فعزم (أي الفونش) علينا
فيها للطعم في المال ، وعدنا نحن على قاشتره بالمطمر ، وكان (أي
المطمر) أيضاً حصناً قد اشترك في نظره مع نظرنا ابن ذي النون . فضمن
خبره (كذا) أن يعطينا عوضاً منها (أي من قاشتره) . فدافعنا الأمر جهدينا
فلم نقدر على أكثر ، فعل القوي مع الضعيف ، ثم إنه عقد العقد بين يديه
على ذلك ، وأنه لا يتعدى منا أحد على صاحبه . وذكر فيه ما نعطي كل عام
من الضريبة . فجعل علينا عشرة آلاف مثقال في العام وطيب لنا الكلام بأن
قال : طمع ابن عمار أن نغدر بك ، ومعاذ الله من ذلك ، أن يشيع في الدنيا أن مثلي
كبير في الروم يقصدك وانت كبير في جنسك ، ثم نغدر بك . فابق على أمان ، لا
أكلتك الا لضريبه ، توجه الى بها كل عام دون مطل . وإن تأخرت بها أتاك رسول

عنها ، وتلزمك عليه ثقافات فيأدر بها . فقبلنا قوله ورأينا عطاء عشرة آلاف
في العام ندفع بها مضرته ، خيراً من هلاك المسلمين وفساد البلاد . إذ لم
لم تكن بنا قدرة على ملاقاته ومكابرته ولا وجدنا من سلاطين الاندلس
عوناً عليه ، إلا من يسوقه اليها لئلا كسنا . فبقيت الأمور على مصالحها ومهادنة
ورقاعية لا يسمع فيها بفتنة .

وبما هيأه الله ، ان فمنا سائط السوء بعد ذلك بفقد ابن عمار وشغله
في مرسية ... الخ ... (١)

في هذا الجزء القيم من مذكراته ، يوضح لنا ملك غرناطة عبد الله بن
زيري الدور الخطير الذي كان يلعبه ابن عمار في الحياة السياسية لاسبانيا
المسلمة في ذلك العصر ، والاسلوب الذي كان يلجأ اليه لتحقيق اغراضه
والوصول الى اهدافه ، عارضاً أثناء ذلك صوراً دقيقة للأوضاع السياسية
في تلك الفترة المضطربة من تأريخ المسلمين في تلك البلاد . إن المعلومات
التي يمكن أن نستخلصها من هذه السطور التي نقلناها عن الملك الأندلسي
ومن تلك التي لم نقلها . لذات أهمية كبرى في إدراك كثير من تيارات
السياسة الأندلسية ودور الملوك المسيحيين الخطير وموقف امراء الطوائف
منهم ، مما لا يدخل الآن في صميم هذا البحث . ان ما يهمنا قبل كل شيء
هو إدراك سياسة ابن عمار ومعرفة اساليبه في العمل والاهداف التي سبق
أن أشرنا اليها ؟ ولا شك أن هذه الأساليب والأهداف تتمثل بأوضح

(١) الاندلس ، سنة ١٩٣٥ - ص ١٩ - س ٣٣٣ .

وجوهها في مغامرة ابن عمار هذه ، ولا سيما ما يختص منها بعلاقته بالقوآنس السادس وعمله معه ، مما سنأتي الى بحثه بشئ أكثر من التفصيل .

إذن فلم يستطع ابن عمار تنفيذ خطته التي وضعها لضم غرناطة الى مملكة بنى عباد ، رغم الجهود الكبيرة التي بذلها في هذا السبيل ، ولكنه مع ذلك لم يخرج من الصفقة صفر اليدين ، فضم بعض الحصون المهمة الى مملكة إشبيلية متبهماً لمغامرة أخرى وباحثاً عن فريسة جديدة . فوقع نظره على مرسية المدينة الغنية الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، والتي كان يحكمها ، مستقلاً فيها ، الأمير الأديب ابن طاهر . ولكن قبل ان يبدأ بهذه المغامرة كان عليه أن يتجنب خطراً كبيراً كان يهدد إشبيلية آنذاك وهو خطر الفشتاليين مسيحيي الشمال الذين كانوا يرون في ضعف ملوك الطوائف دوافع قوية تحثهم على استنزاف أكبر المنافع منهم . فزحفوا على إشبيلية وهددوها بالويل والثبور ، فكان ابن عمار هو رجل الساعة .

ابن عمار ومسيحيو الشمال

لقد سبق أن ذكرنا أن الوزير الإشبيلي كان يدرك قوة المسيحيين في الشمال الى ما لبث ضعف ملوك الطوائف المسلمين وتحاذيهم ، لذا فقد جعل أول أهدافه السياسية التقرب من القوآنس السادس وجلب رضاه وتجنب خطره بجميع الوسائل الممكنة ، وأعم هذه الوسائل المال . فكانت مملكة إشبيلية ، كغيرها من الدويلات الأندلسية آنذاك ، تدفع للملك الفشتالي ، أتاوة سنوية معينة تجنباً لشره وحفظاً لحدائقه . وكان القوآنس يمد قوة مركزه

وضمف موقفهم ، فاستغل ذلك إلى اقصى حدود الاستغلال . فكان كلما وجد الفرصة سانحة للحصول على قطعة من الارض او مبلغ من المال لم يتركها قنلت من يديه ، فزحف بحذافله مرعداً مزبدأ ، يخرب الحقول ويحاصر للماقل حتى يخضع الأمراء المسلمون لإرادته فيهدثوه بما يقدمون اليه من مال .

ورغم جهود ابن عمار الكثيرة في الحصول على رضى الملك المسيحي فيبدو أن ألفونس بعد عقده اتفاقية التي أشرنا إليها مع غرناطة بفترة لا نستطيع تحديددها ضبطاً ، رغم أننا نستطيع القول إنها لا يمكن أن تكون قبل ٤٦٨ هـ ، وهو التاريخ الذى يرجح أنه عقد فيه معاهدته مع غرناطة ، ولا بعد ٤٧٠ هـ ، إذ أن ابن عمار كان يدبر بعد هذه السنة مؤامراته ضد مرسية كما سيأتى ذكره . نقول ، رغم جهود ابن عمار ، فقد زحف ألفونس السادس بجيشه على ملوك إشبيلية وهددها بالدمار . ويرى لنا أحمد المؤرخين المسلمين ، وعو عبد الواحد المراكشي ، في كتابه « المعجب » قصة طريقة عن الدور الذى قام به ابن عمار في صد هذا الهجوم ، يبدو أن الخيال قد ساهم في نسجها لحد غير قليل ، ومع ذلك فنحن ننقلها هنا نصاً ثم تناقش ماجاء فيها بعد ذلك . وقد نقلها عنه دوزى دون ان يشك فيها (١) .

قال عبد الواحد المراكشي (٢) :

ولم يزل المعتمد يعده (أى ابن عمار) لسكى أمر جليل ويؤمله لكل

- Mus Esp, T. 3, P. 102

(١)

(٢) المعجب ص ١١٩ .

رتبة عالية . وكان ابن عمار مع هذا لا يناف به أمر الا اضطلع به وكان فيه
 كالسكة المحمية . واشتهر أمره ببلاد الأندلس ، حتى كان ملك الروم
 الأذفنش ، اذا ذكر عنده ابن عمار قال : هو رجل الجزيرة ! وكان ابن
 عمار هو الذي رده عن قصد إشبيلية وقرطبة وأعمالهما . وذلك أنه خرج في
 جيوش ضخمة يقصد بلاد المعتمد طامعاً فيها ، يخافه الناس ، وامتلأت صدور
 أهل تلك الجهات رعباً منه ، وتيقنوا ضعفهم عن دفاعه . فتولى ابن عمار
 رده بألف حيلة وإيسر تدبير ، وذلك أنه أقام سفرة شطرنج في غاية الإبداع
 لم يكن عند الملك مثلاً ، جعل صورها من الأبنوس والعود الرطب
 والصندل ، وحلها بالذهب ، وجعل أرضها في غاية الإتقان . فخرج من
 عند المعتمد رسولا الى الأذفنش ، فلقية في أول بلاد المسلمين ، فأعظم الأذفنش
 قدومه وبالح في إكرامه ، وأمر وجوه دولته بالتردد الى خبائه والمسارة
 في حوائجه . فظاهر ابن عمار تلك السفرة ، فرآها بعض خواص الأذفنش فنقل
 خبرها اليه . وكان العليج - أعني الأذفنش - مولعاً بالشطرنج ، فلما لقي
 ابن عمار سأل : كيف أنت في الشطرنج ؟ وكان ابن عمار فيه طبقة عالية -
 فأخبره بمكانه فيه . فقال له : بلغني أن عندك سفرة في غاية الإتقان . قال
 ابن عمار : نعم ، فقال : كيف الهبيل الى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجمانه :
 قل له أنا آتيك بها على أن اللعب معك عليها ، فإن غلبتني فبى لك ، وإني
 غلبتك فبى حكيم . فقال له الأذفنش : هلمها لننظر اليها ؟ فأمر ابن عمار
 من جاء بها . فلما وضعت بين يدي العليج صلب وقال : ما ظننت أن إتقان

الشرطي يبلغ إلى هذا الحد ! . ثم قال لابن عمار : كيف قلت ؟ فأعاد عليه الكلام الأول . فقال له الأذفونش : لا أَلعب معك على حكم مجهول لا أدرى ماعو ، ولعله شيء لا يمكنني . فقال ابن عمار : لا أَلعب إلا على هذا الوجه . وأمر بالسفرة فطويت . وكشف ابن عمار سر ما اراده لرجال وثق بهم من وجوه دولة الأذفونش ، وجعل لهم أموالاً عظيمة على أن يؤازروه على أمره ، ففعلوا . فتعلقت نفس العليج بالسفرة ، وشاور خاصته فيما رسمه ابن عمار . فهو نوا عليه وقالوا له : إن غلبته كانت سفرة ليس عندك سفرة ليس عندك . وإن غلبك فما عساه أن يتحكم ؟ وقبحوا عنده إظهار الملك العجز عن شيء يطلب منه . وقالوا له إن طلب ابن عمار ما لا يمكن فنحن لك برده عن ذلك . ولم يزالوا به حتى أجاب ، وأرسل إلى ابن عمار فجاء ومعه السفرة . فقال له : قد قبلت ما رسمته . فقال له ابن عمار : فأجعل بيني وبينك شهوداً سماهم له : فامر الأذفونش بهم فحضرُوا ، وافترقا يلعبان . وكان ابن عمار يركباً ذكرنا - طبقة في الأندلس ، لا يقوم له أحد فيها . فغلب الأذفونش غلبة ظاهرة لجميع الحاضرين ، لم يكن للعليج فيها مطعن . فلما حقت الغلبة قال له ابن عمار : هل صح أن لي حكمي ؟ قال : نعم ، فماعو ؟ قال : أن ترجع من هنا إلى بلادك : فاسود وجه العليج وقام وقعد ، وقال لخواصه : قد كنت أخاف من هذا حتى هو تنموه على . في أمثال لهذا القول . وهم بالنكت والتفادي لوجهه ، فقبحوا ذلك عليه ، وقالوا له : كيف يجعل بك الغدر وأنت ملك ملوك النصراري في وقتك : فلم يزالوا به حتى سكن ، وقال : لا أرجع حتى

أخذ أتاوة عامين خلاف هذه السنة ١ فقال ابن عمار : هذا كله لك .
وجاء بما أراد ، فرجع وكف الله بأسه ، ودفعه بحوله وحسن دفاعه عن
المسلمين ، ورجع ابن عمار إلى إشبيلية وقد امتلأت نفس المعتمد
سروراً به . « (١)

هذه هي الحكاية التي رواها المراكشي ووضح أن الخيال قد يكون أسهم في
تكوينها لحد غير قليل ، لاسيما وأن المؤرخون الذين عنوا بحياة ابن عمار
والذين سبقوا المراكشي ، فكانوا أقرب منه إلى عهد الوزير لم يشيروا لها
بوضوح رغم توليهم بالبحث عن طرائف الاخبار . ومع ذلك فنحن
لا نستطيع أن نعرض عنها إعراضاً تاماً ونضرب عنها صفحاً ، إذ يبدو أن
فيها نصيباً غير قليل من الصحة . لاسيما ما يتعلق منها بحياة ابن عمار الناجحة
في رد غارة الفونس بالوسائل الدبلوماسية وأهمية هذا العمل . فدرزي يذكر
في كتابه عن المسلمين في اسبانيا ، أن أحد المؤرخين الاسبان قدماء وهو
كاسكاليس ، ذكر أن الفونس السادس كان يوفي برهانه عندما يلعب الشطرنج
فقد فعل ذلك مع أحد المسلمين رغم عظام أهمية الرهان (٢) وينير منندت بيدال
عند كلامه عن الفونس السادس في كتابه عن اسبانيا في القرن الحادي عشر
إلى أن هذا الملك قد قام بغارات متوالية حوالي عام ١٠٧٩ (١٠٧٠ - ١٠٧١ هـ)
على مملكتي بطليوس وطليطله ويذكر تفاصيل ذلك .

(١) المعجب : ص ١٢١

1- Mus Esp., T. 3, P. 101

(٢)

2- M. Pedal, Es. ana del cid, T. 2

ابن المكن جداً أن تكون إشبيلية قد نزلت علاقتها معه باتفاق كهذا الذي
 علقه ابن عمار . والمعتمدة نفسها التي ذكرها المراكشي ندرج كل
 الانسجام مع الأساليب الدبلوماسية المتبعة في ذلك العصر . وفضلاً عن ذلك
 فورد مدح أحد شعراء البلاط الأشبيلي وهو حسان بن المصيصي الوزير ابن
 عمار وأشار إلى جهوده العظيمة في دفع النصارى عن المملكة الحجازية والتدبير (١)
 وأوضح من هذا وذلك هو أن ملك غرناطة عبد الله بن زيري عدو ابن
 عمار المذكور ذكر نجاح ابن عمار في رد عادية النصارى عن البلاد فيقول : «ولأنه
 (أي ابن عمار) كان قد استمال النصارى واندخل معهم بحيلة ، فقتل
 ما نزع أمر من قبلهم وجهه (أي المعتد) إليهم ، فينجي من أمرهم ما يضرق
 الصدر به ، وكل ذلك بأموال رئيسه وسعادة أيامه ... » (٢) .

كل هذه الإشارات وأخرى غير ما تدل على دور ابن عمار السياسي في
 دفع النصارى عن مملكة إشبيلية مستعملاً المال والحكمة السياسية ، وأما
 ما عدا ذلك مما ورد في حكاية عبد الواحد المراكشي فلا يهمنا الا قليلاً .
 يبدو لنا من دور ابن عمار المهم في حياة إشبيلية المسلمة
 في ذلك الوقت ، والأسلوب السياسي الذي اتبعه في عمله والذي حاولنا
 ايضاح خطوطه العامة في صفحات سابقة ، فاحرز نجاحاً غير قليل لاسيما
 إذا أخذنا بنظر الاعتبار الظروف الحرجة المضطربة التي كانت تمر بها
 البلاد آنذاك . ولا شك أن أهم مظاهر هذه السياسة هي أن مملكة

(١) الأخيرة ، ق ٢ ، ف حسان بن المصيصي .

(٢) الانس ، ١٩٣٥ ، ص ٢٢٥ .

اشبيلية لم تدخل طيلة وجود ابن عمار في وزارة اشبيلية في نراعات خطيرة مع مسيحيي الشمال كما كان شأن بطليوس وطليلة وسرقسطة . لقد اصبح ابن عمار بعد اعلاء السياسة هذه ألمع الشخصيات السياسية في ا-بانيا المصانة آنذاك ، وكانت له اليد الطولى في ادارة امور مملكة اشبيلية وتوجيه سياستها . لقد اصبح الشاعر البائس المتشرد المهمل محط الانظار ، يستدر رضاء ويتجنب شره ، اصبح الوزير الاول لا كبير ثمالك الادلس واقواها نفوذاً واكثرها ثروة . والسكن مطامعه لم تكن لتقف عند حد ، فطفق يقلب نظره فيها حوله باحثاً عن فريسة يسيرة ، فملفت انظاره مرسية المدينة الغنية في شرق الاندلس التي كانت يحكمها الابرار السكتاب ابن طاهر فخاك حولها الشباك ودير لها المسكائد ، ورغم ما احرزته من نجاح في جهوده ، هذه فان نجمه ابتداءً يأفل ويحدر نحو الافق بعد أن توسط قبة السماء زمناً ليس باليسير . إن حملة مرسية تعتبر في الواقع فاتحة صفحة جديدة في حياة ابن عمار سنأني للحديث عنها بعد قليل .

نشاط ابن عمار الادبي أيام وزارته للمعتمد في اشبيلية

بقي علينا أن نبحث في هذه الحياة الصاخبة التي قام فيها ابن عمار السياسي البارع بأعم الادوار عن ابن عمار الشاعر ، ولكن جهودنا مع الاسف لا تكاد تحظى بما نأمله من ثمار . اذ يبدو أن حياة ابن عمار الجديدة ، ولا سيما تبديل طبقة قد وضعه في حال يختلف تماماً عما اعتاد سابقاً عليه . فلم يكن من السهل عليه أن يتكيف لها ولما توجبه من موضوعات شعرية لم يألفها في حياة الشباب المريرة . فن الطبيعي أنه لم يحتج

الى المدح والتكسب بالشعر كما كان يفعل سابقاً ، ولم يكن في حال يفسح فيه
 للمواطن الثائرة والمشار المتهبة محلاً واسعاً من نفسه ومشاغله . لقد كان
 الشعر حلية يتحلى بها الوزراء ويستخدمونها كلها تطلبت المناسبات والظروف .
 وهذه المناسبات والظروف لم تكن في اكثر الاحيان عميقة التأثير في نفس
 الشاعر بحيث تدفعه الى الابداع ، فلا بد مثلاً أن يرد الشاعر على صديق
 ارسل إليه غطمة شمربة بأخرى مثلها ، ولا بد له حين يتبارى الشعراء في
 محاسن لوصف منظر معين او حال معينة أن يبدلي بدلوه بين الدلاء وأن يرمق
 قريحته لتجود بما يتيسر لها من ابيات ، ترضى ذوق الصحب وتحظى على وجه
 الخصوص إعجاب الأمير ، الى آخر ما هنالك من مناسبات مماثلة .

إننا في الواقع لانكاد نرى في هذه الفترة أثراً لتناظم الرائية والميمية
 والدالية التي مرت في الفترة الاولى من حياته ، بل إن كل ما هنالك قطع
 أكثرها لا يتجاوز بضعة أبيات متناثرة ، نظمت لتحية صديق اولرد على
 رسالة او استجابة لرغبة غير منبثقة من نفس الشاعر بل منروضة عليه من
 خارجها ، ونزل متكاف بحسناء او نبالام . وهذه الأبيات في أغلبيتها الساحقة
 تسيطر عليها زعة عقلية ، ولغنى بها جهداً فكرياً مقصوداً في وصف السمكات
 وانفاها بالخرقة الانظية والبيانبة والصنعة الفظاهرة البادية التكلف . فالشاعر
 يقصر جهده على ابداء براعته اللغوية ، ومعة قدرته على اللعب بالالتناظ ،
 فلا نكاد نشعر تجاهها بأى احساس فنى أو قيمة أدبية الا فى ممدوحات
 قليلة وأبيات متناثرة هنا وهناك تحاول فيها العواطف أن تشق طريقها بجهد

خلال البهجة الكلامية والتصنع الانظني ، نذكر منها على سبيل المثال قوله
بصف جدولاً يصب في غدير : (١) .

ومطرّد الأجزاء يصقل مثله
صباً اعلنت سر الندى في ضميره
كان حباباً ربع تحت حبابه
فسارع يري نفسه في غديره
جريح باطراف الحصى كلما جرى
عليها شكى أوجاعه بخريره
شربنا على حافاته دور سكرة
واكثر سكرأ منه عينا مديره
وقد لاح نجم الصبح باد كأنه
مطرق جيش مؤذن بأمره

الا أن من الواضح أن حكمنا هذا على شعر ابن عمار في هذه الفترة يعوزه
كثير من الدقة والاحكام ، إذ لا شك أن مالدينا من انتاج الشاعر لا يعدو
أن يكون قليلا من كثير اختفى ولم يصلنا منه الا النزر اليسير . فقد
يكون لما اختفى قيمة ليست لما بين يدينا منه ، وإن كان المألوف أن يكون
مؤرخو الأدب عنوا باختيار أحسن ما لديه وأكثره تأثيراً في نفوسهم ،
على أن ما سبق أن ذكرناه حول موقف المؤرخين القدامى ، ولا سيما منذ

(١) ديوانه ، نفس ، ٨ .

القرن الخامس الهجري يجعلنا لا نعتد كل الاعتداد بأذواقهم واختيارهم ،
فقد يكون في ما املوه أصالة وإبداع يفوقان ما في الذي نقلوه . ومع ذلك
فإن في حياة ابن عمار في هذه الفترة ما يبرر لحد ما هذا الضمف الذي نشأ عنه
في شعره وهذا الهزال الذي نراه في قصائده .

فأولاً ، لم يعد ابن عمار شاعراً متميزاً كما كان سابقاً ، بل أصبح وزير
دولة كثير المشاغل والمهام ، فن الطبيعي جداً أن تأخذ الإدارة والسياسة
جزءاً غير قليل من وقته وتمكيره وأن يفتدو الشعر بالنسبة له وسيلة طمو
وتسلية ، ينظمه غالباً عندما يخلو لنفسه ويسهر مع ندمائه مستجيباً لحاجة
المجتمع الأرستقراطي الاندلسي الذي سبقته الإشارة اليه فنجد المراسلات
الشعرية أو ما يدعى بالاخوانيات تشغل جزءاً غير قليل من إنتاجه الادبي ، كما
يحتل وصف مجالس الأئس والتشبيب جزءاً مهماً آخر . اما المديح فقد كان
ينظمه أيضاً . ولا سيما في أول هذه الفترة ، ولكنه يختلف عن مديحه في القسم
الاول من حياته ، فهو في الغالب مدح صديق اصديقه او وزير للملك ،
يغلب الولاء فيه على الاستعطف والاستجداء . وهذه الانتاج بحملته كما
ذكرنا لا يسكاد يقف على قدميه أمام المقاييس الأدبية الحديثة اذ يغلب
عليه كما قلنا سابقاً التصنع والتكلف والزخرفة اللفظية والبيانبة بشكل
غير مستساغ في اكثر الاحيان .

وثانياً . فقد كان لتبدل طبقة ابن عمار تأثيره أيضاً في إضمار
إمكانياته الأدبية . فلم يكن من عادة ابن عمار أن ينظم إلا نادراً في
غير المديح وما يتعلق به من موضوعات كالشكوى والاستعطاف . أما الآن

لقد وجد نفسه أمام موضوعات جديدة ، عليه أن يجيد في وصفها ، ثم
 الطبعي أن لا يستطيع القيام بذلك بسهولة ويمر ، لا سيما أن الدوافع التي كانت
 تدفعه سابقاً كالحاجة أو الخوف لم يعد لها وجود الآن . وسنرى أن شعر
 ابن عمار يكتسب حيوية وقوة عندما تتوافر له هذه الدوافع ويحمد نفسه
 ثامر المشاعر مضطرب العواطف . لقد سبق أن ذكرنا أن الشعر لم يكن عند
 ابن عمار غاية في ذاته وإنما كان وسيلة لتحقيق آماله وبلوغ مآربه ،
 وقد كانت مآربه وغايته تنحصر في كسب المال والجاه والحصول على المنصب
 والتقرب من السلطان ، وقد تحققت أمنياته هذه وتوافرت بين يديه . فلم
 يعد الشعر إذن ذلك السلاح الفعال والسبيل الذي لا بد منه للحصول على
 ما يطمح فيه ، بل أصبح كما ذكرنا مسلاة وطورا .
 وعلى ذلك فعلينا أن ننتظر الفترات التالية من حياة ابن عمار حين تحتاج
 حياته العواطف انرى قابلياته الأدبية تنفتح وتثمر .

ابن عمار

بين عامي ٤٧١ و ٤٧٧ للهجرة

(١٠٧٨ - ١٠٨٤ للميلاد)

إن هذه السنوات الست من حياة ابن عمار حافلة بالاحداث مليئة بالمفاجآت ، بل إن أحداثها ومفاجآتها ذات أهمية حاسمة في حياة الشاعر ، نقلته من طور الى طور جديد ومن حال الى حال يختلف عن سابقه ، حتى قاده اخيراً الى مصيره الذي سنأتي الى ذكره . أما ما لدينا من إنتاجه الادبي في هذه الفترة فهو نزر يسير ، إلا أنه يلفت النظر آتالفيمته الادبية ، وحيناً لفائده التاريخية والايخبارية . ويمكننا أن نضم في القسم الاول بائتيه (١) اللتين أرسلها الى المعتمد معتذراً ، وثائيته (٢) التي توخت نقص الغرض ، إذ أنها تحتل مكانها في الصف الاول من إنتاجه الأدبي .

ابن عمار ومرسية

أما البائيتان فقد نظمهما بعد محاولته لاحتلال مرسية . ولهذا الحدث أهمية خاصة في حياة الشاعر ، فقد مر ذكره لدى جميع المؤرخين الذين تعرضوا لابن عمار وتحدثوا عن حياته مع بعض الخلاف في التفاصيل .

(١) الديوان ، قص ٥٥ ، ٥٥

(٢) » قص ٥٦

فقد كانت مرسية الهدف الجديد للوزير الاشبيلي بعد أن فشلت جهوده لاحتلال غرناطة ، واكتفى بضم بعض حصونها إلى مملكة إشبيلية ، وبعد أن استطاع أن يبعد ، ولو لأمد محدود ، الخطر المسيحي فيقوى مركزه ويعمل شأنه .

نظر ابن عمار وهو في قمة مجده حوله باحثاً عن فريسة جديدة يرضى بها طعمه ويحوك حولها مؤامراته ، فوجدتها في أمانة مرسية المتاخمة للمملكة إشبيلية من الشرق . وكانت مرسية هذه تكون ، بعد انحلال الخلافة في قرطبة ، جزءاً من أملاك زهير العامري ، ثم ضمت بعد مصرع زهير في حروبه مع غرناطة إلى مملكة بلنسية . أما في هذه الفترة التي نتحدث عنها فكانت مستقلة يرأسها أمير عربي يفتسب إلى قيس ، يذكر المؤرخون عنه أنه كان واسع الزراء لحّد كبير ، إذ أن أملاكه الخاصة كادت تبلغ نصف المقاطعة (١) ، هو أبو عبد الرحمن بن طاهر . وابن طاهر علم من أعلام الأدب الأندلسي في القرن الخامس ، فقد كان كاتباً طويل الباع في مضمار الترسل ، واسع الاطلاع في ميدان الادب (٢) ، خصص له مؤرخو الأدب العربي الأندلسي (٣) فصولاً مسهبّة ، وحفظوا لنا من كتاباته ورسائله نماذج تستحق كل اهتمام وتقدير ، بل إن ابن بسام نفسه وقف عليه كتاباً

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن طاهر .

(٢) الحجة السيرة ، ف ابن طاهر .

(٣) نفس المصدر . الذخيرة ، ق ٣ ، ف ابن طاهر . فلائد المقبان ص ٨٥ . للمعجب ، ص ١٢١

خاصاً وسمه بـ « سخط الجواهر في ترسيل ابن طاهر » (١) . ولكنه كان
 في سياسته ، من الأمراء الذين يحرصون على العيش بسلام بعيداً عن مطامع
 الطامعين ، تخلصه بيقية أمراء الطوائف روابط الود والصداقة . وقد يكون
 السبب الأول في انتهاجه هذه السياسة ضعفه ووهن قواه العسكرية . وكان
 هذا السبب ذاته من الأسباب التي شجعت ابن عمار على أن يتجه بنظره
 نحو مرسية دون غيرها من الإمارات . وقد تأكد ابن عمار من ضعف ابن
 طاهر عن المقاومة عند ما مر عام ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) (٢) بمرسية في طريقه
 الى برشلونة لمقابلة أميرها الكونت رايموند بيرانجيه الثاني ، إذ انتهاز فرصة
 وجوده في مرسية فأنصل بطائفة من وجهائها الذين وجد لديهم استعداداً
 لضرب ابن طاهر فعقد معهم الصفقات وضمن منهم المؤازرة والتأييد . وفي
 برشلونة بذل ابن عمار جهده لاقتناع الكونت رايموند بمساعدته وصور له
 سهولة الفتح ويسره ووعدته بمبلغ عشرة آلاف مثقال من الذهب ثمناً
 لمؤازرته وتأيمده (٣) . وتم عقد اتفاق بين الأمير المسيحي والوزير الاشبيلي
 حول هذا الموضوع . ولكي يضمن كل منها تنفيذ العقد ، فقد وضع ابن
 عمار الرشيد بن المعتمد رهينة لدى رايموند ، وقبل هذا الأخير إعطاء
 ابن أخيه رهينة لدى ملك إشبيلية .

ويقول دوزي ، إن المعتمد كان يجهل تفاصيل هذه الاتفاق ، وإن

(١) الذخيرة ق ٢ ، ف ابن وهبون .

(٢) بني عباد ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٣) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الاندلس ، ١٩٣٥ ، ص ٢٢٤ .

ابن عمار لم يشأ أن يخبره عنه ، لأنه كان وانتماً من وصول المال في الوقت المحدد له . ولكن قولاً مثل هذا يصعب الأخذ به ، إذ أن ابن أخي رايونند كان رهينة لدى المعتمد لهذا الغرض ذاته ، كما كان ابنه نفسه لدى الأمير المسيحي ، وليس من المعقول أن تقوم حملة مهمة مثل هذه ، عقد عليها المعتمد آمالاً كبيرة ، بل وساهم فيها شخصياً لحد كبير ، دون أن يكون له علم بأهم شروطها . بل إن تسلسل الحوادث نفسها لا يدل مطلقاً على مثل هذا الجهل . إلا أن من الواضح كما سنرى أن هذه الحملة كانت سبباً في اساءة العلاقات وتعكير الجو بين الملك ووزيره ، ومناخبة لتبادل رسائل أديبة شعرية قيمة مما سنأتى لذكره في حينه .

وهكذا توجه الجيش الاشبيلي ، يسانده عدد من الجنود البرشلونيين المحاصرة مرسية ، ولكن المدينة لم تستسلم للغزاة بالسهولة التي كان ينتظرها ابن عمار . وما لبثت أمور الجيش الاشبيلي أن ساءت عندما استفحل الخلاف بين المسيحيين والاشبيليين لأسباب لا نعرفها بدقة ، وإن كانت الاشارات الواردة في كتب التاريخ تشير الى أن سببها الرئيس كان الخلاف حول المبلغ الذي تعهد به الوزير الاشبيلي للأمير المسيحي والتأخر في اعطائه من جهة ، والخيبة التي شعر بها هذا الأخير عندما رأى صعوبة قهر المدينة بعد أن صورها له ابن عمار فريسة سهلة يسيرة المنال من جهة أخرى (١) . فكان أن ألقى الرشيد بن المعتمد في السجن وقبض على الوزير الاشبيلي وشدت شمل قوته حين حاولت انقاذه ، وطالب رايونند فضلاً عن ذلك بثلاثين ألف

(١) مذكرات الملك عبد الله بن زهرى ، الأندلس ١٩٣٥ ، ص ٢٢٣ .

ديثار لقاء جيئه واطلاق أسيره .

وفي هذا الوقت ذاته كان المعتمد يسير على رأس جيشه متقدماً ببطء نحو مرسية ومعه ابن أخي الكونت ريموند . ولكنه ما كاد يصل قرب جيان حتى قدمت عليه فلول جيش ابن عمار تنبئه بما حدث ، فاشتد غضبه على وزيره وأمر بالقاء ابن أخي الكونت ريموند في السجن مكبلاً بالحديد ، ثم توجه إلى مدينة جيان حيث أرسل إلى الأمير المسيحي المبلغ الذي طلبه لكي يطلق سراح ابنه ووزيره ، وما كادت النقود تصل حتى أطلق سراحها . ويذكر فريق من المؤرخين أن المعتمد سلك نقوداً ناقصة الوزن خدع بها الكونت ولم ينتبه هذا الأخير لهذه الخدعة إلا بعد إطلاقه لسراح أسيره (١) .

أما ابن عمار فقد خرج خائفاً يترقب . لقد عرف أن الملك لابد غاضب عليه ، ناظم لفشله . ولم يجد في موقفه الحرج هذا من سبيل يلجأ إليه لا تقاذ نفسه من محنته وتحليصها من ورطته سوى الشعر .

وهنا تبدو ظاهرة ذات معنى في إنتاج ابن عمار الأدبي سبق أن اشرنا إليها وهي أن شاعرنا لا يجيد إلا إذا تملكه الخوف وملا نفسه القلق واستبد به الرعب ، إذ أن أبياته لا تصبح مجرد عبث اعفلي وزخرفة بيانية أو بديعية مصطنعة ، وإنما تزخر بالشعور الصادق وتفيض بالاحساس العميق والعاطفة الجياشة . ومرد ذلك طلباً إلى الاخلاص في التعبير ، إذ قل مانراء في الشعر

(١) الحجة السيرة ف ابن عمار

الذى تفرضه المناسبات والذى يكون القسم الأكبر من انتاج ابن عمار الأدبى . فإذا وجد هذا الاخلاص وأضيف الى تمكن الشاعر من ناصية النظم وقبضه على زمام اللغة ، جاء شعره رائعاً ينفذ الى النفس ويحرك أوتار القلب ويبعث فيها ذلك الشعور بالارتياح والمشاركة العاطفية ، ذلك الاحساس الذى نطلق عليه المتعة الادبية او التذوق الفني .

البائيتان

ويبدو أن الشاعر كان قلقاً حقاً ، تملأ نفسه الرارة والظبية ، فقد فشل مشروعه بعد أن أتقن في سبيله ما أتقن من جهة ، وفقد من الجهة الاخرى ثقة ملائكه ورضاءه . ومن المحتمل أن لا يصل الألم والقلق بابن عمار الى هذا الحد لو لم يكن في مثل هذا الموقف الحرج يعصر قلبه الخذلان وتملأه مرارة الهزيمة . ولنتترك ابيات الشاعر نفسها نصف لنا النزاع الذى كان يعاينه والصراع الذى يتجاذبه والقلق الذى كان يملك عليه نفسه ويستحوذ عليه ، إذ يقول (١) :

أأركب قصدي أم أعوج مع الركب ؟

فقد صرت من أمرى على مركب صعب

وأصبحت لا أدرى أفي البعد راحتي

فأجعله حظي أم الخير في القرب ؟

1 - Mus . Esp . T . 3 , P . 109

(١) الحلة السيرا . ف ابن عمار .

على أنني أدري بأنك مؤثر

على كل حال ما يزعزع من كربى

فهو رغم تردده وقلقه ، يدرك أن الملك أقرب الى العدو عنه والتجاوز
عن إساءته ، بل إنه لا يتصور أن المعتمد يمكن أن يقف غير هذا الموقف
أو يسلك معه غير هذا المسلك ، فهو رغم جبروته التي سببها الحظ العاثر لم
يخن الملك أو يقوم بعمل يقصد به النيل منه وإضعاف سلطانه ، كما لم يكن
ضعف الرأى أو العجب والكبرياء سبب تكبته وإنما هي ظروف أقوى منه
واشد بأساً من من رأيه وتديره :

أظلم فى عيني كذا قر الدجى

وتنبو بكفى شفرة الصارم المضب

حنانيك فيمن انت شاهد جده

وليس له حاشا انتصاحك من حسب

وما جئت شيئاً فيه بنى لطالب

يضاف به رأى الى الضعف والعجب

سوى أنني أسأمتي للمعة

فلت بها حدى وكسرت من غربى

أما أنه لولا عوارفك التي

جرت فى جرى الماء فى الفصن الرطب

لما سميت نهي ما أسوم من الأذى
ولا قلت إن الذنب فيما جرى ذنبي
ساستمنح الرحمن لديك ضراعة
واسأل سقياً من تجاوزك العذب
وان فتحتني من سمائك حرجف
سأعتف بإرد النسيم على قلبي

ففضلاً عن قيمة هذه الايات التاريخية ، لأنها تعكس لنا مرحلة من
مراحل العلاقة بين المعتمد ووزيره ، فإن قيمتها الأدبية لا يتطرق اليها الشك .
ولعل مصدر هذه القيمة الأخيرة ، هي في أن الشاعر لم يقصد اللعب بالألفاظ
وإظهار براعته في رصف الكلمات وزخرفة العبارات واستعمال المحسنات
البديعية ، بل اراد التعبير فعلاً عن شعور عميق كانت تفضج به نفسه ويفيض
به قلبه ، كان يريد ان تنعكس في كلماته مشاعر الألم والخوف والخبية والحذر
والرغبة في استرضاء الملك وكسب وده ، كان يريد أن يبرز مشاعر المعتمد
ويحجب إعجابه ويستدر عبائه ، ولذلك استكملت القطعة الأدبية عناصرها
الاصيلة وهي مضمون قيم فاضح في شكل رائع منسجم .

وقد كان لهذه القطعة أثرها في نفس المعتمد فأجابه قائلاً (١) .

لدى لك العتبى تزاح عن العتب
وسعيك عندي لا يضاف الى ذنب

(١) الديوان ، نس ٥٥ .

وأعز علينا أن تصيبك وحشة
 وأنسك ما ندره فيك من الحب
 فدع عنك سوء الظن بي وتعمده
 الى غيره فهو الممكن في القلب
 فريضك قد أبدى توحش جانب
 فجاءت تأنيساً وعلمك بي حسبي
 تكلفته أبغى به لك سلوة
 وكيف يعانى الشعر مشترك الملب

ومما يتصل بهذه الايات والتي سبقتها آيات اخرى تشابهها في الوزن
 والروي ، بل إن مؤرخي الأدب كثيراً ما خلطوها بعضها ببعض الآخر
 وأوردوها في المناسبة نفسها ، ولا نجد غير ابن الأبار وحده يميزها من
 الايات المارة الذكر ، ويذكر نقلاً عن أحد جامعي ديوان ابن عمار ،
 أبي الطاهر التميمي أنها قيلت في حال أوجبت إيحاشاً بين المعتمد ووزيره (١) ،
 وهو لا يقل عن الايات السابقة من حيث قيمتها الأدبية ، وتكاد تعكس
 نفساً تشبه تلك النفس التي جادت بالاولى ، كتب ابن عمار :

أصدق ظني أم أصبح الى صبحي
 واقضى عزمي أم أعوج مع الركب
 إذا انقذت مع رأيي مشيت مع الهوى
 وإن ألقمته نكصت على عقبي

(١) الحلة السيرة ، ف ابن عمار ، رواية أبي الطاهر التميمي . الأخيرة ق ٢ ، ف ابن عمار .

وإني للتثني إليك مودة
 يغيرها ما قد تعرض من ذني
 فلما أغرب الأيام فيما قضت بسه
 تربى بعمدي عنك آنس من قربى
 أخافك للحق الذي لك في دمي
 وأرجوك للحب الذي لك في قلبي
 وكم قد فرت بينك بي من ضريبة
 ولا بد يوماً أن يفلل من غربي
 وأعلم أنت العفو منك سجية
 فلم يبق إلا أن تخفف من عتبي
 ولي حسنات لوأمت ببعضها
 إلى الدهر لم يرتع بذائبه سربي
 ولا بد ما بيني وبينك من
 يطبقها ما بين شرق إلى غرب

ويبدو ابن عمار ، في هذه الأبيات ، التي ربما تكون قد قيلت بهذه
 المناسبة أو في أخرى مثلها ، رغم قلغه وتردده ، أربط جأشاً وأشد ثقة
 بنفسه ، بل إنه يمتن على الملك بما آثره وأعماله ويذكره بخدماته وحسناته
 التي يذكرها له الدهر .

وعلى هذه الايات أجابه المعتمد بقوله (١) :

تقدم الى ما اعتدت عندي من الرحب

ورد نلقك العتي حجاباً عن العتب

منى نلتني نلق الذي قد بلوته

صفوحاً عن الجاني رؤوفاً على الصحب

سأوليك منى ما عهدت من الرضى

وأصفح عما كان إن كان من ذنب

فأشعر الرحمن قلبي فسوة

ولا صار لسيان الأذمة من شعبي

وهذه الايات كما ذكرت كثيراً ما تختلط لدى المؤرخين مع الايات السابقة وتخرج بها بحيث يصعب إثبات ما قيل منها في هذه المناسبة او ما لم يقل . ولكن ما نستطيع تأكيده هو أن روحاً واحداً تقريباً يتخللها ويكسبها قيمة ادبية متقاربة ، مصدرها شعور الشاعر المتدفق واخلاصه في التعبير ومقدرته عليه .

وكان في جراب المعتمد لابن عمار ما يطمئنه ويثبت في نفسه الثقة برضاه وعفوه ، فيقدم اليه ويسال الصفح منه . وقد حاول المعتمد حل المشكلة التي اوقته ابن عمار فيها باتفاقه مع حاكم برشاونة المسيحي ، مرسل اليه عشرة آلاف قطعة من الذهب التي اتفقا عليها ، ولكن الامير المسيحي لم يعد

(١) الحلة السراء ، ف ابن عمار . الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

يقبل بغير ثلاثين ألفاً ، فلم يكن من المعتمد ، كما يقال ، إلا أن ارسل اليه
الثلاثين ألفاً التي طلبها واسكن بوزن أقل من الوزن المقرر ، فقتلها رابعونند
ولم ينتبه اليها إلا بعد اطلاقه سراح الرشيد ، ولات حين غضب (١) ،
كما سبق أن اشرنا الى ذلك من قبل .

ولدينا حول هذا الموضوع وثيقة تاريخية لا بد من الإشارة اليها وهي
رسالة كتبها ابو بكر بن القصيرة على لسان المعتمد الى صديق له نجدها في
مخطوط الذخيرة لابن إسحاق ، القسم الثاني ، يقول فيها : « لم يغيب عنك من
يجبى الحال بمرسية وجه أجلوه ، ولا انطوى من حواه امر أثره وأبديه ،
وها أنا أعرض عليك من باطنها ، ما ربما خفي ، وأنتى اليك من بخواه ما لعله
لم ينم وجهه ولا انهى ، وذلك أن الافرنج ايام تلومهم على صاحبها وإحداقهم
بجانبها أرسلوا الى من اعياهم من قرب على وجه سراها . فاستجبت لندائهم ،
ولم يكذب بخلاج ببالي شك فى صدق أنباءهم ، واذا الاسر بخلاف ما ذكره
وعلى غير ماسهاوه . ووقع من الطاولة ما وقع ، وآلت الحال معهم الى ما قد
فشى وسمع ، فأعدت لها الخيل مع فلان ، لاطاله حصرها والاباحة بقرها ،
وصاحبها مع ذلك أعمى عن رشده ، يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى إعطاء
صغفه يده ليقضي الله تعالى قدره ويبلغ امره (٢) .

فهو يبرر في هذه السطور القصيرة فشله في حملته الاولى على مرسية ويعرب
عن تصميمه على حصارها وقهرها وقراره بإيداع هذه المهمة الى ابن
عمار نفسه .

(١) - الحلة السيرة ، ف ابن عمار . بنو عباد ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٢) - الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابو بكر بن القصيرة .

الحملة الثانية على مرسية

ان ما عرفه مما نقله لنا المؤرخون العرب (١) ، هو أن ابن عمار كان المحرض الأكبر على القيام بهذه الحملة والمصمم عليها ، فقد ادعى أنه تسلم كثيراً من رسائل التأييد والتشجيع من أشراف مرسية ونبلاتها واستعدادهم لمزيد المعونة والمساعدة له اذا ما غزا مدينتهم . فإما كان من العتمد إلا أن استجاب لهذا الاغراء ، ووافق على مشروع ابن عمار وعهد اليه بتنفيذه . ويذكر ابن قاسم الشليبي عند تحديده عن هذا الموضوع ان ابن عمار ذكر للعتمد أو زور أن اهل مرسية قد داخلوه وخطبوه وأظهر له كتباً - ~~سحر~~ أنهم كتبوها اليه .

وسار بعد استعداداته الخطيرة هذه الى قرطبة حيث ألحق بجيشه جزءاً منها من حاميتها وقضى ليلة بنسجبة أميرها الفتح بن العتمد حاكم المدينة ، حتى اذا ما بدت خطوط الفجر قدم اليه أحد اتباعه ينهيه الى ان وقت السفر قد حان فيجيبه ابن عمار :

اليك عني فليكن كله صبيح
وكيف لا وسيمرى الحاجب الفتح

ويترك الجيش الاشربلي قرطبة متوجهاً الى مرسية ، وفي طريقه اليها يمر بمحصر بلج . وبلج قائد عربى من شقيق قدم على رأس حملة تأييدية عندما

(١) الذخيرة ، ق . ، ف ابن عمار

ثار البربر في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) مرسلًا من قبل الخليفة
في دمشق وقد قام بدور مهم في حياة الاندلس قبل الامارة الاموية لاجال
للتحدث عنه الان . وكان يحكم حصن بلج هذا حاكم من سلالة عرف بابن
رشيق . فاكاد ابن عمار يصل الحصن حتى استقبله ابن رشيق بخفاوة
وترحاب وقدم له من ضروب المساعدة والتأييد ما اقنع ابن عمار باخلاصه
له وتآزره معه ، فالتحقه بركابه وتعاونوا وياه على تنفيذ غرضه .

وسار ابن عمار بجيشه بإمارة ابن رشيق وضرب حصاراً محكمًا حول
مرسيه ، ولا سيما بمد استيلائه على حصن موله الذي كانت يحمي الطريق
الرئيس الذي يمون المدينة بالزاد والطعام (١) . وكان لاحتلال حصن موله
اثر كبير في اهل المدينة ، فشعروا بالضيق والحرج ولاشك ان تأثر
العامة بمثل هذه الازمات يأخذ شكلاً مؤلماً في غالب الاحيان . بل ان
نصيهم هو الاوفر عادة من النتائج السيئة التي تترتب على هذه المشكلات .
فاذا اضغنا الى ذلك ما بذله ابن عمار من المال والوعود لوجهاء المدينة ونبلائها
أدركنا أن المدينة لم تكن لتستطيع الصمود طويلاً امام جيش اقوى منها
عدة واكثر عددآ ، اذا لم يتيسر لها من يساعدوها ويشد أزرها من يجاورها
من الأمراء الاقوياء . ولكن لم يكن من سبيل للحصول على هذه المساعدة
والمؤازرة ، فابن عمار قد ضمن صداقة القوئس السادس وحياته . ولم يكن
لابن عبد العزيز ابن ابن عمار أمير بلنسية قدرة على حشر نفسه في

(١) الحلة السيرة ، ف ابن عمار .

ما أرق مثل هذا رغم صداقته لابن طاهر أمير مرسية ورغبته القوية في مساعدته ورغم مقته لابن عمار وثقوره منه ؛ فقد كانت المشكلات الداخلية والخارجية تهدده بالويل والثبور . وقل مثل ذلك عن عبد الله بن زيري أمير غرناطة الذي لم يكذب يصدق أنه تخلص من مؤامرة ابن عمار ومن مكائده ، فلم تكن له رغبة إذن في الدخول معه في صراع جديد ، رغم أنه كان ينظر الى حركة الاشبيليين هذه بغيظ وحسد (١) .

بعد أن أحكم ابن عمار حصاره لمرسية وتأكد من عدم قدرتها على الصمود أدرك أن سقوطها أصبح مسألة زمن ليس غير ، عاد لاشبيلية تاركاً لابن رشيق أم قيادة جيشه وتنفيذ خطته ، وبقي هناك ينتظر ورود الانباء . روى ابن الفاسم الشلبي ، قال (٢) « وما زال ابن رشيق يناديها ويرادحها بالغارات ويدخل أهلها في القيام على ابن طاهر ومنهم الخطوة ، حتى لأن قيادهم وصرخوا له بالانحياز ووصلت كتبهم على يديه الى ابن عمار وهو باشبيلية . قال ابن قاسم ، واقد شهدت ابن عمار في القصر باشبيلية يقرأ هذه الكتب وكانت أزيد من عشرين ، فلما استوفأها قال لنا كأنكم بفتح مرسية من غد الى بعد غد ، فكان كذلك » وقد حدث ذلك فعلاً ، فلم تكسده تمغزي ايام حتى استسلمت مرسية نتيجة تمرد في داخل المدينة أسنده وأيده المحاصرون ، فأسقط في يدي ابن طاهر ولم يستطع حتى الفرار فوقع اسيراً في أيدي أعدائه .

(١) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الاندلس ١٩٣٥ ص ٢٢٤ .

(٢) بنو عمار ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

وما كادت الأنباء تصل إلى ابن عمار في أشبيلية حتى استأذن المعتمد بالرحيل وترك أشبيلية في موكب حافل لمحقق فوقه الرايات وتضرب حوله الطبول . تتبعه مئات المظايا والبغال المحملة بنفائس الهدايا وفاخر الثياب . ويمتاز هذا الموكب الرائع قرطبة في احتفال كبير يحف به الناس تملأه نشوة النصر ويشبع في نفسه الزهو والخيلاء . ومنها يمضي إلى غيرها من المدن التي تقع في طريقه حتى يصل مرسية . إن من الطريف أن يبقى هذا المشهد ماثلاً في ذاكرتنا بضع سنوات بعد ذلك عند عودة ابن عمار إلى قرطبة حاسر الرأس بين عسكدي بن علي حمار هزيل والاس تلقي في وجهه الشتائم وترميه بالحجارة .

وصل ابن عمار مرسية فدخلها بموكبه المهيّب نائراً الدخايل والهبات ، سال كما سلك الملوك في توقيعاته (١) حتى إذا كان اليوم الثاني جالس في قصر الإمارة يستقبل المهندسين ويوزع الجوائز ، وقد ارتدى فلسوة طويلة اعتاد المعتمد أن يختص لبسها وكان يكتب في ذيل ما يقدم إليه . . . « ينفذ هذا إن شاء الله » ، دون أن يذكر المعتمد سيده أو يشير إليه كما تقتضي الأصول الإدارية المتبعة آنذاك وكانت هذه بادرة خطيرة لسلسلة من أعمال العصيان والتمرد قام بها ابن عمار وكان لها أكبر لانز في مستقبله السياسي .

١ . الخلد السجاء ، ف ابن عمار

تمرد ابن عمار في مرسية

لا شك أن بذور التمرد كانت متمكنة في نفس ابن عمار منذ زمن ليس بالقليل قبل دخوله لمرسية . وكانت تغذى هذه البذور وتدفعها الى الانبات عوامل عديدة أهمها :

أولاً :- الفترة المضطربة التي كانت تعيش فيها بلاد الأندلس آنذاك ، فلم تكن نمة حكومات قوية تستطيع فرض سياستها وسلطانها على جميع البلاد ، بل كانت الخلافات والنزاعات الداخلية تفعل فعلها في إضعاف شوكة ملوك الطوائف وفل يزمهم الوقت في عضدهم ، وكان ابن عمار يعرف ذلك حق المعرفة ويدرك أن اشبيلية نفسها ليست في وضع يساعد على أن تدخل منفردة في نزاع حاد وصراع عنيف .

ثانياً :- اعتداد ابن عمار بنفسه وإيمانه بحنكته السياسية ودعائه في إدارة دولة الحكم - بل لا نبالغ اذا قلنا إنه كان يعتقد أن إدارة دولة بني عباد وتوسيع نفوذها يرجع الفضل فيها اليه ، لذا فلا يرى أنه مدين لسيد به شيء . وقد رأينا أنه كتب للمتمرد يوماً من قطعة :

ولي حشرات لو أمت ييمضها

الى الدهر لم يرتع بذائبه سري

وسنراه وهو في أحرج ساعاته يطلب من المعتمد العفو والمغفرة مذكرة

بخدماته السابقة حين يقول في قصيدة :

وإن رجائي أن عندك غير ما
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت ودأ وخدمة
يكرات في ليل الخطايا فيصبح

ويتحدث عن غروره هذا عبد الله بن زيري ملك غرناطة فيقول ،
عدا ما ذكرنا سابقاً من رأيه حول نجاحه في رد المسيحيين عن إشبيلية
وإرجاع ابن عمار كل الفضل الى نفسه ، « إنه (اى ابن عمار) بفسوقه
كان يتكبر على اولاده (اى اولاد المعتمد) ويضيق عليهم ويسيء الصنيعة مع
من يجب عليه إكرامه من قرابة سلطانه ، والمعتمد في هذا كله يصير » (١) .

ثالثاً : - صداقة ابن عمار لألفونس السادس ملك قشتالة وثقته
بتأييده وإسناده . وكان الوزير الاشبيلي كما ذكرنا يدرك أهمية ألفونس في
الأندلس وتأثيره الكبير على توازن القوى . فضمانه لصداقته وتأييده ،
كسب ذو قيمة خطيرة وتشجيع كبير له على الاستغناء عن سيده السابق .
ولدينا في هذا الموضوع قصة طريفة يرويها لنا ابن الأبار فيقول ، إن ابن
عمار كان يتختم بخاتمين . وإنه حكى أن ابن طاهر غمز على رسول ابن عمار
المعلم بخاتميه وأنه نسب أحدهما للمؤمن بن هود والثاني لأذفونش بن
فرداند ! وقال أبو الطاهر التميمي إن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز قد

(١) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الأندلس ، ١٩٣٥ ، ص ٣٢٥ .

« ندر فيه حين بلغه أن أذفونش ملك الروم أعطاه خانقاً عند اجتماعه به وإيادته فراراً من الوحشة الواقعة بينه وبين ابن عباد وتخوفاً منه ، فقال « أخاتم التأشير أم خاتم التأمين » (١) فقال ابن عمار عندما بلغه ذلك قصيدته التي مطلعها « قل للوزير وليس رأى وزير » والتي ستعرض لها فيما بعد .

رابعاً : - غنى مرسية وثروة ابن طاهر كما ذكرنا ، فقد كانت واسعة الثراء وتقدر املاكه بنصف كورة مرسية .

خامساً : - عدم وجود أساس شرعي للسلطة غير المال والقوة في الأندلس آنذاك . فمن امتلك المال استطاع تجنيد المرتزقة وجميع الاتباع وضم الاعوان ، ونظرة بسيطة على الاصول التي انحدر منها ملوك الطوائف تثبت لنا هذه الحقيقة . فلم يكن ابن عمار إذن يتحرج عن طلب الملك والسلطان مادام المال متوفر لديه وما دامت ظروف البلاد تشجعه على ذلك كل التشجيع .

كل هذه العوامل وأخرى غيرها دفعت ابن عمار الى التفكير في التمرد في مرسية وقطع كل علاقة تربطه بالعميد بن عباد . وقد بدت مظاهر هذه الرغبة كما رأينا منذ بدء قدومه الى مرسية ، بل إن اشارات كثيرة سبقت هذا القدوم كانت تعرب عن نيات الوزير المبيتة ، وتدل على أن المعتمد نفسه ، لم يكن غافلاً عن هذه النيات ، حتى ان ابن الأبار يروي لنا رواية تبعث على الدهشة والاستغراب فهو يقول نقلاً عن أبي بكر محمد بن

(١) ابن الأبار الحلة السراء ، ف ابن عمار .

القاسم الشلبي ما تلخيصه « إن ابن رشيق لما قرى كتابه المضمن دخول مرسية ، باشبيلية ، ارتاح ابن عمار وأعمل نظره في اللحاق بها وأشار على المعتمد بذلك ، فما خافه فوافق ، فلم يترك ابن عمار باشبيلية في ملك سلطانه ولا ملك أحد من معارفه فرساً عتيقاً ولا مطية ولا زاملة إلا استخرج ذلك من أيديهم رغبة ورهبة وأحضر له التجار ما بأيديهم على اختلاف بضائعهم من الديباج والخز إلى ما دون ذلك من نفيس الكساء ليعم بذلك أهل مرسية على قدر منازلهم عنده ، ولم يخف عن ابن عباد وجه مراده ، فلما سلم عليه مودعاً ، قال له : سر إلى خيرة الله ولا تظن أنني مخدوع ، فقال (ابن عمار) : لست بمخدوع ولكنك مضطر . فسلم عنه وخرج من إشبيلية ، وأقام بظاهرها أربعة أيام يستوفي أغراضه ثم رفع ألويته وقرع طبلوله ، وسار لا يمر ببلد من أعمال ابن عباد إلا استخرج منه كل ذخيرة حتى وصل إلى مرسية ١٠٠ » (١)

ويذكر ابن زيري ملك غرناطة في حديثه عن محاولة ابن عمار فتح هذه المدينة أنه « كان الناس يتوقعون عليه الفساد عند محاولة أمرها (أي مرسية) » ٢ .

ابتدأت شقة الخلاف تتسع بين المعتمد وابن عمار وازداد الخلف بينهما شدة وقوة ، لا بسبب الأعداء ، كما يدعي ابن عمار في أبيات بعث بها إلى المعتمد

(١) الحلة البهراء ، ف ابن عمار ، درزي ، بنو عباد ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٢) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، لانتلس ، ١٦٣٥ ، ص ٢٢٤ .

حيث يقول (١) :

أظن الذي بيني وبينك أذهبت
حلاوته عني الرجال الخبائث
تكرت لا أنى لفضلك ناكراً
لدى ولا أنى لمهدك ناكث

ويؤيده في هذا الادعاء دوزي (٢) . وإنما بسبب ما أوضحناه من
مطامح ابن عمار ومطامحه واعتداده بنفسه ورغبته القوية في أن يشيد
لنفسه سلطاناً مستقلاً يناسب ما يعتقد أنه يمتلك من عزم وحزم ودهاء .
لقد كان وانتماً كما قلنا ، من استطاعته الصمود في مقابل الجديد لاسباب وأن
القونس يقف الى جانبه . وسنرى أن شعره في هذه الفترة يعكس نفسيته
واعتماده الشديد بنفسه وغروره الذي قد يبعث على الاستغراب من رجل في
مثل مركزه قد خير الحياة وعرف حلوها ومرها . ولما سكن العوامل التي كانت
تحيط به والتي سبق أن أشرنا إليها تخفف الحد كبير من هذا الاستغراب
لقد كان ابن عمار يعتقد بأنه قادر بما يملك من قوة ومن تأييد على أن
يقف في وجه جميع ملوك الطوائف في الأندلس . ولم تكن علاقته سيئة مع
المتعبد بن عباد ملك إشبيلية وسيد القديم فحسب ، وإنما كانت كذلك مع
ملوك الطوائف الآخرين . فابن عبدالعزيز ابن أبي عامر أمير بلنسية يظن له الحق

(١) ديوان قص ٥٦ .

2 - Mus . Esp . T . 3 , P ; 109

(٢)

والضعيفة (١) . والمعتمد بن حمادح الأمير المرية وحليف المعتمد كان ينظر
اليه برؤية وحقد وقلق (٢) . وقيل مثل ذلك عن علاقته بابن زيري أمير
غرناطة (٣) . ومع ذلك فلم يكن يعتقد أنهم يشيكونون مصدر خطر عليه
وسببا في آذاه ، فكان يسلمهم بلا سنان ، ويكفل لهم الشتم والسباب ويهددهم
بالويل والثبور .

وعلى ذلك فقد سلك ابن حمار في سره بعد أن نما شعوره بقوته
واعتمادده بنفسه ، سلك الأمراء المستقلين متردداً على المعتمد وناكثاً
عهده منه . وعندما غاب هذا الأخير متمثلاً باليتين التالين :

تغير لي فيمن تغير حارث
وكل خليل غيبرته الحوادث

أحارث إن شورك فيك فطامنا
فعمنا يوم يني وبينك ثالث

أجاب ابن حمار بقصيدة من خيرة قصائده يتنصل فيها من مسؤولية
التمرد ويلقي بتبعاتها على الخشاميين والخطباء ، ويحاول أن يستعيد ثقة
المعتمد به ، مظهراً في الوقت نفسه خياناته الخفية للملك وتضحياته المداومة
في سبيله . وليس في هذه القصيدة اعتذار أو إقرار وإنما فيها عتاب ومنه :
فلاستمع اليه يحبيه على بيتيه السالقين (٤)

(١) ديوان قص ٥١ .

(٢) » ٥٦ .

(٣) مذكرات الملك عبد الله . الاندلس . راجع له منه ٢٠٠٠ .

(٤) ديوان ، قص ٥٦ .

لك المثل الأعلى وما أنا حارث

ولا أنا ممن غيرته الحوادث

ولا شاركتك الشمس في وإنه

لينأى بحظي منك ثان وثالث

فديتك ما للبشر لم يسر برقه

ولا تفحت تلك السجايا الدماث

ثم يشير كما ذكرنا سابقاً الى أن الوشايات والنائم هي التي سببت هذه القطيعة وأوجدت سوء الظن . ويعود بعد ذلك ليذكر ملك إشبيلية بخدماته السابقة وتضحياته الكثيرة في سبيل تقويم دعائم مملكته وتوسيع رقعتها معاتبه على عدم تقديره لخدماته ومكافأته على تضحياته :

أبعد مضت خمس وعشرون حجة

تجاءت بنا تلك الخطوب الكوارث

مضت لم ترب مني أمور شوائب

ولا نليت عنى مساع خباث

حلت يداً بي هكذا وتركتني

منهاياً وللأيام أيد عواث

وعلى أنا إلا عبيد طاعتك التي

إذا مت عنها قام إمدى وارث ا

ويحذره ، لا بلهجة التابع لسيده ، وإنما بلهجة النداء ، تحذيراً فيه
شدة وأمتنان ، يدل على أن الوزير لم يعد يحمل للملك ما كان يحصل له من
ارتباط وثيق وطاعة تامة وإخلاص لا تشوبه الشوائب .

أعد نظراً لأنو من الرأي إنه
قدماً كباهي وأدرك رائث
ستذكرني إن بان حبيلي وأصبحت
تنب بكفك الحبال الرافث
وتنليني إن غاب للرأي حاضر
وقد غاب مني للخواطر باعث
أعوذ بعهد لظنه بك أن ترى
تحل عراء العاقبات الواقعة

وفصيحة ابن عمار هذه من أدب الرسائل الشعرية التي كانت سائدة
آنذاك . ولا شك أنها عموماً جيدة من نواحي هذا الأدب ، إذ أنها تعكس
لنا بالإضافة إلى أفكار الشاعر ، عواطفه وأحاسيسه ، بل إنها يمكن أن تنس
خلالها حالة الشاعر النفسية وموقفه الحقيقي من الملك . كى ذلك بأللوب
متارك ينسجهم مع غايات الشاعر ومقاصده من نظم الأبيات .

إذن فقد ساءت العلاقات بين المعتمد وابن عمار ، وبدأ هذا الأخير
يسلك سلوك الأمير المستقل ويظهر بوادر تمرد ، دفعت الأول إلى أن

يظهر امتعاضه واستيائه في مناسبات مختلفة ، ومن الطبعي أن تتسع شقة الخلاف يوماً بعد يوم وأن ينتهي كل ذلك بمساء مستحکم وحقد عنيف كما سنرى .

قلنا إن ابن عمار بعد دخوله لمرسیه اعتقل أميرها السابق ابن طاهر .
وذكر أنه بعد أن سلبه ملكه وأملاكه حاول مجاملته فبعث إليه وهو في الأسر بكسوة حسنة ، واسكن ابن طاهر رفضها وقال للرسول (١) إنه لا يريد سوى سروال قصير وكساء رث وكان ابن عمار أيام عسره وفقره في مطلع حياته الادبية قد قدم على ابن طاهر يستدر عطائه ويستجدي كرمه بشعره وهو مرتد ملابس رثة تتألف من سروال مهلهل ورداء قصير ، فقصده ابن طاهر تذكيره بماضيه والتهم من مرتبته ، فامتعض ابن عمار وذكر للجلسه غرض ابن طاهر من تعريضه هذا .

ثم أسر باعتقال ابن طاهر في قلعة مونتيكادو . وكان أبو بكر (٢) بن عبد العزيز بن أبي عامر أمير بالمسيه صديقاً حميماً لابن طاهر ، فشفع له لدى المعتمد . وبعد مفاوضات حول هذا الموضوع تم الاتفاق على إطلاق سراح ابن طاهر بشرط أن ينزل عن إحدى القلاع التي كان يحكمها أحد اقرباء هذا الأخير ، وهو أبو بكر بن موسى ، لابن عمار . وما كاد ابن طاهر يتملص من القيود ويقصد بلفسية حتى نكث باتفاقه ورفض تسليم القلعة ، يحرضه

(١) الحلة البيراه ، ف ابن طاهر ،

2 - Mus . Esp . T.3 , p.111 .

(٢) الحلة البيراه ، ف ابن عمار .

على ذلك ابن عبد العزيز أمير بلنسية وعدو ابن عمار اللدود (١) . وأخذ
 الغضب من ابن عمار كل مأخذ فنظم في ذلك قصيدة (٢) ، ضمنها كل حقه
 على ابن طاهر وابن عبد العزيز مندداً بهما وتهماً إياهما بشئ التهم ، ولا
 سيما بنقض العهود والوعود ، ولم يكتف بذلك ، بل هدد بلنسية بالويل
 والنهور . يقول فيها :

خير بلنسية وكانت جنة
 أنت قد تدلت في سواء النار
 غدرت وفياً بالعهود وقلم
 عثر الوفي سعى الى الفساد
 ويدعو أهل المدينة الى الثورة والمرد ضد حكامها :
 يا أهلها من غائب أو حاضر
 وقطينها ممن حاضر أو سار
 جازوا بني عبد العزيز فلم
 جروا اليكم أسوأ الاقدار
 نوروا بهم متأولين وفلديرا
 ملسكاً يقوم على العدو بشار

ثم ينتقل للتحدث عن ابن طاهر ذا كراة ثمته للمهد :

(١) الحلة السبراء ، ف ابن عمار

(٢) ديوان ، قص ٥٨ .

جاء الوزير بها يكشف ذيلها
عن سوءة سوى وعار عار
نكت اليمين وحاد عن سنن التقى
وقضى على الاقبال بالادبار

الى أن يقول :

ما كنتم كأمة صالح
فرماكم من ظاهر بقدار
هذا وخصكم بأشأم طائر
ورى دياركم بأسوأ جار
لا بد من مسح الجبين فأنما
لطمته غدرأ غير ذات سوار

وننقل بعد ذلك للفخر بنفسه ، وأمل هذه الايات أحسن ما تحتويه
الفريدة . إذ تلوح خلالها بوضوح غطرسة ابن عمار وكبريائه واعتداده
بنفسه والصورة التي لديه عنها . وسنجد أننا نستطيع أن نرى خلال هذه
الارصاف مميزات شخصية ابن عمار كما حارلنا رسمها في السلور السابقة
والتالية ، وسنرى أنها كانت سبباً في إثارة المتمد نفسه ودفعه الى التهم
بوزيرة القديم :

كيف التفت بالخديعة من يدى
رجل الحقيقة من بني عمار

رجل قطعه الزمان فجاءه

طرفين في الاحلاء والامرار

سلس القياد الى الجليل فان بهج

فدع العنان طبة التيار

طبن بأغراض الامور محرب

فطن لأسرار المكائد دار

ماض اذا برزت اليه مصمم

هون اذا التفت عليه مدار

كشاف مظلمة وسائس أمة

تفادع أهل زمانه الضرار

عجبا لأشعث راضع ندى الوغى

منه وطورا في القنا الخطار

شراب أكواس المدام وتارة

شراب أكواس الدم الموار

وأظن أنت ابن عام نوح كل النجاح في رسم صورة رائعة قوية

للسياسي البازع في ذلك العصر، وذكرنا بوضوح الصفات التي يجب ان

تتمثل فيه ، يدل ذلك على أنه كان مدبراً لكل الإدراك لما يحب أن
 يكون عليه رجل السياسة ، وأنهم بذلك يجدون في أن يكون كذلك ، ومما
 يلفت النظر في هذا الموضوع البيت الأخير ، والواقع أن هذه الصفة كانت
 مصدر نفخ واعتزاز في الأرستقراطية الأندلسية ، بل إنها صفة لمن صفات
 الرجل المثالي لهذه الطبقة وهو المصروف في اللهو في ساعات الأتس والمصرف
 في الشجاعة عندما يتطلب الأمر ذلك .
 وفي آخر هذه القصيدة يمدح ابن عمار بلذسية بالول والتبور ويتوعددها
 بالشر المستطير ؛

جوار أذال القنا ظنوا به
 قد جاءكم في الجحفل الجرار
 وكانكم بنجومه ورجومه
 تهوى اليكم من سماء غبار

الى آخر القصيدة .

وكان لهذه القصيدة نتائج خطيرة جداً ، إذ ما كادت تصل الى المعتمد
 وكان الموقف بينهما آنذاك قد بلغ حداً كبيراً من التوتر حتى خطرت له خاطرة
 سرعان ما نفذها ، فقد رأى في اعتداد ابن عمار بنفسه واغتخاره بها ، وهو
 الذي انتشله آل عباد من وهدة الفقر والتشرد ، رأى في ذلك سخرية ما
 بعدها سخرية ، فلذا به يكمل بيت الوزير المدعى ؛

كيف التعليل بالخديعة من يدى

رجل الحفيفة من بنى عماد

أبيات بالنزوى نفسه والقافية رغبها ، يقولها على لسان الشاعرو المعتمد
بذنبه الكريم وماضيه الالامع وانجاء أسرته العتيقة ، فليكن إليه ليندحج إلى
أبعد من ذلك فيذكر شمس أم ابن عماد وقصرها النيف وحياتها الباذخة ،
كل ذلك يتهم لاذع وسخرية مرة ، فها كان لاسن عماد كما رأينا مجد يعتد به
او اسرة يذكرها ، وانما قضى حياته الاولى فريسة للبقر وضحية للحرمان ،
وعان من قسوة اليبس وفضاضة الزمن ما جعله مغرب النمل في الرحل
المغمور يرقى سلم المجد والشاعر الشريد يصل مصاف العظماء والوزراء والحكام
لذا فقد مست فيه ابيات المعتمد جرحاً كاذباً ما يأسى عليه ، فإيا به كما
يذكر مؤرخو الاندلس شور ويسخط ويأخذ منه الحق والغضب كل مأخذ
فينظم أحياناً لاذعة كلها شتم وسباب للمعتمد وذويه مطلعها :

ألاحي بالغرب جاً حلالاً

أناخوا جمالاً وحازوا جمالاً

فن أجداد المعتمد الذين يعتد بهم غير رعاة الابل في بطون الصحراء
أسهمهم الجذب وأضناهم العدم :

وعرج يومين (١) أم القرى

ونم فعمى أن تراها خيالا

(١) يومين ، هي القرية التي نشأ فيها بنو عماد .

اتسأل عن ساكنيها الرما
د ولم تر للنار فيها اشتعالا

ويذهب الى أبعد من ذلك فيقنأول اعتماد الرميكية زوج المعتمد ويصممها
وأولادها بأقبح الصفات :

أيا فارس الخليل بأزريدها

حيث الحى وأبحت العيالا

أراك توري بحب النساء (٢)

و قد ما عهدتك تهوى الرجالا

تخبرنها من بنات الهيجا (٢)

ن رميكية ما تساوى عقالا

فجأت بكل قصير المذا (٢)

ر لثيم النجارين عما وغالا

بصغر الوجوه كأن استقا

رماعم فجاءوا حيارى كسالا

قصار الندود والسكنهم

أقلعرا عليها قرونا طوالا

ويتلو ذلك بهجاء متذرع ، شديد الاقتذاع المعتمد نفسه فيصفه

بأقبح الصفات وينعته بأبشع الذموت . (١)

(١) الحجة البهراء ، ف . ابن عمار .

ويذكر مؤرخو الأدب الاندلسي أن ابن عمار حرص على أن لا تتجاوز هذه الآيات خاصته المقربين اليه ، فقد كانت على اعتداده بنفسه يخشى غضب المعتمد ، إلا أن القصيدة مع ذلك تسربت لابن عبد العزيز أمير بلنسية فأرسلها هذا بدوره مسرعاً الى المعتمد ، فإمن فرصة أحسن من هذه لاثارة حقد ابن عباد على عدوه اللدود . ويقولون إن ابن عبد العزيز حصل على قصيدة ابن عمار هذه بفضل تاجر يهودي من أهل الشرق عهدت اليه هذه المهمة لقاء جائزة مغرية ، فتسرب الى حاشية ابن عمار وحصل على ثمنه وانخرط في سلك خواصه ، فسمع فيمن سمع هذه القصيدة ، بل ويقولون إنه نجح في الحصول على نسخة منها بخط ابن عمار نفسه (١) .

ومها كان شأن هذه الرواية التي قد تكون ضرباً من الحكايات النادرة والفكت المخلقة ، فان قصيدة ابن عمار هذه وصلت الى يدي المعتمد فأثارت حفيظته وألهبت غضبه وأضمرت حقدته وقننت على آخر ما تبقى من ذكريات صداقته لوزيره القديم . وكان شأن اعتاد ، التي خصها ابن عمار في قصيدته بنصيب وافر من سبابه وشتمه ، شأن زوجها ، بل وربما كانت حتمها أعمق اثرأ وأقوى جذوراً ، فقد سبق أن ذكرنا علاقتها السيئة بوزر زوجها المقرب اليه ، ويؤكد سوء هذه العلاقة ، تخصيص ابن عمار هذا الجهد في ابيانه للتيل منها والنقض من قدرها ومنشئها .

وقيل إن ابن عمار لم ينظم هذه الآيات ، وإنما إنما قيلت على لسانه

(١) مجلة السبأ ، ف ، ابن عمار .

لا تارة غضب المعتد وإضرار نار الحقد في قلبه ، وذكر أن ابن عبد العزيز هو مدبر هذه المسكيدة وملق هذه التهمة (١) .

ولكننا نرجح أن ابن عمار قد عال هذه الآيات فعلا فهي تلتئم مع نفسه ويفسح أسلوبها وأفكارها مع أسلوبه وأفكاره . ثم إن المعتد ذكر بصراحة ووضوح في رسالة بعث بها لأحمد ماره من الأحكام أن ابن عمار قد أسرف في الكلام النبيح والسيب الشائن لحد لا يمكن التغاضي عنه (٢) . ولا نعتقد أن هجاء ابن عمار لابن عباد كان يصل لهذه الدرجة من الخطورة لو لم يكن هذا الشكل الذي رأيناه في هذه القصيدة .

إذن فقد انقطع آخر خيط يصل بين ملك إشبيلية وحاكم مرسية المتمرد . وأصبح المعتد يربص الدوائر بوزيره القديم وينتظر الفرصة السانحة للانتقام منه والبطش به ، ولم يعد في الامكان أن يفتر هو ولا اعتماد وأولادهما سبب ابن عمار وشتائه .

ولكن شاعرنا الذي كان يعرف حق المعرفة حال ملوك الطوائف آنذاك ، لم يكن ليكثر كثيرا بغضبهم أو رضاهم ، فانطوى على نفسه يستمتع بملكه الجديد ويمب كؤوس التمتع واللهو بكل وسائلها المتيسرة وسبلها المعروفة . وابن عمار ، كما عرفناه ، شديد التعلق بالحر ، قوى الميل لمجاس الأنس وما فيها من طرب منعطف نحو اللذات الحسية لا تكاد تفوته منها واحدة ولعل احساسه بأنه بعيد عن متناول أيدي أعدائه شجعه على الانصراف الى طوره

(١) الحجة البهية ، ف ابن عمار

(٢) الذخيرة ، ق ١٢ ف أبو بكر بن الفصيرة .

وعبثه وأمنه . فترك أمور الإدارة في أمانته لمساعدته ابن رشيق الذي
لم يتوان عن تقوية نفوذه ووضع أتباعه وأعوانه في المراكز الحساسة
والوظائف المهمة (١) .

وليس بين أيدينا مما أنتجه ابن عمار في هذه الفترة غير القصائد التي
مرت الإشارة إليها (٢) ، وهي كما يبدو بوضوح غير ذات قيمة فنية كبيرة ،
فليس فيها سرى طائفة من الأفكار المنضبطة حاول الأديب سردها قاصداً
الافراط في السب والاغراب في التحقير ، ولكن قيمتها التاريخية في حياة
الأديب ذات طابعين . إذ أنها كشفت عن ناحية مهمة من نفس ابن عمار ،
ورسمت لنا صورة عن حاله مع أسماء الطوائف المسالمين وموقفه منهم .

ورب سائل يسأل ، كيف جاز لابن عمار وهو الذي الأريب أن يخلق
لنفسه الأعداء ويحيطها بهم ، دون أن يخشى على سلطته منهم ويحذر من
تأليبهم عليه . والجواب عن ذلك أنه ، بالإضافة الى ادارته مدى قوتهم ،
كان واثماً بتأييد أمراء النصارى ولا سيما القونس السادس ملك قشتالة
ومناصرتهم له . وكان القونس كما سبق أن ذكرنا هو المحرك الوحيد لميزان
القوى - قبل تدخل المرابطين - في تلك البلاد التي تقطعت أوصالها وهدت
النزاعات الداخلية والهجمات الخارجية قواها .

(١) الخلة السيرة ، ف ابن عمار ، مذكرات عبد الله بن زيري ، الاندلس ١٩٣٥

ص ٣٣٤ ، بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١٠٢

(٢) ديوان ، قس ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

ابن عمار وطيطة

في هذا الوقت الذي استقر فيه الأمر لابن عمار في مرسية كانت مدينة طليطة نجتاز أزمة شديدة جداً ، هي تلك التي أودت بها وأخرجتها من حضيرة الاسلام ، فقد اندلعت في المدينة عام ٤٧٤ هـ (١٠٨٢ م) ثورة صاخبة قام بها فريق من شيوخ المدينة ضد مملكتها القادر بن ذي النون . وفي الوقت نفسه كانت جنود ألفونس السادس حليف القادر تحوط المدينة لمنع أهلها من الخروج منها ولتتظربفرصة مناسبة للانقضاض عليها وانزاعها من أيدي المسلمين . ودامت هذه الحال في طليطة مدة سنتين دون أن تحل الأزمة ودون أن يستطيع الملك أو أهل المدينة الثأرون القبض على زمام الامور (١) . فليس من الغريب إذن أن يرى ابن عمار وهو رجل المؤامرات والدسائس يأبه للأمر ويحشر أنفه فيه محاولاً استغلاله لمصلحته ، بل العجيب أن لا يحدث ذلك .

فما كادت له تستقر في مرسية حتى قرر حوالي ٤٧٥ هـ (١٠٨٣) او في اوائل ٤٧٦ هـ (١٠٨٤) التدخل مباشرة في أمر طليطة ، فتوجه اليها تاركاً في مرسية مساعده ابن رشيق يدير الامور ويرتب شؤون المدينة . وفي طليطة اتصل ابن عمار بأشراف المدينة وادعى أنه رسول من ملك فشتالة المسيحي ألفونس السادس واقترح عليهم مشروعاً أمل أن يحظى هو عند تنفيذهم بحصة الأسد . ويقول عبد الله بن زيري ملك غرناطة آنذاك في

مذكراته ، وهو الوحيد الذي روى لنا هذه الحادثة (١) ، إن ابن عمار كان مرسلًا من قبل الملك المسيحي وأنه كان في خدمته . إلا أن كره ملك غرناطة الشديد لابن عمار وتسلسل الحوادث كما سنرى وطبيعة المشروع الذي عرضه كلها تشير إلى أنه كان يعمل قبل كل شيء لحسابه الخاص وإن كان لم يفعل القونس من هذا الحساب ، وربما كان واثقًا من رضاه وموافقته على اقتراحاته .

ويتلخص مشروع ابن عمار الذي قدمه لتبلاء طليطلة وأشرافها ، في أن يطرد أهل طليطلة أميرهم القادر بن ذي النون ويحكموا أنفسهم مباشرة بواسطة مجلس من الأشراف على أن يؤدوا للقونس السادس أتاوه سنوية معينة ، أسوة بما يفعله الأمراء الأندلسيون الآخرون ليأمنوا شهرهم ويحظوا بحمايتهم . واعتقد فريق من الأشراف الطليطليون بصحة مهمة ابن عمار ووافقوه عليها واتخذوا الأهبة لتنفيذ مشروعهم ، إلا أن القادر علم بالمؤامرة قبل تنفيذها فأحبطها ، ونكّل بالمأمّرين ففروا ملتجئين إلى الملك المسيحي . أما ابن عمار نفسه فتوجه نحو سرقسطة ، وهناك وردته الأنباء المريئة بشورة ابن رشيق مساعدته وحليفه في مرسية وتحمده عليه واغتصابه حكم المدينة واستيلائه على ثروة ابن عمار الطائلة لنفسه وطرده لعائلة هذا الأخير من المدينة ، فأسقط في يد ابن عمار ولم يجد وسيلة لاسترداد ملكه السليب . نظر حوله فلم يجد سوى أعداء يكيدون له ويترصّون به الدوائر ، بل إن

(٢) مذكرات الملك عبد الله بن زيري ، الأندلس ، ١٩٣٥ ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ .

ألفونس نفسه، استقبل هذا الحدث بفرور تام، حتى ليقال إنه علق عليه بقوله، «إن ابن عمار كالسارق الذي سرق منه ماسرة (١)»، ويبدو أن ابن رشيق لم يهتم ألفونس من حسابه حين قام بحركته فاسترضاه بما يكفل بقاءه محايذاً على الأقل (٢).

ويذكر الملك عبد الله بن زيري في مذكراته بعد أن يروي مغامرة ابن عمار في طليطلة أن «ليس كل الناس علم سر الامر كما نصفه» (٣). ولعل في هذا تفسيراً لعدم ورود هذه الحادثة فيما رواه لنا المؤرخون من حياة ابن عمار والتموض الذي احاط بخروجه من مرسية.

ورغم أننا لا نستطيع تحديد غرض ابن عمار من مغامرته في طليطلة، ولا نعرف فيما اذا كانت لحساب ألفونس السادس كما يذكر ملك غرناطة أو كانت لحساب غيره، فإن ما نعرفه عن شخصية ابن عمار وأغراضه يدفعنا الى التساؤل فيما اذا كان شاعرنا لم يجد في طليطلة وهي في أزمتها الحارقة، فريسة سهلة المزال يرضى لها طموحه ويقنع مطامعه (٤). وعلى كل حال، فقد كان حصيد ابن عمار من هذه المغامرة فشلاً ذريعاً وضربات قاصمة، فنظراً عن فشل مؤامراته فإن شجاعته عن مرسية كائنه غالباً وفسح المجال لابن رشيق الطموح لكي يضرب ضربته محقق وبراعة.

وكان ابن رشيق كما قدمنا قد أحكم تنظيم خطته فوضع أصدقائه

(١) الحلة السرياء، ف ابن عمار، بنو عباد، ج ٢، ص ١٠٤٥.

(٢) الحلة السرياء، ف ابن عمار، بنو عباد، ج ٢، ص ١٠٤٥.

(٣) مذكرات الملك عبد الله بن زيري، الاندلس، ١٩٣٥، ج ١، ص ٣٢٥.

واقرباءه في المرا كز المهمة ، وولاهم إمرة القلاع الحصينة ، وجمع حوله الخند (١) ، ثم ولى وجهه شطر ألفونس السادس حليف ابن عمار الوحيد فأرضاه بالمال والهدايا كما ذكرنا ، حتى اذا تم له الأمر في الداخل والخارج وجه ضربته الى رئيسه وأغلق أمامه ابواب المدينة .

ابن عمار في سر قسطة

لم يجد ابن عمار بعد أن يئس من الرجوع لمرسية من ملجأ يأوى اليه سوى سر قسطة في الشمال الشرقي من اسبانيا المسلمة حيث يحكم المؤتمن بن هود الذي يكاد يكون الوحيد من بين الامراء الاندلسيين المسلمين الذي لاتزال علاقته طيبة بابن عمار ، فاستقبله استقبالا حسنا وخصص له منزلا يسكنه هو وأهله ومنعه رزقا يساعده على العيش (٢) .

ولسكن الإقامة لم تكن ممتعة في سر قسطة بعد فقد المال والاصدقاء وذوال الملك والسلطان ، فأزمع السفر الى الاررة التابعة لأماره سر قسطة ، حيث يقيم حاكما فيها المظفر بن هود . ولسكن الإقامة هناك لم تكن اشد إمتاعا له من إقامته في المدينة الأولى فماد بمد فترة وجيزة الى كنف المؤتمن يتحين القرض للقيام بعمل ما يظهر فيه براعته ودهاءه ويرضى به حاجته الى الحركة والعمل .

ورغم حال ابن عمار السيئة والضربات العنيفة التي حاقت به ، فإنه لم ييأس من

(١) الحلة السيرة : ف ابن عمار : ٤٠ بنو عباد : ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) الحلة السيرة : ف ابن عمار : بنو عباد : ج ٢ ، ص ١٠٤ .

استعادة قنوده وتحقيق مطامعه ولم يفقد ثمنه بنفسه ، ولكن القرض لم تكن
كثيرة والظروف لم تكن مواتية .

وأخيراً سئحت فرصة نادرة لم يتوان ابن عمار عن انتهازها ، فقد
تمرد أحد قواد الحصون المنيعة في أمانة سرقسطة على المؤتمن . وكان من
معارف ابن عمار ، فأفترح هذا الأخير على الأمير أن يكفيه شراً ويعيد
الحصن إلى الطاعة والخضوع . ففسخ المؤتمن المجال لابن عمار لابتداء دهائه
وبراعته في هذا الأمر ، فلم يطالب شاعرنا منه غير عدد قليل من الجنود
سار على رأسها إلى الجبل الوعر حيث يقوم الحصن المنيع .

كان ابن عمار يعرف عن صاحب الحصن الشيء الكثير ، يعرف أنه
عبيد ، وأنه الحاكم الوحيد في الحصن وأن لا أحد غيره ينافزه القيادة و
يجرأ على طلبها . واستناداً على معلوماته هذه وضع خطته . فما كاد يصل
مسمع جنوده أمام الحصن حتى طلب مقابلة قائده للمفاوضة ، فوافق هذا
الأخير اعتماداً على سابق المعرفة التي بينهما ، على أن يذهب ابن عمار نفسه
إلى الحصن ، فوافق ابن عمار على ذلك وذهب مع اثنين من رجاله الأشداء .
فارتقى حتى وصل الباب ففتحت له ودخل القلعة المنيع . وكان قد أوصى
رجليه بأن يهجا على قائد الحصن حالما يمسك هو يده ، ويقتلاه . وحدث
هذا ، إذ ما كاد يتقدم القائد لاستقبال ابن عمار صديقه القديم حتى هجم
الرجلان عليه وأوسعا طعناً فسقط مضرجاً بدمائه قبل أن ينتبه أتباعه من

المفاجأة فيتدخلوا لمنعها وإيقافها . ولكن فات أو ان التدخل ، فبهت الجميع ووقفوا حائرين ولم يجدوا بداً من طلب الأمان من ابن عمار لأنفسهم فمنحهم إياه ، وعاد الحصن خاضعاً للمؤمنين ، فسر بذلك وأعجب بدماء ابن عمار ومكره (١) .

وحسب ابن عمار أن محنته انتهت ، وأن ابواباً من الأمل تفتحت أمام عينيه . وكان المؤمن نفسه يرجو منذ آرى ابن عمار ، أن يستطيع الاستفادة منه واستغلال مواهبه لتنفيذ أغراضه (٢) ، لذا ما كاد ابن عمار يقترح على المؤمنين ويتمهد له باختضاع قلعة شقورة العضاء بأسلوبه الخاص حتى وافقه الملك على ذلك وأرسله مع جيش صغير لتحقيق هذا الغرض . وقلعة شقورة هذه القائمة على قمة جبل وعرة بقيت مستقلة بعد أن استولى المقتدر بن هود على مملكة علي بن مجاهد العامري أمير دانية . وكان يحكمها أحد أبناء علي المسمى سراج الدولة ، ثم تولى إدارتها بعد موته بنو سهيل الذين كانوا يشرفون على تربية أولاده الصغار ، وكان بنو سهيل يرغبون في بيع القلعة إلى أحد الأمراء المجاورين ، ولكن ابن عمار وعد المؤمنين بأنه سيحصل عليها بأيسر سهيل .

سار ابن عمار إلى الحصن يقود كتيبة صغيرة من الجنود ، وما كاد يصل إلى القلعة الشاخنة حتى طاب من بني سهيل أن يأذنوا له بمقابلتهم ، مصداً كما يبدو على أن يستعمل الأسلوب نفسه الذي لجأ إليه في القلعة السابقة .

(١) الحلة السيرة ، ف ابن عمار ، بنو عباد ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٢) مذكرات عبد الله بن زكريا ، الأندلس ١٩٣٥ ، ص ٣٢٦ .

ولسكن حدث في هذه المرة ما لم يكن يتوقعه الشاعر المغامر . إذ ما كاد يصل باب الحصن مع تابعيه ويسحب هو أولا لمداخله المرتفعة حتى ألقى جنود القلعة القبض عليه وأنذروا صاحبيه اللذين فرا هاربين ليمودا بجنود سرقسطة من حيث أتوا بعد أن يئسوا من انقاذه . أما هو فسيق مقيداً إلى بني سهيل الذين كانوا يحقدون عليه لآيات هجاء بها قبل ذلك بوقت قصير ، فألقوا به في السجن ووجدوا فيه نخيمة باردة قد تدر عليهم الريح الوفير (١) .

ابن عمار في سجن شقورة

أقد حدث القبض على ابن عمار في شقورة في ربيع الاول من عام ٤٧٧ هـ (آب ١٠٨٤ م) . ولهذا التاريخ أهمية خاصة إذ أنه يحدد نهاية النشاط السياسي لابن عمار ، ولكنه في الوقت نفسه يشير إلى ابتداء فترة أدبية خصبة في حياته رغم قصرها . فلم يكن لابن عمار أثناء إقامته بسرقسطة وشمال شرقي الأندلس نشاط أدبي يستحق الذكر - إذا استندنا إلى ما وصلنا من إنتاجه في هذه الفترة ، فكل ما انتجه مقطوعات صغيرة لا تثير الاهتمام ولا تسترعي الانتباه (٢) . وقد اعتدنا أن نرى الخوف والقلق

(١) الحلة السجاء ، ف ابن عمار ، بنو عباد ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ .

1 - Mus Esp. T. 3, p. 114 .

(٢) الديوان ، نفس .

والهلع من الموت كثير في الشاعر أعنف المشاعر وأعمق الأحاسيس ، وتدفقه
الى الانتاج الأدبي القيم ، فلا عجب إذن إن رأينا قريحة ابن عمار تتفجر
في هذه الفترة بعد لضوب ، ولا غرابة في أن نراه يلوذ بالشعر مرة أخرى
حين ضاقت به السبل وأعياه الخيل ، مستثيراً عطف وشغفة آسرية ، ونادياً
حظه العاثر ومصيره التمس .

وإهم مالدنيا من انتاج ابن عمار في سجن شقورة رائية (١) جيلة
كتبها الى صديقه القديم الفضل بن حسداى يصف له فيها حالته البائسة
الشقية وافتقار الصحب والاصدقاء :

أدرك أخاك ولو بقافية

كالطل يوقظ نائم الزهر

فلقد تقاذفت الركاب به

في غير مومة ولا بحر

طفحت صحابته بلا سنة

وتساقطوا سكرى بلا خمر

ثم ينتقل الى وصف قلعة شقورة المنيعه وصفائيه كثير من الروعة
والابداع وقوة التأثر :

بممارج أدت الى جرد

حتى من الأنواء والفطر

(١) ديوان ، قص ٦٧ ،

طال كأن الجن إذ سرحت
جعلته سرقاء إلى النسر

وحش ثنا كرت الوجوه به
حتى استربت بصفحت الهدر

فهـ سر تمهد بين خافقي
نسر بن من فلك ومن وكر

متحير سـ بال الوقار على
عطشه من كبر ومن كبر

ملكك عنان الريح راحته
فجاءها من تحته نجرى

و يستمر في قصيدته منتعلا بعد ذلك إلى القوس إلى صديقه بأن لا
يقطع بينهما الأسباب ، ففي السكينة إليه عزاء عماليقه من غمت الدهر .

وأعم ما نلاحظه في هذه القصيدة هو أن شاعرية ابن عمار تفتح بعد
أن منعتها مشاغل السياسة والادارة من الظهور والتدفق ، فيبدو لنا خياله
الخصب وعواطفه الزاخرة ومقدرته على التعبير ، كل ذلك بأسلوب متين رائع .

حارل بنو سهيل بعد أن ألفوا ابن عمار في الأغلال والقيود ان ينفعوا
منه . وكانوا يعامون حق العلم أن كثير آ من ملوك الاندلس وامرائها
يدفعون ثمناً غالياً للحصول عليه والانتقام منه ، فعرضوه للبيع وقرروا

تسليمه لمن يدفع الثمن الأكبر . وحاول هو ان يستجير بمن تبقى له من
الاصدقاء (١) ، فلم يحظ بغير الاعراض وعدم الاكثراث ، وقال هو واصفاً
هذا الحال :

أصبحت في السوق ينادى على

رأسي بأنواع من المال

فهل فنى يبتاعني ما جدد

أخدمه مدة إمهالي

والله ما جار على نقده

من ضمنني بالثمن العالي

فلم يكن بين امراء الاندلس من يرغب في منافسة المعتمد بن عباد في
هذا المضار ، كما لم يكن في أخلاق ابن عمار وماضي ما يشجعهم على اصطناعه
والاستفادة من خدماته . وأدرك هو هذه الحقيقة بعد أن فشل في استنقاذ
الاصدقاء ، وعرف أن المعتمد سيطلبه وأنه سوف لا يكون رحيماً به . فاستبق
الحوادث وكتب اليه يستجير به ويرجو منه شراءه وإطلاق سراحه (٢) .
والسكن للمعتمد لم يكن في حاجة لهذا الطلب ، فما كان يعلم بوجود ابن عمار
في شقورة حتى أرسل ابنه الراضي الى بني سهيل ، فقاده اليه في حال مزريه
مكبلاً بالأغلال ، بل واشترى القلعة نفسها منهم ، ولم يجد الايات التي أنظمتها
في مدح الراضي (٣) عند قدومه شيئاً في استشارة عظمه ورحمته .

(١) ديوان ، قص ٦٩ .

(٢) ديوان ، قص ٧٠ .

(٣) ديوان ، قص ٧١ .

ابن عمار في سجن المعتمد

وصل ابن عمار قرطبة حامرا الرأس ثقله الزيود ، وقد وضع على بغل بين عدلي تبين ، وقدم الياس من كل انحاء قرطبة ليشتاعدوا ذلك الذي خرج قبل سنوات قليلة في موكب حافل كوكا كب الملوكة قائدا للجيش الاشبيلي لاجتلال مرسية ، وهو يعود الآن ذليلا مهانئا يسخر منه الناس وترجه العامة ، بل يقال ان جوارى المعتمد انفسهن اللاتي سبقن ان مسهن بهجائه خرجن ليسخرن منه ويضحكن لمراه على هذه الحال (١).

واقفنا الى المعتمد فوبخه وأنبه وذكر له افضاله وعدد مآثره ثم سرد خيانات ابن عمار ، بل ويقال إنه اخرج اليه قصيدته الهجائية (اللامية) مكتوبة بخط يده . ويصف عبد الواحد المراكشي - صاحب المعجب - دخوله لقرطبة فيقول : « فدخلها (اي قرطبة) ابن عمار أشنع دخول وأسوأه ، على بغل بين عدلي تبين ، وقيود ظاهرة للناس ، وكان المعتمد أمرا باخراج الناس خاصة وعامة حتى ينظروا اليه على تلك الحال : وقد كان قبل اذا دخل قرطبة اهتزت له ، وخرج اليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساؤهم ، فالسعيد منهم من يصل الى تقبيل يده او يرد عليه ابن عمار السلام ، وغيرهم لا يصل الى تقبيل ركبته او طرف ثوبه . ومنهم من ينظر اليه على بعد لا يستطيع الوصول اليه . فسبحان محيل الاحوال ومدبيل الدول » ويستمر عبد الواحد المراكشي قائلا :

1 - Mus , EsP , T,3, p,115 .

(١) ابن عمار ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .

« فدخل ابن عمار قرطبة كما ذكرنا ، بعد العزة الفمساء والملك الشامخ
والرياسة الفارعة ، ذليلاً خائفاً فقيراً لا يملك الاثوبه الذي عليه ، فسبحان
من سلبه ما وعبه ومنعه ما كان به أمتعه » . ويذكر المؤرخ في هذا الباب
خاتمة حدث لابن عمار رواها بعض الموككين به والتي تدل على فطنته وذكاؤه
كما يقول المؤرخ « قال : لما قربنا من قرطبة بحيث برانا الناس ، خرج فارس
من البلد بركض يقصدنا ، فلما رآه ابن عمار وكان معتماً - أزال العمامة عن
رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر الى ابن عمار ودخل معنا في الصف
فثنى : فسألناه فيم جاء ؟ فقال : الذي جئت فيه صنعته هذا الرجل قبل أن
أصل إليه ، فعلمنا أنه ارسل لينزل عمامته » .

ثم يتحدث المراكشي عن إلقاء ابن عمار بالمعتمد فيقول : « فأدخل على المعتمد
على الله على الحالة التي ذكرت ، يرسف في قيوده ، فجعل المعتمد يعدد عليه أياديهِ
ولعمه ، وابن عمار في ذلك مطرق لا ينبس : الى أن انقضى كلام المعتمد ، فكان
من جواب ابن عمار أن قال : ما أنكر شيئاً مما يذكره مولانا - أبقاه الله -
ولو أنكرته لشهدت به على الجمادات فضلاً عن ينطق ، ولكن عثرت فأقل ،
وزلت فاصنح . فقال : هيئات ، إنها عثرة لا تقال . وأمر به فأحدر في
النهر الى إشبيلية ، فدخل به إشبيلية على الحال التي دخل عليها قرطبة . وجعل
في غرفه على باب قصر المعتمد المعروف بالقصر المبارك ، - وهو باق الى
وقتنا هذا (اي الى وقت المؤرخ في القرن السابع) - فطال مسجته

هناك (١) . وقد فتح أمامه امتداد مدة سجنه باب الأمل ، لاسيما وأنه علم أن بعض الشخصيات الكبيرة تحاول التأثير على المعتمد للعفو عنه ، منهم الرشيد بن المعتمد (٢) . ويذكر ابن إسحاق ابن عمقور حاكم شاطبة كتب رسالة للمعتمد يرجوه فيها العفو عن ابن عمار ، ولكن المعتمد رفض هذا الطلب في رساله كتبها أبو الوليد بن طريف كاتبه على لسانه وهذه الرسالة تستحق منا وقفة قصيرة لأهميتها واحتوائها على رأي المعتمد بوزيره السابق .

التهم الموجهة لابن عمار

تتضمن هذه الرسالة نص الاتهام الذي وجهه ملك اشبيلية لابن عمار والذي كان في نظره لا يحتمل أية شفقه أو رحمة ، لذا رأيت أن أقرأها هنا كما كتبت عن المعتمد لأنها آتية وثيقة تاريخية . بين يدينا حول الموضوع : قال الكتاب عن لسان المعتمد :

« وقمت على وجوه السلامة المستقام فيها الى شرف محبتك وصفاء معتقدك أكرم استقامته في الشناعة فيمن أساء لنفسه حظ الاختيار ، وسبب لها التكبد والعتار بغمطه لعظيم الحمة ، وقطعه لعلائق العصمة ، ونخبطه في سنن غيه واستهوانه وتجاوزته في ارتكاب الجرائم ، واسرافه حتى لم يدع للصالح موضعا ، وخرق ستر الإبقاء ، بينه وبين مولى النعمة عنده ، فلم يترك فيه موقعا . وقد كان قبل استشهاده رأيته وكشفه لصفحة المائدة وابدائه

(١) المنيع ، ص ١٢٤ ، من ١٢٥ .

(٢) الذخيرة في ٢ ، ف ابن عمار .

علمه في جميع جهائاته مقبول ، وجانب الصفيح له ممرض مهذول ، لكن
غيرته الفواية عن طريق الهداية ، فاستمر على ضلاله ، وزاغ عن سنن
اعتداله ، وأظهر المناقضة ، وتعرض بزعمه الى المسارقة والعارضة ، فلم يزل
يرى الغوائل وينصب الحوائل ، ويركب في العناد اصعب المراكب ،
وينهب منه في أوعر المذاهب ، حتى علقته تلك الاشهرالك التي نصبها ،
وتشبث به مساوي ، المقدمات التي جررها وسببها ، فذاق وبال فعله ، ولا
يحقق السكر السعي الا بأهله . ولم يحصل في الانشطة التي تورطها ،
والمنحصة التي اشتملت عليه وتوسطها ، إلا ووجه الغفوة قد أظلم وباب
الشفاعة فيه قد أسهم . ومن تأمل أفعاله الذميمة ومذاهبه اللئيمة ، رأى عنه
الصفح بغير بدء ، والابقاء عليه ذاء حاضراً . ومثلك برجاجة مرانه
ومعرفته بانباء زمانه لم يجعل يده حاله من القل والضعة ، وارتقاءه الى الرفعة
والسعة ، وانتشاله من ذل الجول الى العزيز العريض الدويل ، وتحويله عقائل
الأموال وجلال الاحوال

وفي فصل منها :

« ففوق لمناضاة الدولة نباه ، وأعمل في مكائدها جهده واحتياله . ولم
يقتصر على ذلك ، بل تجاوز الى إطلاق لسانه بالذم الذي صدر عن لؤم
تجاره ، والظلم الشاهد بخبث طويته واضماره . ومن جهل مقدار تلك التي
كان سوغها أولاً ، أخلق به أن لا يغيره مقدار القفو عنه آخرآ . ومن بعد
هذا الفساد كيف يرجى استصلاحه ، ومن استبطن مثل علقته كيف يؤمل
فلاحه ، ومن لك بسلامة الأديم النقل وصفاء القلب الدغل . وعلى ذلك فلا

أعتقد عليك لما عرضت به من وجه الشناعة غير الجليل ولا الأندى فيه حسن التأويل . ولو وفدت شفاعتك في غير هذا الأمر الذي سبق فيه السيف العذل ، وأبطل عامل الأقدار فيه الألفاظ والحويل ، لتلقيت بالإجمال ، وقوبلت ببالحق المرة والاعتبال . . » (١) .

أعتقد ان هذه الرسالة تغنيانا عن كل شرح وتعليق وتثبت ما سبق أن قلناه عن موافق ابن عمار من مذهبك وتدل على مدى خطورة الهم الموجه اليه وتصميم المعتمد على عدم التناضي عن اخطاء وزيره القديم .

نشاط ابن عمار الادبي في سجن اشبيلية

لم يقطع ابن عمار طيلة مقامه في السجن عن إرسال قصائد التوسل والاستعطاف الى المعتمد وأبنائه ومن يماس منه المساعدة والتأييد ، لدينا منها ثلاث قصائد تستحق كل عناية واهتمام لما فيها من شعور عميق وإحساس فياض ، أوجدتها حال ابن عمار البؤسة وخوفه من الموت .

اما أولى هذه القصائد فهي دالية بعث بها الشاعر الى الرشيد بن المعتمد ينقل اليه توسلاته ومشاعره للثائرة ، وهي قصيدة فياضة بالعواطف والشعور . يمتزج فيها الخوف بالامل والجزع بالاستعطاف ، يبدو فيها اسلوب ابن عمار الشعري الاندلسي بأجلى وجوهه . فمدا الرقة البادية في كل بيت من ابيات القصيدة ترى بوضوح اثر الطبيعة التي غذت خيال الشاعر ، فاستوحى منها

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابو بكر بن القصيرة .

صوراً نقل بها كل ما يعتلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس، ثم نجد بعد ذلك في هذه القصيدة نفسية ابن عمار وأخلاقه وهو في هذا الموقف الرهيب، نجده يستخدم السلاح الوحيد الذي يمتلكه في تلك اللحظة الحرجة إلى أقصى ما يستطيع من الاستعمال فتأتي قصيدته نابضة بالحياة والعواطف، وإذا احس القارئ بهيبته من الاضطراب في أفكار القصيدة وتسلسل أبنائها العاطفي فما ذلك إلا لأن الشاعر كان مضطرباً أشد الاضطراب فاختلطت احساساته وتصادمت مشاعره، فهو يفتتح قصيدته بهذه الصورة الصاخبة صخب شعور الشاعر والمنيفة عنف دقات قلبه (١).

قل لبرق النمام ظاهر يريد

قاصداً بالسلام قصر الرشيد

فتقلب في جوه ككفؤادي

وتتأثر في صحته كالغريد

وانتخب في صلاصل الرعد نحكي

ضجتي في سلاسل وقبودي

فاذا ما اجتلاك او قال ماذا

فلف إني رسول بعض العبيد

بعض من أمدته عنك الليالي

فاجتني طاعة المحب البعيد

ثم ينتقل لمديحه ويتوسل اليه ويستعطفه مستذكراً أيام الصفاء ومقارناً

(١) ديوان، قص ٧٢.

لها بما هو فيه من غنى وثعاسة :

(م) كنت أشد عليك يادوحة الحجر
سد وباروضة الندى والجود

إذ جناحي نـد يظلك طامق
ولساني رطب على التفريد

وأنا اليوم تحت ظل عقاب
لقوة محو الجناح صيود

(م) أتقيها بفاطر خافق اللحد
فظ مروع وخاطر مرؤود

غير أنى سأصطفى لك جهدي
من ثناء طيب وذكر حميد

في خليل من القوا في كثير
وذلول من المعاني شرود

كلمات كأنها الدر نظماً
طوقت منك أى طرق وجيد

ثم يمدحه بكل ما يمكن أن يمدح به مالك ، فأبوه الشمس وهو بدر النجوم ،
وريحانة العلى ودرة التاج وفرند الحسام ووسطى الفريد ونكته الخطبة
وقصد الحديث وبيت النصيد ، وعين اللواء في الحرب وقلب الحديد ، وهو

في الليل ليلة القدر وفي النهار يوم العيد . ثم يذكر محله من ابيه المعتمد
ومنزله الكبيرة لديه ويتوسل إليه في أن يشفع له عنده وهل غيره أولى
بهذه الشفاعة :

والى أين في الشفيع إذا ما

لم ألد منك عنده بالرشيد

بقي نازح الكاف مطال

غائب الشخص ذي اعتناء عتيد

مشفق يستجيب لي من قريب

وأنا أستغيثه من بعيد

لوأطأت علي رحمة عينيه

انجأت شدتي وذاب حديدي

والنصيحة كما نرى تحتوي على مجموع من التعابير الأدبية البارة تلفت
النظر وتجلب الاهتمام ، تدل على دقة الحس وقوة الادراك .

وعدا هذه القصيدة التي أرسلها ابن عمار للرشيد بن المعتمد ، فليدنا
قصيدة أخرى كتب بها الى الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون (١) يتوسل فيها
إليه أن يشفع له لدى والده وينقذه مما هو فيه من العذاب ، يفتتحها بتسأؤل
بارع يوجهه لنفسه :

هلا سألت شفاعة المأمون ؟

أو قلت ما في نفسه يكفيني ؟

(١) دهران نم ٧٣ .

ما ضر لو نيهته بتحية
يسرى النسيم بها على دارين
وهزرت منه فقد يقلب سيفه
يوم الجلال الحين بعد الحين ؟

ثم عرج التوسل بالرجاء والمدح كما فعل في قصيدته السابقة ويتقن في
ذلك أيعا تقن ، فيصفه تارة بالتقى وأنا بالمهاجرة وطورا بالتواضع وباشياء
اخرى لا تكاد نجد :

متوقد الجنبات كال دوحه
بحنى وفجر صفحه بعيون
دانت لأيدى المجتدين قطوفه
ودنا اليهم من ظلال غصون
ونأى لأبصار العصاة فاعما
يتوهمون نعيمه يظنون

ويتمخل المدح وصف حالته المؤلمة وحظه المأثر متارفا بين ماضيه وحاضره

كم أسكب العذب الفرات على في
يرمي يدي بالؤلؤ المسكنون
واليوم قد أصبحت في غمراته
إن لم تمنني رحمة تنجيني

بعدت سواحله على وأدركت
أمواجه فتلاعبت بسفيني
لاشك في أني غريق عبابه
إن لم يمد الفتاح لي يمين

وأهى قصيدته بالتوسل الى الفتاح المأمون في أن لا يأل جهداً لى
أبيه لا نقاذه من سجنه وانتشاله من ردهته ، وهذه القصيدة كسابقتها
تستحق الاهتمام وتلفت النظر بتعابيرها البارة وما يزدحم في جوانبها من
مشاعر وأحاسيس .

* * *

ويقال إن المعتمد ضجر من رسائل ابن عمار وتوسلاته فأمر أن لا تعطى
له رسائل الكتابة ، فتوسل ابن عمار اليه في أن يسمح له للمرة الأخيرة
بورقتين فأعطاهما اليه . فكتب على احدهما قصيدة استعطاف طويلة أرسلها
الى الملك ، فوصلت اليه مساء وهو في مجلس مع خاصته ، فقرأها ، ويقال إنه
أحسن بالعطف والشفقة على صديقه القديم فأرسل اليه بعد انقضاء مجلسه
ووبخه وعنفه ، فاعتذر ابن عمار وتوسل الى الملك بدهوعه آنأً واعتذاراته آنأً
آخر وبأثارتها للذكريات السابقة مرة ثالثة حتى ليقال إن المعتمد أجابه بما فهم
منه ابن عمار تشجيعاً ووعداً بالخلاص (١) .

وقصيدة ابن عمار هذه التي أرسلها للملك ، حاثية حصلت على إعجاب مؤرخي

الادب فأطنبوا في مدحها والاشادة بها . ولا شك انها تعتبر من أحسن ما
أنتجه الشاعر، ففيها نحيص الاخلاص والعواطف الحارة، فيها يتمتج الخوف بالأمل
واليأس بالرجاء . هاجم فيها أعداءه وحاول أن يبعث في نفس الملك عواطف
الرحمة والشفقة ، وأن يثير في خاطره ذكريات الماضي والأعمال والخدمات
الجليلة التي قدمها للمملكة ، إفتتحها بقوله (١) :

سجايك إن عاقبت أندى وأستج
وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح
وإن كان بين الخطتين مزية
فانت الى الأدنى من الله أجنى

ويتوسل اليه ذا كراً أعداءه وحصاده ، ومشيراً الى ما قدمه للملك من
خدمة في الماضي :

حنائيك في أخذى برأيك لا تطع
عدائي وإن أثنوا على وأفصحوا
وماذا عسى الأعداء أن يزيدوا
سوى أن ذنبي واضح متصحيح
نعم لي ذنب غير أن لحامه
صفات يزل الذنب عنها فيسحق

(١) ديوان ، قص ٧٦ .

وإن رجائي أن عندك غـير ما
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسأمت وداً وخدمة
يكران في ليل الخطايا فيصبح
وعبتي وقد أعقبت أعمال منسد
أما تقسد الأعمال ثمة تصلح

أقلني بما بيني وبينك من رضى
له نحو روح الله باب منفتح
وعف على آثار جرم جنيته
مهبة رحى منه تمحو وتمصح

ويتحدث عن أعدائه ويصف شتماتهم بتأمر ومسارة :

تخيلهم — م لادر لله درهم
أشاروا واتجاهي بالشتمات وصرخوا
وقالوا سيحزيه فلان بفعله
فقلت وقد يعنو فلان ويصنع

وهكذا يتوسل ويرجو ويهاجم ويدافع في آن واحد الى أن ينهي
قصيدته مسداً أمره بذلك ليفعل به ما يشاء :

سلام عليه كيف دار به الهوى
الى فيدنو او على فينزع

وإليه إن مت السلو فأنى
أموت ولي شوق إليه مبرح

والقصيدة كما نرى متينة رائعة فيها ما يتطلبه الفن من فيض المواطف
وتدفق الشعور وقوة التعبير . وهي كما تتفق أقوال الرواة ، آخر ما نظمته
ابن عمار من الشعر ، وكان لها كما رأينا في نفس المعتمد تأثير غير قليل .

عاد ابن عمار الى سجنه كما يقولون بعد مقابلته للملك ونفسه ممتلئة بالرجاء
والأمل بالخلاص ، ولم يستطع أن يكتب شعوره فكتب في الورقة الثانية
التي كانت لديه رسالة الى الرشيد بن المعتمد يعلمه فيها بقرب غفو الملك عنه
ونجاته من محنته . فوصلت الرسالة الى الأمير الرشيد وهو بصحبة وزيره
عيسى بن ابى الحجاج .

فاطلع هذا الأخير على فحواها ، وسواء أكان ذلك بقصد أو بدون قصد ،
فإن عيسى أذاع الخبر حتى وصل الى آذان أبى بكر بن زيدون الوزير
الاول للمعتمد وعدو ابن عمار اللدود (١) . وقد سبق أن تحدثنا عن عداوة
هذين الوزيرين وبيننا بعض أسبابها ، إلا أنه يبدو أن هناك أسباباً خطيرة ،
قد تكون أهم مما ذكرنا والتي دعت احد المؤرخين الى أن يشير إليها دون
ذكرها قائلاً إنه لا يريد أن يلوث كتابه بذكرها (٢) .

ويقولون إن أبى بكر بن زيدون كان في أشد القلق ، إذ أن المعفو عن

1 - Mus Esp. T. 3, p. 116.

(١) بنو عباد ، ٢ ، ١١٨ .

2 - Mus. Esp. T. 3, p. 116 .

ابن عمار ينفي الحذر نجمه نحو الأفلح ، بل وربما أكثر من ذلك ، حتى
إذا كان صباح اليوم التالي لم ينطلق إلى قصر الملك كما كان شأنه كل يوم ،
فأرسل إليه المعتمد من يبحث عنه ويدعوه للمجيء ، حتى إذا دخل على
الملك استقبله بترحاب طمأنه وأعاد إلى نفسه بعض السكينة . وعندما سأل
المعتمد وزيره عن سبب تأخره ، أجابه بأن الجميع يتحدثون عن الغزو عن
ابن عمار وعودته إلى حظوته السابقة لدى الملك ، حتى أن صديقه ابن سلام
الشلي هياً قسراً من قصوره ليسكنه ابن عمار بعد خروجه ريثما تعاد
إليه أملاكه .

فأخذ الغضب من المعتمد كل مأخذ لا تقشار هذه الأنباء القائمة على أساس
واه ، وحنق على ابن عمار ، وأرسل إليه أحد عبيده يسأله كيف تيسر له نشر
هذه الأخبار ، فأنكر ابن عمار أولاً أنه فعل ذلك ، فاما سئل عما فعه بالورقة
الثانية التي بقيت لديه ، ادعى أنه استعملها مسودة لقصيدته ، وعندما طلبت
منه اضطر إلى الاعتراف بأنه كتب للرشيدي بما قال له الملك .

مصرع ابن عمار

ويقولون إن المعتمد لم يستطع تمالك نفسه وضبط أعصابه فثارت
ثأثرته وتناول فأساً كانت قد قدمت هدية له من ألفونس السادس وانطلق
إلى سجن ابن عمار . وما كاد ابن عمار يرى الملك والشرر يتطاير من عينيه

حتى سحب يهوده وألقى بنفسه على قدميه يخضعا لها بدموعه ويمنحها بقبلائه . ولكن المعتمد لم يأبه لهذه التوسلات والدموع . بل رفع الرأس التي في يده وانمال بها على وزيره وصديقه القديم حتى فارق الحياة (١) .

دفنت جثة ابن عمار قرب قصر المبارك في محل يعرف بباب النخيل، حيث اكتشفت عظامه بعد عشرين سنة من ذلك كما يقول الفتح بن خلفان والأغلال لانزال محيطها (٢) .

ومعكنا كانت نهاية ابن عمار المغامر الجريء ذى الأصل المنصور والمائة المقيرة البائعة ، ابن عمار الطويح الأريب والسياسي البارع ، وأخيراً ابن الشاعر المشهور الذي اعتبره مؤرخو الأدب في عصره من خيرة الشعراء الذين قدمتهم اسبانية الاسلامية للأدب العربي ولم يجسر أحد على البكاء علناً عليه غير صديقه الشاعر عبد الجليل بن وهبون الذي رثاه بيت واحد :

عجباً له أبكيه ملء مدامي
وأقول لا شات بمن القاتل

أحكام المؤرخين المسلمين على ابن عمار

لقد كانت أحكام مؤرخي الاندلس المسلمين على ابن عمار على وجه العموم قاسية ، فجلهم وصمه بالخيانة والغدر واتهمه بخدمة الصاري والفرغ

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار . بنو عباد ج ٢ ، ص ١١٩ .

1 - Mus. Esp. T. 3, p. 117 .

(٢) فلاند المعيان ، ص ٨٦ . الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

على أعقاب الفونس فقد أئسسنا إلى أن ابن خاقان قال عنه « إنه اصطفا
 المدو فأنفق به السكون والهدو ، وتمك فيه كلاً وقياماً وأمطره من الحظوة
 ضاماً » (١) ثم يقول متحدثاً عن نهايته « فأخذه الله بقدره ، وأعاد على وضعه
 رافع قدره » (٢) . وقد ردد ابن سميد في المغرب (٣) ما قاله ابن خاقان ،
 وسبق أن سمعنا رأي عبد الله بن زيري ملك غرناطة فيه ، ويردد ابن بسام
 كثيراً وصف ابن عمار بأن « حب الرياسة في راسه يدور » ل وأنه « قد
 تجاوز في طمعه بالرياسة طمع أشعب » (٤) ، ومثل هذه الآراء تفهم من
 حديث ابن الأبار عنه (٥) ، ولم تر مؤرخاً دافع عنه ولا م المتعمد على
 قتله سوى لسان الدين بن الخطيب في كتابه اعمال الاعلام .

ورغم هذا الضغط الذي أبداه المؤرخون على ابن عمار فلم جميعاً يعتبرونه
 شاعراً قدراً بل يعدونه في الطبقة الأولى من الشعراء الأندلسيين . لقد كان
 إنتاجه الأدبي ينسجم تماماً مع ذوق الفترة التي عاش فيها والفرون التي قلتها ،
 فقد جمع كل ما كان معاصروه يتطلبونه من الشاعر . فقد قال عنه صاحب
 المعجب « ولم الف احداً ممن ادر كتبه سني من أهل الآداب الذين أخذت
 عنهم ، إلا رأيتهم متتبعاً » ، مؤثراً لشعره (٦) ، وقال عنه صاحب الفلاند

(١) فلاند ص ٨٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ابن سميد ، المغرب ص ٣٨٩ .

(٤) اللخيرة ق ٢ ، ف ابن عمار .

(٥) الحلة السيرة ، ف ، ابن عمار .

(٦) المعجب ، ص ١١١ .

إنه « كان مع نقض ابرامه ورفض إمامه شاعراً مطبوعاً ، قد صر
للإحسان منازل وربوعاً (١) » وقال عنه مؤلف كتاب الذخيرة « إن
شعره غرب وشرق ، واشأم في نعم الحداثة وعلى أسنة الرواة وأعرق ، ولا
جرم فأنه كان ساحراً لا يجارى وشاعراً لا يبارى (٢) » .

فإذا اعتبرنا الظروف التي أحاطت بالشاعر والوسط الذي
عاش فيه والذي أوحى له أفكاره وعلمه أسلوبه في التعبير ، هذه الظروف
وهذا الوسط الذي كون في الوقت نفسه ذوق أهل العصر وأوجد مقاييسهم
الأدبية ، أقول إذا أدركنا كل ذلك ، استطعنا أن نعرف سبب الخطوة التي
نألفها ابن عمار الشاعر لدى معاصريه .

القيمة الأدبية لشعر ابن عمار

لا شك في أن حكمنا على القيمة الأدبية لشعر ابن عمار فيه كثير من الذاتية ،
لأن إدراكنا أو عدم إدراكنا للصور الفنية التي يعرضها في شعره يعتمدان
كثيراً على إدراكنا للتيارات العاطفية والفكرية التي تمثلت في هذه الصور
ولا شك في أن الشاعر نفسه يأخذ بيدنا بقوة تعبيره لمعرفة هذه التيارات ،
ولكن بعدنا عن الشاعر وعن الأجواء المحيطة به قد يحدد إدراكنا للسبيل
الذي سارت فيه عواطف الشاعر وأفكاره فتخفى علينا جوانب من أدبه
تؤثر في حكمنا عليه كل التأثير .

(١) فلاح الديان ، ص ٨٦ .

(٢) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن عمار .

وعلى ذلك فإن حكمنا على ابن عمار الشاعر يجب أن تتوفر فيه أمور
مهمة ، أولها أن نعرف العصر وذوقه ومقياس تقديره للقيمة الأدبية ، فإن
هذا الذوق يؤثر أكبر التأثير في توجيه الشاعر وفي خلق مقاييسه الأدبية .
وثانيها ، أن نعرف التيارات الخاصة التي اجتاحت حياة الشاعر نفسه ومدى
تأثيرها في إنتاجه الأدبي . وثالثها ، أن تكون لدينا كمية كافية من شعره
تسمح لنا بتقدير قيمته . ورابعها أن نقدر مقدرة الشاعر على التعبير وقوته
في صناعة النظم وصياغة الالفاظ في قوالب شعرية .

أما ذوق العصر فقد سبق أن أشرنا إليه إشارات كثيرة ، وذوق العصر
هو الذي دفع ابن عمار الى معالجة الموضوعات التي عالجها ، كما دفعه الى العناية
بالزخرفة اللفظية والمحسنات البيانية والبديعية ، كما أنه زوده بالأفكار
والمقاييس الخلقية والاجتماعية والأدبية التي تبدو واضحة في جميع ثنايا
شعره .

أما التيارات الخاصة التي أثرت في حياة ابن عمار وفي تفكيره ومشاعره
فقد حاولنا عرضها في هذه الدراسة وبيننا مدى تأثيرها في الشاعر ورأينا
كيف أنها دفعته أحياناً الى الإبداع وأحياناً الى التكلف والتصنع والهبوط .
أما شعر الشاعر فلا شك ، أن ما بين أيدينا منه ، كما يتضح من هذه
الدراسة نفسها ، ليس الجزء يسيراً من مجموع شعره . فهناك فترات طويلة
من حياته لا نعث له فيها من الانتاج إلا على أبيات قليلة . ويبدو أن مؤرخي
الأدب عنوا قبل كل شيء باختيار القطع التي كانت لها صلة بالسلطان أو

بالاحوال التاريخية السائدة آنذاك . وقد حاولنا لسكي نسد هذا الفراغ أن نجتمع كل ما وصل إلينا من شعره ، في القسم الثاني من هذا الكتاب ، ولكننا لا نشك في أننا بعيدون جداً عن معرفته كل ، بل حتى ولا القسم الأكبر منه . ورب قائل يقول إن هذه المقطوعات الشعرية لا بد أن تكون أحسن ما قاله الشاعر لأنها اختيرت من قبل مؤرخي الادب . ولكن من يضمن أننا نتفق وإياهم في الذوق الأدبي ، لا سيما وأن المؤرخين الذين نقلوا إلينا هذا الشعر عاشوا في فترات نستطيع أن نقول ، إن الذوق الادبي تدهور فيها واتجه الى العناية بالشكل دون المضمون الأدبي ، وإنهم كانوا يعنون على وجه الخصوص بالأدب الذي يخص الملوك ويتصل بهم من قريب ؟

ومع هذه الصعوبات التي تعترضنا في الحكم على الشاعر فإنا نستطيع أن نثبت بعض الأحكام على قيمة ابن عمار الأدبية ، أهمها :

١ - كان ابن عمار متمكناً من صياغة القصيد وصناعة النظم ، قادراً على التعبير عن افكاره ومشاعره في أبيات متهاكة وقافية متينة واسلوب يجمع بين الشكل العربي والرفقة الأندلسية .

٢ - كان متأثراً كل التأثير بالذوق العصر الذي عاش فيه كما بينا سابقاً .

٣ - لم يكن ابن عمار يستخدم مبدئيه على الصياغة الشعرية والنظم للتعبير عن مشاعره الحقيقية وعواطفه الخاصة دائماً ، وإنما كان مضطراً في أكثر الاحيان الى استخدامها في المناسبات التي تتطلب ذلك وكانت هذه المناسبات ، بالنظر لمركز الشاعر الاجتماعي والسياسي ، كثيرة متعددة ، لذا جاء

مثل هـ - هذا الإنتاج الأدبي رغم قوة صياغته مشككاً خالياً من الحرارة
والشعور النياض الذين يتطلبهما الشعر الجيد .

ولكن عندما كان ابن عمار يتألم ويقاق وتفيض عواطفه ، كانت
مقدرته على الصياغة الشعرية خير عون له على إنتاج أدب قيم فيه حرارة
الاخلاص وقوة الشعور والتصوير ، وعلى ذلك فإن هذا الجزء من إنتاجه
الأدبي ، وهو الذي رأيناه عندما تضطرب العلاقات بينه وبين المعتمد او ما
نظمه وهو في الاغلال والقيود ، أقول إن هذا الجزء من أدبه ذو قيمة أدبية
لا تحصى : فيه روعة التصوير وقوة البناء وتدفق العواطف والمشاعر وهذا
الجزء على قلته ، هو الذي يسمح لنا أن نضع ابن عمار في حضيرة الشعراء .

هـ - إن كان هذا رأينا في ابن عمار فإن نقاد عصره والعصور التي
تلت في الاندلس لا يوافقونا عليه لأنهم يرون فيه شاعراً كبيراً لا في
قصائده هذه التي أوحاها له القلق والألم والخوف ، وإنما في شعر المناسبات
الذي نظمها أيضاً ، لأنهم يرون فيه روعة النظم والتميز في استعمال الألفاظ
والتشبيهات وغير ذلك من محسنات البديع والبيان .

٦ - إننا نعتقد أن اكتشاف شعر ابن عمار كاملاً او اكتشاف جزء
كبير منه كفيل بأن يلقى أضواء جديدة على قيمته الأدبية ويكشف النفاذ
عن جزء آخر من إنتاجه الرائع الذي يستحق كل عناية وتقدير

Handwritten text in a cursive script, likely Urdu or Persian, covering the majority of the page. The text is arranged in approximately 15 horizontal lines, though some are faint and difficult to decipher. The ink is dark, and the paper shows signs of age and wear.

القسم الثاني

ديوان ابن عمّار

جمعه وضبط تصوفه

لاهور صدر عام خالص

11/11/11

Dear Sir,
I have the honor to acknowledge the receipt of your letter of the 11th inst. in relation to the above matter. I am sorry to hear that you are not satisfied with the result of the investigation. I have been unable to obtain any further information from the authorities concerned, and I am therefore unable to provide you with a more detailed report. I am sure that you will understand the difficulties of the situation and the need for further investigation. I am sure that you will be satisfied with the result of the investigation.

ديوان ابن عمار

لدينا من المعلومات ما يشير الى أن ديوان ابن عمار كان كثير الانتشار في الاندلس بعد وفاته (١) . ولسكن هذه المعلومات بالاضافة الى الظروف العصبية التي أحاطت بموت الشاعر لا تسمح لنا بالقول بأن الشاعر قام بجمع ديوانه بنفسه قبل مصرعه . فقد أخذ أدباء آخرون على عاتقهم جمع ما تيسر لهم الحصول عليه من شعر ابن عمار ووضعه في كتاب خاص . وأول من وصلت اليها أخبارهم من هؤلاء الأدباء هو أبو القاسم محمد بن يوسف الشلي من معاصري ابن عمار وأهل بلده . فقد كتب هذا المؤلف كتاباً خاصاً عن المعتقد بن عباد ويبدو أنه خصص قسماً مهماً من هذه الدراسة لابن عمار وأعماله وشعره ، فإن الآثار الذي كتب فصلاً مهماً جداً عن حياة الشاعر وشعره في كتابه « الحلة السراء » يقول إنه اعتمد في ما نقله من أخبار عن الشاعر الوزير على كتاب أبي القاسم الشلي هذا (٢) . ولسكن عندما ما نقله ابن الأبار فأننا لا نعلم شيئاً عن هذا الكتاب .

وبعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً على مصرع الشاعر ، اهتم المؤرخ الاندلسي المعروف ابن بسام به ، وعرّف أنه كتب في أخباره وشعره كتاباً سماه « نخبه الاختيار في أشعار ذى الوزارتين ابن عمار » (٣) . ويبدو أن

(١) المعجب ، ص ١١١ .

(٢) الحلة السراء ، ف ابن عمار .

(٣) الذخيرة ، ق ٢ ، ف ابن وميون .

هذا الكتاب لم يقتصر على اشعار ابن عمار فحسب وانما حوى قسماً من أخباره . ولكن كتاب ابن بسام هذا مع الأسف لم يصل الى ايدينا هو ايضاً . الا أنه وصلنا كتابه « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » الذي وقف فصلاً مهماً منه على اشعار الشاعر واخباره (١) سنتحدث عن أهميته . وبعد ابن بسام بقليل جاء الاديب الفتح بن خاقان فخصص هو أيضاً فصلاً من كتابه « قلائد العقيان » للشاعر فذكر منتخبات من شعره وطائفة من أخباره .

ولا بد أن نضم الى هذه المصادر الرئيسة عن ابن عمار أهم مؤلف عن شعره ، وهو كتاب ابى الطاهر محمد بن يوسف التميمي . فقد بذل هذا الكاتب جهده في جمع قصائد الشاعر ومقطوعاته وأبياته باحثاً عنها ، كما يقول ابن الأبار ، في مظانها (٢) .

ويبدو أن الوريقات الأربع عشرة الممزقة التي استخرجت من أقباض مكتبته جامع الفرويين هي كل ما نعرفه من بقايا هذا الكتاب .

نعتقد أن هذه هي المصادر الرئيسة لشعر ابن عمار الذي اعتمد عليها المؤرخون الذين جاءوا بعد ذلك . وبما أنها لم تصل كلها الى أيدينا ، لذا كانت المؤلفات التي كتبت بعد ذلك معتمدة على هذه المصادر ذات أهمية كبيرة لنا ، ولا سيما كتاب الحلة السيراء الذي اعتمد فيه مؤلفه عند كتابته عن ابن عمار على كتب ابى الفاسم الشلبى وابن بسام وابن الطاهر التميمي . ولذلك فقد اعتمدنا حين جملنا شعر الشاعر على جميع ما تيسر لنا من مصادر

(١) الذخيرة ق ٢ ، ف ابن عمار .

(٢) الحلة السيراء ، ف ابن عمار .

سواء كانت متقدمة أم متأخرة ، وها نحن نحاول استعراض أهمها مع بيان قيمتها .

* * *

إن من المؤسف أن يكون القسم الأكبر من هذه المصادر لم يطبع وينشر بعد ، لذا فقد كان لابد لجمع هذه المجموعة الشعرية من الرجوع الى المخطوطات المنتشرة في مختلف مكاتب العالم . وقد كانت أهم المكتبات التي رجعنا اليها ، هي المكتبة الوطنية في باريس حيث يوجد الجزء الحادي عشر من مخطوط « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » للعماد الاصبهاني ، ومكتبة المتحف البريطاني في لندن التي تحتوى على مخطوط « المطرب من أشعار أهل المغرب » لابن دحية الكلبي ، ومكتبة جامعة اكسفورد حيث توجد نسخة من كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام ، والمكتبة الوطنية في مدريد حيث كتاب « الحلة السراء » لابن الأبار ، وخزائنه الأسكوريال في إسبانيا المحتوية على نصوص أدبية أندلسية قيمة جمعها ابن سيد الناس اليعمرى ، وعلى مخطوط « السحر والشعر » للسائر الدين بن الخطيب ، ومكتبة الرباط العامة حيث توجد نسخة أخرى من كتاب الذخيرة لابن بسام ، ومكتبة جامع الفرويين في فاس حيث توجد الوريقات الممزقة المتبقية من ديوان ابن عمار . هذا بالإضافة الى قسم من المكتبات الشخصية ، كمكتبة العباس بن ابراهيم قاضي مراکش الحالي حيث توجد نسخة جيدة من القسم الثاني من الذخيرة ، ومكتبة الأستاذ

عبد الله كنون في طابعه حيث توجد نسخة فوتوغرافية من كتاب
«الحجاسة المغربية» لابي العباس الجراوي مأخوذة عن نسخة أصيلة في
الاستانة .

وبعد مراجعتنا لهذه المخطوطات المهمة وكثير غيرها مما هو اقل أهمية
منها ، عدنا الى السكتب المطبوعة ككتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي ،
وكتاب قلائد العقيان لابن خافان ، ونفح الطيب للمقرئ ، وأعمال الاعلام
لابن الخطيب وغير ذلك مما هو مذكور في مصادر البحث ، ونتيجة لذلك
كله استطعنا جمع هذا المجموع من شعر ابن عمار . ورغم أن ما جمعناه بعيد
جداً من أن يكون كل شعر ابن عمار بل حتى ولا أكثره فإنه يسمح لنا
بمتابعة تطور ابن عمار الشعري منذ اقائه ببني عباد حتى مصرعه . أما إنتاجه قبل
هذا اللقاء فليس لدينا منه شيء فقد أحرقه الشاعر بنفسه (١) . ويبدو أنه
لا قيمة لهذا الشعر الفنية ولا مراكز ابن عمار المتواضع في تلك الفترة دفعت
مؤرخي الادب الى الاحتفاظ به ونقله الينا . ولدينا ممانظمه في حكم المعتضد
بضع قصائد طويلة . اما ممانظمه في حكم المعتد فليس لدينا منه سوى مقطوعات
قصيرة نظمت في مناسبات مختلفة ، لا نعتقد أنها ذات قيمة أدبية كبيرة .
ولكن أحسن ما لدينا من شعر ابن عمار هو ما نظمته في الفترة الأخيرة من
حياته أي بعد تركه لاشبيلية ، ولا سيما اثناء مقامه في السجن ، إذ أننا
وجدنا في هذه الفترة قصائد طويلة جيدة جدية بكل اهتمام وتقدير .

(١) الحلة السرياء ، ف . ابن عمار .

وقد حاولنا جهدنا أن نرتب ما عثرنا عليه من شعر ابن عمار حسب تأريخ نظمته ، ولم تكن هذه المحاولة ناجحة دائماً لاسيما فيما يتعلق بالمقطوعات القصيرة التي نظمت في اشيلية أثناء حكم المعتمد ، إذ أننا لم نقع على أية إشارة تدل على تأريخ انتاجها ، كما أنه ليس فيها ما يدل على ذلك . ومع هذا فأننا وضعناها في الفترة التي نظمت فيها بحيث لا تؤثر على تتبع تطور إنتاج الشاعر الأدبي والماطفي . وقد اخترنا الترتيب التاريخي للقصائد دون الترتيب حسب حروف الهجاء أو حسب الابواب ، لأن الترتيب التاريخي وحده هو الذي يساعدنا على تتبع التطور النفسي والماطفي والتكرري للشاعر من فترة لأخرى من تاريخ حياته حتى نهايته ، كما يعطينا صورة واضحة لتطور صناعته أي مقدرته على الصياغة الشعرية ، وكل ذلك يسهم 'سهماً كبيراً' في فهم الشاعر وفهم أدبه وتذوقه .

إن المصادر التي اعتمدنا عليها في جمع شعر ابن عمار تختلف من حيث أهميتها ومن حيث نوعيه وكمية المعلومات التي تقدمها لنا . وسنحاول أن نستعرض بسرعة أهم هذه المصادر ولا سيما المخطوطة منها موضحين قيمتها .

١- ديوان ابن عمار

يوجد في خزانة جامع القرويين في فاس أربع عشرة ورقة ، (مسجلة تحت رقم واحد في الكتب المكتشفة حديثاً في هذه المكتبة) ، وهذه الوردقات التي يبدو أنها الأثر الوحيد المتبقي من ديوان الشاعر تحتوي على

عدد من القصائد والمقطوعات الشعرية مكتوبة بالخط الاندلسي ومرتبّة على
حروف الهجاء ، ولكنها ممزقة ومخرمة بسبب الحشرات والرطوبة بشكل
يصعب معه قراءتها والاستفادة منها ، وكانت هذه الوريقات قد استخرجت
مع كثير غيرها من أنقاض خزانة مهدمة في الجامع . ومع اننا لم نستطع
بسبب ذلك استخراج قصائد كاملة منها ، فانها ساعدتنا مع ذلك على
تصحيح قسم من النصوص التي عثرنا عليها في المصادر الاخرى واكملها ،
كما تمكنا من استخلاص بعض المقطوعات منها ايضا .

ونحن لانستطيع أن نعين بشكل قاطع جامع ديوان ابن عمار هذا الذي
وجدنا منه هذه الوريقات في فاس . ولكن بما أن القصائد مرتبة حسب
النوافي ، فمن المحتمل جداً أن يكون هو الديوان الذي جمعه ابو الطاهر
الخميري والذي أشرنا اليه سابقاً . ومن جهة اخرى فان مقارنة قصائد ابن
عمار الواردة في الذخيرة لابن بسام مع المقطوعات المعاملة لها الواردة في هذه
الوريقات تقلل الحد كبير احتمال كونها من كتاب ابن بسام عن ابن عمار
والسمى «نخب الاختيار في اشعار ذي الوزارتين ابن عمار» المشار اليه سابقاً ،
كما زعم مصنفو فهرست مخطوطات جامع القرويين . بل اننا لنجد مقطوعات
في الذخيرة تحتوي على أبيات لا تتضمنها مقطوعات مخطوطة القرويين .

٢- ابن الابار ، الحلة السيرة

وهذا الكتاب القيم لم يطبع كاملاً بعد ، وإن كان بعض المستشرقين
ولا سيما دوزي قد نشر قسماً منه ، وهو القسم الذي يخص الأدب الاندلسي .

وقد طبع القسم الذى يخص ابن عمار منه فى الكتاب الذى جمع فيه دوزى
كل ما عثر عليه حول بنى عباد والمسمى
Scriptorum Arabum Loci
de Abbadides

وقد رجعنا الى هذا الفصل ، واعتمدنا على وجه الخصوص على مخطوط
كتاب « الحلة السراء » الموجود فى المكتبة الوطنية فى مدريد برقم ١٢ .
وربما كانت دراسة ابن الأبار هذه عن ابن عمار احسن الدراسات
الفديعة التى كتبت حول الشاعر ، فقد اعتمد المؤلف فى الواقع على مصادر
وثيقة أشرفنا الى انها تعتبر المصادر الرئيسة الأولى عنه ، ككتاب ابن
بسام حول ابن عمار وديوان شعر للشاعر الذى جمعه ابو الطاهر التميمي ،
وما كتبه ابو الفاسم الشلي معاصر ابن عمار حول الشاعر . وأهم المعلومات
التي يقدمها لنا تتعلق بحملات ابن عمار على مرسية وإقامته فى سرقطة قبيل
سجنه ، ووقوعه بين يدي المعتد ، وفى الفصل الذى خصصه ابن الأبار لابن
طاهر ترد بعض الأخبار عن ابن عمار وعلاقته بهذا الأمير .

٣- ابو علي بن بسام ، الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة

يحتوى القسم الثانى من هذا الكتاب وهو المخصص لشعراء اشبيلية وغرب
الاندلس على فصل طويل وقصه الكاتب على ابن عمار . ومن المؤسف ان يكون
هذا القسم من الكتاب غير مطبوع كاملا بعد ، فقد طبع القسم الاول فقط
فى مصر طبعة جيدة ، وهو المخصص لشعراء قرطبة وما حولها ، فى جزءين ، كما

طبع الجزء الاول من القسم الرابع فقط ، ولا زالت الاقسام الاخرى ، اى القسم الثانى الذى نتحدث عنه . والقسم الثالث المخصص لشعراء شـرق الاندلس ، ويقع كل منها في جزأين ايضاً إذا طلبنا بالحجم نفسه الذى طبع به القسم الاول ، والجزء الثانى من القسم الرابع . مخطوطة ومبعثرة في المكتبات . لذلك فقد اضطررنا الى الاعتماد على المخطوطات الموجودة من هذا الكتاب . وأولى هذه النسخ التي اعتمدنا عليها (اى القسم الثانى من الذخيرة) نسخة مكتبة جامعة اوكسفورد ، وثانيها نسخة مكتبة الرباط العامة المرقية ١٣٤٢ . وثالثها نسخة مكتبة الآثار في بغداد ، كما يوجد في جامع الفرويين في فارس فسمنا من هذا المخطوط يتضمن جزء من فصل ابن عار .

أما مخطوطة اوكسفورد التي لدينا صورتها فرغم أنها واضحة الكتابة فإن فيها اخطاء في النسخ وبراغات تقلل قيمتها . عكس مخطوطة الرباط التي مع وضوح خطها الاندلسي ، تتضمن مزايا أخرى ، إذ يبدو أنها روجعت بعناية كبيرة بل إن عدداً من نصوصها ، ولا سيما الواردة في فصل ابن عار ، قورنت بروايات أخرى وسجلت الخلافات في حاشية الكتاب ، أو سجلت بعض الايات الناقصة في رواية ابن بسام . لذا فقد كان اعتمادنا على هذه الم نسخة كبيراً جداً ، فهي في الواقع تستحق كل الاهتمام ولا سيما اذا انجوت النية الى طبع هذا الكتاب .

وقد كتب « الذخيرة » مرجعها سيبان رئيسان . الأول هو ابن بسام مؤلفه كتب كتابه عام ٥٠٠ هـ (١١٠٧) (١) ، اى بعد ثلاثة

(١) الذخيرة ، في ٢٢ ف ، ابو بكر بن الملح .

وعشرين عالماً من وفاة ابن عمار . اذن فقد استطاع السكاك أن يجمع اخبار الشاعر ويروي قصائده تقلا عن اشخاص عاصروا الشاعر وعرفوه . والسبب الثاني هو أن ابن بسام قد وجه اهتماماً خاصاً لابن عمار ووقف كما ذكرنا كتاباً خاصاً عليه .

لهذه الاسباب اعتمدنا على كتاب ابن بسام اعتماداً كبير كما اعتمد عليه جميع الكتاب الذين جاء وابعد عند حديثهم عن ابن عمار . فقسم مهم من النصوص التي جمعناها وصلتنا عن طريق ابن بسام هذا .

٤- ابن دحية الكلبي ، المطرب في اشعار اهل المغرب

والنسخة الاصلية الوحيدة المعروفة من هذا الكتاب هي الموجودة في المتحف البريطاني في لندن رقم ١٦٣١ . كما توجد نسخ مصورة منه في دار الكتب المصرية وفي كلية الآداب والعلوم ببغداد وفي معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط . وقد صورنا المخطوط الاصيل واعتمدنا عليه فيما نقلناه عن هذا الكتاب . ومخطوط لندن هذا مكتوب بخط شرقي واضح ، عدا فسماً من الملاحظات التي اثرت في سطورها الاولى الرطوبة فجعلتها عميرة القراءة . وقد مر مؤلف الكتاب مسرعاً على ادباء الاندلس وخص ابن عمار بقسم صغير من كتابه ، إلا انه مع ذلك زودنا بأبيات لم نعر عليها عند غيره ، كما ساعدنا على ضبط نصوص اخرى وردت عنده وعند غيره من المؤلفين :

٥- ابن سيد الناس اليعمري (نصوص أدبية أندلسية)

ولا نعرف من هذا الكتاب سوى نسخة فريدة في مكتبة
الاسكوريال في إسبانيا برقم ٤٨٨ اطلعنا عليها واخذنا لها صورة
فوتوغرافية . ومؤلف هذا الكتاب محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سيد
الناس اليعمري الذي عاش في القرن السادس الهجري وقد قرأ الجامع
نصوصه هذه على استاذه النحوي المعروف أبي علي الشلو بن عاجزه بروايته .
والكتاب يحتوي على نصوص في موضوعات مختلفة لأدباء مختلفين .
ولكنها كلها تقريباً ترجع الى النصف الثاني من القرن الخامس وتتضمن
رسائل تاريخية قيمة جداً وقطعاً أدبية نثرية وشعرية تعكس ذوق الفترة التي
عاش فيها الكاتب ، وقصائد شهيرة من الأديب الأندلسي يندر وجود
أكثرها في غير هذا المخطوط بينها بضع قصائد لابن عمار . ولهذا المخطوط
أهمية كبيرة جداً في دراستنا ، لأنه زودنا بأهم قصيدتين لابن عمار
بصيغتيهما الكاملتين تقريباً ، ونعني بهما الرائية وهي أول قصيدة مدح بها
المعتضد وتتكون من خمسة وأربعين بيتاً (١) ، واللمية التي أرسلها للمعتضد
من سرقسطة وهي في ثلاثة وتسعين بيتاً (٢) ، كما زودنا عدا ذلك ببعض
مقطوعات أخرى كانت ذات أهمية في إعداد هذه النصوص .

(١) ديوان ، قص ١ .

(٢) ديوان ، قص ٩ .

٦- عمان الدين الاصمبھاني (ابو عبد الله بن محجل) خريدة القصر وجريدة اهل العصر

لقد وقف الكتاب الجزئين الحادى عشر والثانى عشر لا دواء صقلية والاندياس والمغرب . ويحتوى الجزء الحادى عشر على فصل مهم عن ابن عمار يتضمن منتخبات شعرية من إنتاجه الادبى . ولا شك ان اهمية هذا الكتاب تعود الى ان مؤلفه المشرقى قد اعتمد على مصادر أندلسية لم تصل الى ايدينا . وقد اعتمدنا هنا على المخطوطة الموجودة فى المكتبة الوطنية فى باريس برقم ٣٣٣٠ . ورغم ان هذا الجزء قد كتب بخط مشرقى واضح الا انه مليء بالأخطاء والامزجات الناتجة دون ريب عن سوء النسخ والتي قلت كثيراً من اهميته . ومع ذلك فلا يستطيع الباحث فى موضوع ابن عمار وشعره الاستغناء عنه .

٧- ابو العباس الجراوى ، الحماسة المخرية

هذا الكتاب مجموع من الشعر سلك فيه مؤلفه مسلك مؤلفي الحماسات كأبى تمام والبحتري وابى الفرج البصرى وابن الشجرى ، فجمع فيه نخبة مما استحسنته من الشعر العربى . وقد اطلق المؤلف ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوى المغربى (٣) ، على كتابه هذا اسم « مختصر كتاب صفوة الادب ومختصر ديوان العرب » ، ولكنه عرف فى الاوساط الأدبية باسم « الحماسة

(٣- عبد الله كنون ، ابو العباس الجراوى .

المغربية » كما ذكرنا هنا . ويتميز هذا الكتاب عن غيره من كتب الحماة بأنه يحتوي على منتخبات من شعر ادباء الأندلس والمغرب ومنهم ابن عمار . والمخطوطة الوحيدة التي اعلمنا بوجودها هي تلك التي في الاستانة والتي عثرنا على نسخة مصورة منها لدى الأديب الفاضل الاستاذ عبد الله كنون في طنجة اعتمدنا عليها فيما نقلناه من شعر ابن عمار .

* * * *

وعدا هذه المصادر واخرى غيرها ، أقل أهمية منها لما لم يطبع وينشر حتى الآن ، فاعتمدنا على عدد من الكتب المطبوعة كان لها أهمية كبيرة في انجازنا لهذا العمل .

فكتاب قلائد العقيان لانتح بن خاقان يعتبر كما قلنا مصدراً رئيساً لأن مؤلفه كتب في مطلع القرن السادس بعد مصرع ابن عمار بزمان غير بعيد . وقد طبع هذا الكتاب طبعتين الاولى في القاهرة عام ١٢٨٣ للهجرة ، والثانية في باريس عام ١٨٦٠ للميلاد ، فاعتمدنا في عملنا هذا على الطبعتين ، والواقع ان الطبعة الاولى رديئة حاقة بالاعلاط . رأما الطبعة الثانية فرغم انها خير من سابقتها فان ندرتها تجعل اعادة طبع هذا الكتاب ضرورة لا بد منها . وكتاب المعجب لعبد الواحد المرأشي الذي طبع طبعة ثانية محققة جيدة في القاهرة عام ١٩٤٩ من قبل العلي والعيان ، كان هو ايضاً مصدراً مهماً عن ابن عمار ولا سيما عن حياته . ويبدو ان الكتاب كتب هذا الكتاب في القرن السابع الهجري وهو في المشرق معتمداً على ذاكرته

وما كان سممه من حكايات ، لذا تلقت النظر فيه الناحية القصصية التي قلت
من قيمته التاريخية . كما نعتقد ، ومع ذلك فقد كانت فائدة هذا الكتاب
كبيرة في ضبط قسم من آيات ابن عمار وفي الحصول عن معلومات قيمة
تتعلق بحياته .

وعدا ذلك فقد كانت لكتاب المقرئ الشهير « نفع الطيب في غصن
الاندلس الرطيب » فوائد لا تحصى رغم تأخره ، فكان للمنتخبات الشعرية
التي ذكرها أهمية في ضبط بعض النصوص ، رغم ان جل ما اتى به لابن عمار
كان مذكوراً لدى غيره من المؤلفين الذين مر ذكرهم .

اما الكتب الأخرى الكثيرة التي تتضمنها مصادر البحث فانهم لم
تزودنا على وجه العموم بجديد لأنها اعتمدت على ما ذكرناه من كتب ، او
انها لم تقدم لنا سوى مقطوعات صغيرة ، ولسكنها بمجموعها كانت لازمة
جداً لضبط كثير من النصوص .

المختصرات المستعملة في الحواشي

ج	: جزء
ح	: الحلة السراء لابن الأبار
خ	: خريدة القصر لعبد الدين الأصفهاني
ذ	: الذخيرة في محاسن أهلي الجزيرة لابن بسام
ص	: صنعة
ع	: Scriptorum arabum loci de Abbadide, de Dozy
ق	: قلائد العقيان لفتح بن خثاف
قم	: قم
م	: مخطوط
٤٨٨٠	: مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨
مط	: المطرب لابن دحية السكي
مع	: المعجب لعبد الواحد المراكشي
ن	: نصح الطيب المعمرى
و	: ورقة

قال ابو بكر محمد بن عمار يمدح المعتضد في أول لقاء له
معه * :

(الكامل)

أدر الزاجحة فالنسيم قد انبرى
والنجم قد صرف العنان عن المرى
والصبح قد أعدي لنا كائوره
لما استرد الليل منا العثرا
والروض كالسنا كساه زهره
وشباً وقلده نداء جوعرا
أو كالغلام زها بورد رياضه
خجلاً وآساه بأسهن معذرا
روض كأف النهر فيه معصم
صاف أطل على رداء أخضرا
وميزه ربح الصبا وفتخاله
سيف ابن عباد يبدد عسكرا

* رويت هذه القصيدة كاملة عدا بيتاً واحداً في م ٤٨٨ و ١٠٠ ، وفي ق ص ٩٩
صدعة أبيات ، في ج ١١ و ١٦٤ أربعة وعشرين بيتاً ، في ن ج ٢ ص ١٧٧ ستة
وللاثين بيتاً ، وفي ذ قس ٢ ، فصل ابن عمار قصيدة وعشرين بيتاً ، وفي مط بضعة أبيات
١ - في م ٤٨٨ أدر الزاجحة ، أدر المداومة ن
٢ - في م ٤٨٨ كالسنا كساه البس .
(٦) في ذ ، فتظنه بدل : فتبخاله

(٢) الحاجب المنصور سيف الدولة الـ
 معطي من الحباء الاكبر
 علق الزمان الأخضر المهدى لنا
 من ماله الملق النفيس الاخطرا
 ملك اذا ازدهم الملوك بمورد
 ونحاه لا يردون حتى يصدرا
 ١٠ أندى على الاكباد من قطر الندى
 وألذ في الاجفان من سنة الكرى
 قداح زند المجد لا ينفك من
 نار الوغى الا الى نار القرى
 مختار إذ يهب الخريدة كاعبا
 والطرف أجرد والحسام مجوها
 أيقنت أنى من ذراء بحنة
 لما سقاني من نداء السكوثر
 وعلمت حقاً أن روضي مخصب
 لمسا سألت به الغمام المطرا
 ١٥ ياسائلي ما حمص إلا خاتم
 أبصرت اسماعيل فيه خضرا

(٧) كذا في ق وهو الصحيح

(١٢) في ن إن ، بدل إذ

من لاتوازته الجبال اذا احتجب
 من لاتسابقه الرياح اذا جرى
 ماض وصدر الرمح يكهم والظبا
 تنبو وأيدى الخيل تمثر في البرى
 لاشيء أقرأ من سفار حسامه
 إن كنت شبهت الكتائب أسطرا
 قائد المواقب كالبكواكب فوقهم
 من لامهم مثل السحاب كنهورا
 من كل أبيض قد تقلد أبيضاً
 عضباً وأسمر قد تقلد أسمرأ
 لله مرسله بأفاق المدى
 برقاً تصوب عارضاً مشمجرأ
 عباد الخضر نائل كفه
 والجو قد لبس الرداء الأغبرأ
 ملك يروقت خلفه أو خلقه
 كالروض يحسن منظراً أو مخبرأ
 أعلمت بالإيمان حتى شتمته
 فرأيت في بردية مصورا

٢٠

(١٨) في ن ، لاخلق بدل لاعي. || المواقب بدل الكتائب

(١٩) في ن ، قائد الكتائب ، وفي خ ، فإذا الكتائب

٢٥ ومجملت معنى الجود حتى زبته

فقراته في راحته مفسرا

فاح الثرى منقطراً بثناؤه

حتى حسبنا كل قرب غيرا

وتتوجت بالزهر بلمع هضابه

حتى حسبنا كل هضب قيصرا

هصرت يدي غصن الفنى من دوحه

وجنت به روض السرور منورا

حسبي على الصنع الذى أولاه أن

أسمى بشكر أو أموت فأعذرا

٣٠ يا أيها الملك الذى أصل للننى

منه بوجه مثل حمدي ازهرا

السيف افصح من زياد خطبة

في الحرب إن كانت يمينك منبرا

مازلت تغني من غداك راجيا

قبلا وتغنى من طغى وتنجبرا

(٢٤) الشطر الاول في ق ، ن : اقتصت باسم الفضل حتى شته ه ، وفي مط : وسعت

باعم القطر حتى شته «

(٢٧) في ن ، ق : غلطنا ، بدل : حسبنا

(٣٢) في ق ، هـ ، بدل : طغى

نحى حائل من الرئاسة محجرا
رجباً وضمت منك طرفاً أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد
الا اليهود وإن تسمت بربرا

٣٥
أنمرت رجحك من رؤوس كلهم
لما رأيت الغصن يمشق منبرا
وصبغت درعك من دماء ملوكهم
لما علمت الحصن يلبس أحمر

واليك يا منصور قادت همي
بزمامها جرد المذاكي الضمرا
مدت سنابكها الفواح للصفاء
مرطبا على متن الظلام معصفرا
يجعلن قبلك البهية قبلة
ويردن ساحتك البهية مشعرا

٤٠
خذها اليك وروضها لك ناظر
أسقيته ماء النعيم فنورا
نمقتها وشيا بذكرك مذهبا
وفتنتها مسكاً بحدك أذفرا

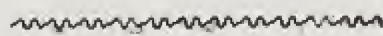
(٣٦) في مثل كلوهم ، بدل ملوكهم

من ذا يخالني وذكرك مندل
أوردته من نار فكري مجرا

ولئن وجدت نسيم حمدي عاطرا
فلقد وجدت نسيم برك أعلرا

وهناك عيد النحر لازالت به
حرم الأعادي كي تطوف فتجرا

٤٥ واليكها كالأرض زارته الصبا
وحنا عليه الطل حتى نورنا



(٤٢) في ق ، صدال ، بدل : مندل

(٤٣) في ق ، ن ، ظان ، بدل : وائن

قال الفتح بن خافان في قلائد المعيان (١) :

« ولما ضيق المعتضد بالله على ابن عبدالله بقرمونة ، وسدد
مسالكه ، وسدد اليه ممالكه ، استدعى باديس بن حبوس ، واستصرخه
استصراخ المرتق المحبوس ، رجا ان ينفس عنه غصه ، وينتهر في
ابن عباد فرصة ، فلما وصل باديس بن حبوس الى قرمونة ، اخرج
اليه المعتضد جيشه يقدمه ابنه الظافر ، ويحموه منه اسوداً في المغافر ،
فلما التقى الجمعان ، وارتقى نديه بغية العين والمعان ، حل فيهم عسكر
اشبيلية حملة خاناتهم عن مسكرهم ، وادالتهم بالذل من تمززم ، فنفرقوا
في تلك البسائط والرعي ، وشربوا سقياً الاسنة والظبا ، واوقع بهم
الظافر اجمن ايقاع ، وتركهم مضرجين في تلك البقاع ، وانصرف
الى اشبيلية والويته مخالة في اكف الرياح ، وذوابله تكاد تنقص
من الارتياح ، فهنيء للمعتضد بذلك وقام ابن عمار ينشد هناك (٢) »

الا المعالي ما تميد وما تبدي

وفي الله ما تخفيه عنا وما تبدي

نوال كما اخضر العذار وفنكة

كما خجلت من دونه صفحة الخلد

(١) ق ٢٣ ص ٩٠

(٢) في مح ثلاث عشر بيتاً

جنيت ثمار النصر طيبة الخلق
ولا شجر غير المثقفة الملد
وقلنت أجياد الربى رائق الخلق
ولا درر غير المطهرة الجرد

٥ بكل فتى عارى الأشاجع لابس
الى غمرات الموت محكة السرد
يكر فكم طعن كسامعة الفرا
يضاف الى ضرب كعاشية البرد

نجوم سماء الحرب إن يدج ليها
يدور بهم أفواجها فلك السعد
خمس تردى من بلياك بحر هف
حكاك كما قد الشراك من الجلد

بهدر ولكن من مطالعه الوغى
وليت ولكن من برايته الهندي

١٠ فتى ثقف بين الجمال مقدم

جنى الموت من كفيه أحلى من الشهد

سقيت بسبه ديناً غفائك مخصباً

فأجناك من روض الندى زهر الحمد

وجندته نحو الملوك محارباً

فوافاك يقتاد الملوك من الجند

ورب ظلام سارفيه الى العدى
 ولا نجم الا ما تطلع من غمد
 اطل على قرمونة متبلجاً
 مع الصبح حتى قيل كانا على وعند
 ١٥ فأرملها بالسيف ثم أعارها
 من النار اثواب الحداد على القمد
 فيا حسن ذاك السيف في راحة الندى
 ويا برد تلك النار في كبد المجد
 لك الله إن كانت عذاتك بعضها
 لبعض فكل منهم جريماً الى فرد
 يهوداً وكانت برياً فانتفض الظبي
 وأنبتهم منها بالسنة لد
 اقول وقد نادى ابن اسحاق قومه
 لأرضك يرتاد المنية من بعد
 ٢٠ لقد ساسكت نهج السبيل الى الردى
 فلباء دنت من غابة الاسد الورد
 كأنى الباديس وقد حط رحله
 الى الفرس الطاوى عن الفرس النهدي

(١٣) في غ ، حتى قات ، بدل : حتى قيل

(١٦) في غ ، في راحة الهدى بدل : في راحة الندى .

الى الفرس الجارى به طلق الردى
سرياً غنياً عن الجاه وعن لبد

يحن الى غرناطة فوق منته
كلحن مقصوص الجناح الى الورد

ظفرت بهم فارخ وأومض كؤوسها
بروقاً لها من عودها ضجة الرعد

٢٥ معتقة أهدت الى الورد لونها
وجادت بريها على العنبر الورد

فاكثر مايليك عن كآسها الوغى
وعن نقات العود نغمة مستجدى

وما الملك الا حلية بك حسنها
والا فما فضل السوار بلا زند

ولا عجب ان لم يدن بك مارق
فليس جمل الشمع في الاتين الرمد

هنيئاً بيكر في الفتح نكحتها
وما قبضت غير النية في التقدر

٣٠ تحلت من السيف الخضيب بصفحة
وقامت من الرخ الطويل على قسد

(٢٦) فوخ ، كأسك ، بدل : كاسها ،

ودونكها من لسج فكري حلة
مطرزة العطفين بالشكر والحمد

ألد من الماء القراح على الصدى
واطيب من وصل الهوى عقب الصد

وما هذه الاشعار الانجاس
تضوع فيها للتدى قطع الند

وكنت نشرت الفضل في وانما
نشرت سقيط الطل في ورق الورد

٣٥ وما أنا باغ من نذاك بقدر ما
يضاف لتأميلي ويعزى الى ودي

فأقسم لو قسمت جودك في الوري
على قدر التأميل فزت به وحدي

قنعت بما عندي من النعم التي
يفسرهما قولي قنعت بما عندي

(٣٢) في ق ، العذب القراح ، بدل : الماء .

(٣٦) في ق ، بيننا ، بدل في الوري .

وقال يمدح المعتضد *

(المتقارب)

وفيت لربك فيمن غدر وانصفت دينك ممن كفر
وقت تطالب في الناكثين (٢) من مر الحفاظ بحلو الظفر
بعاطلة من ليالي الحرو (٢) ب اطلعت رأيك فيها قر
ولم تتقدم بحيش الرجا (٢) ل حتى تقدم جيش الفكر
فان يحبك الفتح ذاك الاصيل (٢) ل فن غرس نديب ذاك الشجر
تعالى الخوارج حتى برز (٢) ت تقوم من خدها ماصع
واقبلتها الخيل حمر البنو (٢) د دم الفوارس بيض الفر
فكروا فلم يغفهم من مكر (٢) ر وفروا فلم يغفهم من مفر
ودارت دماؤهم كالكوثر (٢) س وفاحت نفوسهم كالزهر
فعاقر سيفك حتى انحنى وعربد رحلك حتى انكسر
وكم نبت في حرمهم عن علي (٢) ي وناب عن النهروان النهر
تمتع فقد ساعفتك الحيا (٢) ة بريح الحديقة غب المطر
وعش في نعيم ودم في سرو (٢) ر ولاسر ربك من لايسر

* : روت هذه القصيدة في ق م ١٠٠ و ٧ ابيات منها في ج ١١ و ١٦٧

وقال يخاطب المعتضد * :

(الكامل)

الكأس ظامية الى ينساك

والروض مرتاح الى لقياسك

والدهر جار في ضانك لم تقل

هات النى إلا أجاب بها كـ

فأدر بآفاق السرور كواكباً

تخذت أكن سقاتها أفلاكاً

راحاً اذا هب النسيم حبيبها

مسروقة الانفاس من رياسك

في مجلس بسط الربيع بساطه

زهراً وورقه عليك أراك

سقط الندى فيه سقوط نداك

وجلت عليه الشمس مثل سناك

روض تفتح زهره فكأنه

مقل العذارى جدقت لثراك

* وردت هـ ايات في ج ١١٦ و ١٦٧ و ٩ ايات في ذ

يسرى على ريحانه نفس الصبا
سحراً فيوم انه ذكر اكا

رد مورد اللذات عذبا صافيا
فلقد وردت المجد قبل كذا كا

لم ترو من راح ولا من راحة ١٠
حتى ارتوت بدم العداة فنا كا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

ومضى عند المعتضد عباد ليلة أبو الوليد بن زيدون وأبو بكر
بن صمار ، فقال المعتضد :

أناك الليل معتكراً
فقال ابن زيدون : يناهيه سنى البدر
فقال ابن صمار :

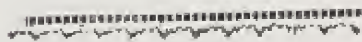
دع الساعات تبسطه
سنة قبضه يد العجبر

* * * *

وقال في المعتضد عباد من قصيدة *

(الطويل)

انا عبيدك او يقول مصدق
الحق مـذموم وانت بخيل
أترى القبول سرت اليك بنفحة
مما ادعته فكان منك قبول
وعل استمالك من ثنائى عاطف
ابن الكريم الى الثناء يميل



-V-

وقال ابن عمار من قصيدة في المعتضد عباد أولها * :
(الطويل)

أشأقك برق أم جفاك حبيب
فليلك فضفاض الرداء رحيب

ومنها :

إلى الله اشكو أن مالك في دي
شريك ومالي في هواك نصيب
أندرين من كانت عينك فؤله
وقلت فـتى لا يستفيد غريب
ستنصره من مهرة الخيل ترمي
بأعلام نصر في الوغى وتؤوب
تساموا بلخمي فاستهلت سماؤهم
بغيمين منها ذائب ومذيب
بدور ولكن السماء محارب
وأسد ولكن العرب حروب
مزحت فأنى يا أبنه القول لم أكن
لأفـسي مسراً ضمته قلوب

* ذ ، فصل ابن عمار

سأشهد قومي أن طرفك من دي
برى وإن كان الفتور يرب
وكيف أرى في الغدر نهجاً لساك
وعهدى بالملك الوفي قريب
فتى نسخ الغدر اقتضاء وفائه
فلا تحكي أن الوفاء غريب
أغر يغير الملك منه بـكـوـكـب
له في سماء المشكلات نقوب

وخطب أبا الوليد بن زيدون عند أول تعلقه بالسلطان :
 تأملت منك البدر في ليلة الخطب
 ونلت لديك الخصب في زمن الجذب
 ووجدت من محروس جاهك مرهفا
 تولت به خيل الحوادث عن حربى
 وما زلت من نعمك في ظل لذة
 تذكرنى أيامها زمن الحب
 إذ العيش في أفياء ظلك بارد
 فمن صراع خصب الى مورد عذب
 ٥ أحين سقى صوب اعتنائك ساحتى
 فنعمتها وامتز روضي في تربي
 نذيت لعطف قد نذيت مداخى
 عليه وسرب قد بدلت به سربي
 أما أنه لولا عوارفك التي
 جرت في جرى الماء في الغصن الرطب
 لما ذدت طير الود عن شجر القلى
 ولا صنت وجه الحمد عن كلف العتب

ولكن سأحكي بالوفاء عن الجفا
وأرضى ببعده بعدما كان من قربي
١٠ وإن لفحتني من سمائك خرجف
سأهتف يا برد الذسيم على قلبي
وإني إذا قلت جاعك مطلبسي
وأخنقت فيه قلت يازمني حسبي
أبظلم في عيني كذا قر الدجى
وتنبو بكفي شفرة المارم العنكب



وكتب الى الامير محمد (المعتد) بن المعتضد حين قاه المعتضد
من إشبيلية ، وكان مقبلا آنذاك في سرقسطة * :
(الطويل)

على وإلا ما بكاء الغمام
وفي وإلا ما نباح الحمام
وعنى أنار الرعد صرخة طالب
لثأر وهز البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها
لغيرى ولا قامت له فى مآتم
وهل شفت هوج الرياح جيوبها
لغيرى او حنت حنين الروائم
خذوا بهى إن لم تهدأو اكل ساج
لريح الهبسا فى إثره أنف راغم
من العابسات الدعم الا التفاتة
الى غرة أهدت له ثغر باسم

* الاصل م ٤٨٨

(١) فى ذ : على وإلا ما نباح الحمام وفى وإلا ما بكاء الغمام || فى ح : ما لروح

بدل : ما نباح

(٣) فى ذ (سراكش) وسط مآتم ، بدل : فى مآتم

طوى بي عرض اليد فوق قوائم
 توهمتني منهن فوق قوائم
 وخاض بي الظلماء حتى حسبته
 له مربوط بين النجوم العوام
 الا قاتل الله الجياد فانها
 نأت بي عن أرض الملى والمكارم
 أشب ولا تنساب عبرة مهق !
 وحس ولا تعناد زفرة نادم !
 كساها الحيا برد الشباب فانها
 بلاد بها حق الشباب تمنامي
 ذكرت بها عهد الصبا فكأنما
 قدحت بئار الشوق بين الحيازم
 ليالي لا ألوى على رشد لأنهم
 عناني ولا أئنيه عن غي هائم
 أنال سهادي عن عيون نواعس
 وأجني عذابي من غصون نواعم
 وليل لنا بالسد بين معاطف
 من النهر ينساب انسياب الأراقم

١٠

١٥

(٧) في م ٤٨٨ : توهمتني ، بدل : توهمته

(٨) في م ٤٨٨ : غي لأنهم ، بدل : غي هائم

(١٤) في ذ : جفون ، بدل عيون || في ت : سرادي ، بدل : عذابي .

(١٥) في خ : وفوم ، بدل : وليل .

بحيث اتخذنا الروض جداراً تزورنا
 هداياه في أبدى الرياح النواسم
 تبلغنا أنفاسه فنردها
 باعطر أنفاس وأذكي مناسم
 تسر الينا ثم عنا كأنها
 حواسد تمشي بيننا بالناسم
 سقطنا به الشمس النجوم ومن بدت
 له الشمس في جنح من الليل فاحم
 وبقنا ولا واش يحس كأنما ٢٠
 حللنا مكان السر من صدر كاتم
 هو العيش لا ما اشتكبه من السرى
 الى كل نغر أهل مثل طاهم
 وصحبه قوم لم يهذب طبعهم
 لقناء أدب أو نواذر عالم
 ضعايلك هاهنا بالفلا فتدبروا
 جلود الافاعي تحت بطن النعائم

(١٦) في خ : ٤٨٨ م : ناسم ، بدل : مناسم

(١٧) في ذ : تشير ، بدل : تسر

(١٩) في ذ : قطع ، بدل : جنح .

(٢٠) في ن : لحاف ، بدل : يحس

(٢٣) في ذ : في الليل ، بدل : في القلا

لداي ولا غير السيوف أراهم
لديهم ولا غير العمود كمانهم

وما حال من ريشه أرض أعارب ٢٥
وألفت به الأقدار بين الأعاجم

يقبح لي قوم مقامي بينهم
وفد رست رجل السرى في الأدهم

يقولون لي دع أيدي العيس إنها
تؤدي إلى أيدي الملوك الخضارم

فديهم لم يعبوا حرص عاجز
ولا نهوا إذ نهوا طرف نائم

ولكنها الأيام غير حوافل
بأرب أريب أو حزامه حازم

وإني لأدعو لو دعوت لسامع ٣٠
وإني لأشكو لو شكوت لراحم

أريد حياة البين والبين فأنلي
وأرجو انتصار الدهر والدهر ظالم

(٢٤) في : لغامي ، م ٤٨٨ نرام

(٢٥) في ذ : وما حال من دخل

(٢٦) في م ٤٨٨ : قوم ، بدل : قوم

(٣٠) في ذ : وإني لأدعو لو دعوت لسامع عيب وأشكو لو شكوت لراحم

ونبتت اخوات الصفاء تغيروا

وذموا الرضى من عهدى المتقادم

لقد سخطوا ظالماً على غير ساخط

عليهم ولاموا ضلة غير لائم

ولو أن غنواً من هنالك زارنى

لذرت وما عدو الزمان بدائم

أجر ذبول الليل سابعة الدجى ٣٥

واركب ظهر العزم صعب الشكائم

فأورد ودى صافياً كل شارب

والبس حمى صافياً كل شائم

وأغضى لمن باقى وجه مكاره

حياء فأتماه بوجه مكارم

وما هو الا لثم ككف محمد

ويمكن كفى من نواصى الظالم

إن اتفقت لى فالعدو موافق

على كل حال والزمان مسالم

على لنفسى من منها ألية ٤٠

تهز رجال اليمعالات الرواسم

(٣٣) لى ذ : لقد عتبروا ، بدل : لقد سخطوا || عاتب ، بدل : ساخط

(٣٤) و ذ : شامت ، بدل : شارب

(٣٩) لى ذ : مساعدي ، بدل : موافق

الى الحاجب الاعلى الى العضد الذي
 تطول يميناه قصار الصوارم
 فتي تقف ما بين الجمائل مقدم
 اذا كره الموت ضربة لازم
 يضيق سرور الملك منه اذا استوى
 عليه يسدر محجب بهائم
 ويهفو لهواء الورد منه إذا غزا
 على أسد دامي البرائن حاطم
 صقيل رداء العرض من غدر خلة
 وظاهر ماء الوجه من رد عادم
 له هزة في الجود ممتضدية
 تمز إلى تشتت شمل الدراهم
 وای حياء طيه ای سورة
 كما كنت في الروض دم الاراقم
 مما بأبيه ذروة الشرف الذي
 اباطحه سهل الندي والكارم

٤٥

بمتضد بالله بمناء مرتع
 مريع لآمال النفوس السوائم
 اذا نشرت ظم بذكواه نغرها
 طوت طي من خجلة ذكر حاتم

٥٠

ملك سني الحالتين متيم
 بيض الأبدى أو بحمر اللحم
 أبى أن يراه الله غير مقلد
 حمالة سيف أو حمالة غارم
 يمين على حمد العفاة فينشئ
 براحه مقنوم ولده غارم
 ويبنى بهدم المال شاحنة العلا
 لقد ساس ما بانى العلا غير هادم
 مهيب الثغرات الطرف سام موقر
 عظيم إذا لاحت وجوه العظام
 يذيب بميزه العدى غير ناظر
 ويسى بكفيه السها غير قائم
 إذا نظرت فيه الملوك تساقطت
 له نكس الابصار مثل العمام
 يغادر من لثم المباسم في نرى
 مواكبه أمثال نلم الناسم
 له الخير ما أعطى الى كل صارم
 عينا وما أسطى بكل ضبارم

(٥٢) في مع : حملة سيف بدل : حمالة سيف .

٦٠ إذا جر أذيال الجيوش الى المعدى
أطاعته أو جرت ذيول الهزائم

ومن مثل عباد ومن مثل قوهم
ليوث حروب أو بدور مواسم

ملوك مناخ العز في عرصاتهم
ومشوى المعالي بين تلك المعالم

هم البيت ما غير الهدى لبنائه
بأس وما غير القنا بدعائم

إذا قصر الريح الخطى نهضت بهم
طوال العوالي في طوال المعاصم

٦٥ وأيد أبت من أن تؤوب ولم تهز
بحز التواصي أو بحز الغلاصم

ندامي الوغى يحزون بالدموت كأسها
إذا رجعت أسياهم في الجماجم

هناك القنا مجرورة من حفاظ
وتم الظبا مهزوزة من عزائم

ألكنى منهم بالسلام الى فتي
تهادى به جرد المتناق الصلادم

(٦٨) في ذ : الكنى بالتسليم منهم على فتي

إلى الحاجب السامي إلى المجد ناشئاً
وإن لم تثبت فاعتبر بالمباسم

٧٤ إذا ركبوا فانظروا أول طاعم
وإن تركوا فارصده آخر طاعم

أغر ممكن في القلوب محبوب
إليها عظيم في نفوس الأعظم

تبرأ من لحم وناهيك مقمداً
مكان رسول الله من آل هاشم

رقيق حواشي الطبع يجلو بيانه
وجوه المعاني واضحات المباسم

دبارع حسن الخط حتى كأنما
يصرف في القرطاس راحة راسم

٧٥ بهز من الأقلام أمثلة القنا
لها من لطخ المسك مثل اللهازم

إذا نثرت جاءت بيـدعة نافر
وإن نظمت جادت بحكمة ناظم

أبا القاسم أقبلي اليك فاقما
تناؤك مسكي والقوافي لطاعمي

محلة عذراً فانك جملة
 من الفضل لم أستوفها بتراجم
 فديتك ما حبل الرجاء على النوى
 بواء ولا ربع الوفاء بقسام
 أنا العبد في ثوب الخضوع لو أنني
 أربي البدر تاجي والنجوم خواتمي
 وما عز في الدنيا طلاب لمأجد
 ولا اعتاص في الأيام ورد لحائم
 ولكن ذاك الظل أندى غضارة
 لضاح وذاك البرق أوفى لشائم
 وإني - إذا أنصفت - بمدك خادم
 لدهرى وكان الدهر عندك خادمي
 تراك تنسنت الذي قد أذعته
 فارضاك أم غابت لديك مقادمي
 لعمري لقد أخفت كل مغاخر
 بما فيك من تلك السجايا الكرائم
 أنازعه فيك الثناء فينثني
 كأنني نازعت الكؤوس منادي

٨٥

(٨١) في ذ وما عز في الدنيا مراد للجهب ولا اعتاص في الافاق ...

(٨٢) في ٨٨٢ ؛ ولكن ذاك الفضل في ذ ؛ اشفى ، بدل : اوفى .

(٨٤) في ذ ... فارضاك أم غابت عليك مقادمي .

ولا غرو أن حيتك بالطيب روضة

سمحت لها بالعارض المتراكم

ونقت بحظي منك لم أخش نبوة

عليه وأدم بالظنون الرواجم

ولو نهضت بي قدرة كل ساعة

لأديت من تقبيل كفك لازمي

لعل الذي أفذى بفرحة راحل

عيونا سيجلوهـا بفرحة قادم

فترجع أيام مضت وكأنها

إذا امتثلتها النفس لذة حالم

وإن غالى من دونهن منيقي

فأقدار رب بالمنية حاكم

توالي عليك السعد أزم صاحب

وكان لك الرحمن أكلاً طاصم

٩٠

ومن قوله في قصيدة يمدح بها المعتضد بالله * :
(الكامل)

جاء الهوى - فاستشعروه - عاره
ونعيمه - فاستعذبوه - أواره

لا تطلبوا في الحب عزاً وإنما
عبادته في حكمه أحراره

قالوا أضر بك الهوى فأجبتهم
يا حبيذاً وحبيلاً أضراره

قلبي هو اختار السقام لجسمه
زياً نفلوه وما يختاره

• عبرتموني بالتحول وإنما
شرف الهند أن ترق شفاره

وشتمتم لفراق من آلفته
ولربما حجب الهلال سراره

أحسبتم السلوان هب نسيمه
أو أن ذاك النوم عاد غراره

* في مع ١١٢ ، اثنان وعشرون بيتاً من هذه القصيدة ؛ في ق سبعة أبيات

إن كان أعبى القلب من حر الجوى
خذلته من دمعى إذن أنصاره

من قد قلبي إذ نثني قد
وأقام عذرى إذ أطل عذاره

١٠ أم من طوى الصبح النير نقابه
وأحاط بالليل البهيم خماره

غصن ولكن النفوس رياضه
رشاً ولكن القلوب عراره

سخرت بسدر التم غرته كما
أزرت على آفاقه أزراره

مازال ليل الوصل من فتكاته
تسرى الى بعرفه أسجاره

ويجود روض الحسن من وجناته
دمعى فيندى رنده وبهـاره

١٥ حتى سقاني الدهر كأس فراقه
فسكرت سكرأ لايفيق خماره

ووقفت في مثل المحصب موقفاً
للبين من حب القلوب جماره

حبران أسمى الطرف وهو سماءه
وأذاب فيه القلب وهو قراره

ولئن يذبه وهو مثنواه فكم
قد أحرقت عود العفارة ناره

إن يهنه أنى أضعت لحيه
قلبي وذاعت عنده أسراره

٢٠ فليهن قلبي أن شكاه وشاحه
لسواره فاقص منه سواره

فوحسنه لقد انتدبت لوصفه
بالبخل لولا أن حصاً داره

بلد رمتني بالمنى أغصانه
وتفجرت لي بالندى أنهاره

بلد متى أذكره هيج لوعتي
واذا قدحت الزند طار شراره



وقال يخاطب ابا الوليد بن زيدون * :
(الكامل المجزوء)

كيف اعترزت على الدليل وقطعت أسباب الوصول
وقتلتنى وزعمت أن (٢) ن الذنب منا للقتيل
وعليك جاهدت العدا واليك ملت عن المذول
ياقاتلي ودي بصف (٢) حة خده أهدي دليل
٥ ما أليق الفعل الجلي (٢) ل بذلك الوجه الجميل
أبرزت في خلق الكريد (٢) هم وراءه خلق البخيل
ودعوتني حتى أجب (٢) تنك ثم حدثت عن السبيل
جد بالقليل فأنف (٢) سي منك تقنع بالقليل
واذكر على زمن قطع (٢) ناه بصافية شمول
١٠ إذ نسحب الأذيال ما بين الخليج الى النخيل
ونحل من سيف الغدير (٢) ر بقبة الظل الظليل
والروض مملوء تنم (٢) عليه أنفاس القبول
والشمس ترمقنا خلا (٢) ل الغيم عن طرف كليل
إبان يحدو الرعد من ورق السحاب كالحمول

-١٢-

وقال في المعتمد حين نزل ببعض الحصون * :

(المتقارب)

على اليمن والطائر السائح

نزلت وغيرك للبارح

وما اعتجت إلا وقد هيئت (م)

ك دواع إلى البلد النازح

وإلا فكم خف من خف جه (ن)

ملا فما هز من حملك الراجح

تطلب حقوقك ، لا لأنهم

فقد بين الصبح للاح

٩ ومن يعترضك بأوداجه

فكله إلى سمعك الذابح

وكم يزجرون وكم ينصحو (ر)

ن فما يقبلون من الناصح

وما كان أنصفهم لو رموا

زناد الوغى ليد الفادح

* ذ ق ٢ قتل ابن عمار

ولا عجب لثبوت القلا (م)
ع على بأسك الهادم الناطح

فلولا امتناع الفتاة السكما (م)
ب لما كملت لذة الناصح

١٠ خلعت الكرى في طلاب العلا
على نائم دونها طافح

هنيئاً فانت ملوك الملو (م)
ك قد صرح الجد للمازح

وما أخرتني عنك النجوى (م)
م ياغرة القمر اللامح

ولا النهر لم يثنى عن ورو (م)
د ندى بحرك الزاخر الطافح



وقال بمدح المعتمد * :

(الطويل)

أني كل يوم نَحْفَة وتمقـد
بفضل نوال واهتبال يؤكـد
لقد فاز قدحي في هواك وقابلت
مطالع حالي في سمائك أسعد
أبرعت بالمعروف قبل سؤاله
وعدت بما أوليت والعود أحمد
فأتأق حوضي من نذاك تبجس
ونحق روضي من رضاك تعهد
أما وصنيع زارني بجائه
حديث كما هب الذسيم الفرد
لقد هز أعطاف القوافي وهزني
إلى شكر إحسان أغيب فيشبه
فإن أنا لم أشكرك صادق نية
فقوم عليها آية الفصح تعهد
فلا صح لي دين ولا بر مذهب
ولا كرم تسمي ولا طاب مولد

* ق ، ٩٧ ، ثلاثة أبيات منها في ج ١١ فصل ابن عمار

وله في زورق *

(الطويل)

وجارية مثل الهلال ألفتها

على نهر مثل السماء رقيق

نجلى لنا الاصباح وهو زمرد

فأنت عليه الشمس ثوب عقيق



وله في طبق من الفضة مذهب الباطن *
(الخفيف)

وسماء من الغنى قد أسالت
ذهبا في قرارة من الجين
فاجتذت حولها العيون بلطف
زهر الحسن من بنان اليبين



وأهدى الى المعتمد في يوم عيد ثوباً من صوف بحرى وكتب
معه * :

لما رأيت الناس يحتشدون في
إتحاف يومك جئته من باب
فبعثت نحو الشمس شبه إهابها
وكسوت متن البحر بعض ثيابه

* * * *

فوجه اليه المعتمد بمكة فضة فيها خمسمائة دينار وكتب معها .

هبة أتنك من النضار ألوفها
فاغنم جزيل المال من وهابه
فلو أن بيت المال يحوى قفله
أضعافها لكسوته عن باب
وملأت منه يدك لا مستأثراً
فيه عليك لكي ترى أولائه
فالبهر يطلع جوده لك زاخراً
لما كسوت البحر بعض ثيابه

وكتب الى المتمد في يوم غيم وقد احتجب *
(الطويل)

تجه وجه الأفق واعتلت النفس
بأن لم تلح للعين أنت ولا الشمس
فان كان هذا منك عن توافق
وضمك أنتس فيهنبك العرس

* * * *

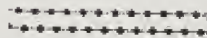
وركب المعتقد في بعض الايام قاصداً الجامع والوزير ابن عمار
يسيره فسمع اذان المؤذن فقال المعتقد * ،

هذا المؤذن قد بدا بأذانه
فقال ابن عمار : يرجو بذلك العفو من رحمانه
فقال المعتقد :

طوبى له من شاهد بحقيقة
فقال ابن عمار : ان كان عقدي ضميره كلسانه

حضر أبو بكر بن عمار مع المعتمد وأبي بكر الأشبيلي مجلس
 أنس، فلما تمكن السرور من النفوس غنى أبو بكر الأشبيلي صوتاً
 فطرب ابن عمار وقال ارتجالاً * :
 (البسيط)

ما ضر أن قبل اسحق وموصله
 ها أنت أنت وذى حصن وإسحاق
 أنت الرشيد ودع من قد سمعت به
 وإن تشابه أخلاق وأعراق
 لله درك داركها مشعشة
 واحقر بساقيك ما قامت لنا ساق



وأدخل بعض فتيان المعتمد عليه باكورة نرجس فكتب الى ابن
عمار يستدعيه *

(البسيط المجزوء)

قد زارنا النرجس الفكي وحان من يومنا العشي
ونحن في مجلس أنيق وقد ظمنا وشم ري
ولي نديم غدا سميني يا ليته ساعد السمي
فأجابه ابن عمار :

ليبك ليبك من مناد له الندى الرجب والندى
ها أنا بالباب عبد قن قبلته وجهك السني
شرفه والداه باسم شرفه أنت والنبي



وقال بمدح *

(الكامل)

لله درك مانع ناظري

بمدى علاك ولا جرى تمصيل

وجه بمعرفة الدلاس مقنع

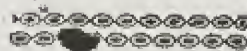
أبدأ رطاف بالعجاج كحيل

ويد بآمال العفافة

أبدأ وآجال العداة تميل

عمرت ربوع المجد منها إنما

تركيت بيوت المال وهي طلول



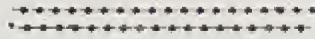
وبلغ ابن عمار أن المعتمد كتب من قرطبة الى بعض نسائه شعراً
يعتذر فيه من اللحاق بها ، وقال في آخره :
إن شاء ربي أو شاء ابن عمار ، فكتب اليه *
(البسيط)

مولاي عندي لما تهوى مساعدة
كما ينابيع خطف البارق الساري
إن شئت في البحر فأركب ظهر سابحة
أو شئت في البر فأركب ظهر طيار
حتى نحل وحفظ الله بكلاًنا
ساحات قصرك وأتركني الى داري
وقبل خلع نجاد السيف طامع الى
ذات الوشاح وخذ للحب بالثار
ضياءاً وانما يغني الحلبي بينكما
كما تجاوب أطيار بأسجار

* في ج ١٥٧ وفي ذفس ٢ اصل ابن عمار مع الخلاف في ذكر السبب
(٣) في ذ زحاح ١ بدل : ساحات .

وأُنشد المَعتمد يوماً أبا بكر بن عمار * :
(السكامل المجزوء)

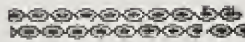
أما أنا فمَتيم قلق المَوَاد وأنت كيف
فقال ابن عمار :
حالي وحالك واحد وأنا القَتيل بغير سيف



وقال يستنجز حاجة *

(الطويل)

أهزك لا أنى عهدتك ناسياً
ولا أننى أبغى لديك التفاضل
ولكن رأيت السيف من بعد سلاه
الى الهز محتاجاً اذا كان ماضياً



وقال يستنجز حاجة * :

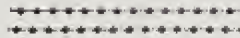
(المسرح)

يأنسيم الثناء هب فنبه

نبحج مولى ينام عن سعى عبده

هب واستعمل من علاه

حل إنجازه على روض وعده



وقال يتغزل بحسنا * :

(الطويل)

وما لحام الأيك تبكيك كلما
تبسم أنمر للصباح شذيب
تغني فما تنفك قئـرب نغبة
من الدمع يهديها اليك وجيب
نعم هجر ليلى ككاف
وعلم دمع العين كيف يصوب
فتاة عداها الحسن حتى كأنها
هي الحسن أو إلف عليه حبيب
فعين ككاف عين المهي ومقلد
كما ارتاع ضبي بالقلاة غريب
وردف ككاف أنـال القضيـب وضمه
وشاح كما غنى الحمام طروب
وأنـر (كمثل) الأفـحوان يشوبه
لمى حسنات الصبر عنه ذنوب

* أبو العباس الجراوي ، الحماسة المغربية

شتمت جيوب الصبر عنها لطفلة
..... عليها للجيوب

لفاتكة الأحاط وهي غلية
وناعمة الأعطاني وهي قضيب

كما الخجل المعتاد صفحة خدها ١٠
رداء طرازاه نسدي وهيب

ودبت من الأصداع فيه عقارب
لها في فؤاد المستهام ديب

أما ونسيم الروض زار نسيما
فأهدتها نحو المشوق جنوب

رداء طرازاه نسدي وهيب

وقال ، وضعن أوائل الآيات « نعم المحل » * :
(الكامل)

نفسى وإن عذبتها تهواك
وبهزهما طرب الى لقياك
عجباً لهذا الوصل أصبح بيننا
متعذراً ومنأى فيه منك
ما بال قلبي حين رامك لم يزل
ولقد ترومك مقلتي فتراك
الله أعلم ما أزور لحاجة
ذاك المحل لغير أن ألقاك
ليت الرقيب إذ التقينا لم يكن
لأنال رياء من لذيد لماك
متنزهاً فى روض خدك شارباً
كأس الفتور تديرها عيناك
حكمت الغصون جمال قدك فأنثت
والفضل للمحكي لا للحاكي
لا تغربى ياروضة محظورة
حتى أمد يدي الى جنبك

* ديوان ابن عمار ، ج ١ ص ١٧٣

وله في وصف الحجر * :

(المجتمعت)

الكأس | أجمد ماء والحجر ذائب نار
واعجب ماء ونار تلاقيا في قرار



* ديوان ابن عمار .

- ٢٩ -

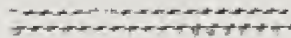
وقال أيضاً * :

قرأت كتابك مستشفعاً بوجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتا (٢) بقرأت الشفاعة في خده



ومما يعزى الى ابن عمار قوله * :

إني ابن عمار لا أخفى على أحد
إلا على جامل بالشمس والقمر
وبين طبعي وذهني كل سائفة
كالهم يبعد بين القوس والوتر
إن كان آخرني دهرى فلا حرج
فوائد الكتب . . . في الطرر



* ديوان ابن عمار : ج ١ ، ص ١٧٤

(١) في ح : على بشر ، بدل : على أحد

وقال في الحرف * :

(البسيط)

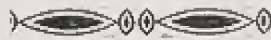
وبلت ترب وماء جودها أبداً
 لمن توغله في ثوب من البخل
 كأنها في جمال وامتناع ذرى
 خود من الروم في خدر من الأسل



وقال وصف القلم * :

(البسيط المجزوء)

نحن خيلان ما دعانا للوصل ود ولا اختيار
فصل ما كان ذا اتصال كأنتا الليل والنهار



- ٣٣ -

وقال يصف يوماً غامضاً * :

(الكامل)

يوم تكاثف غيمه فكأنه

دون السماء دخان عود أخضر

والطل مثل برادة من فضة

منشورة في تربة من عنبر

والشمس أحياناً تلوح كأنها

أمة تعرض نفسها للعشيرة



وقاء في فارسين تبارزا فسبق احدهما الآخر فطعنه من *

أبيات :

(الكامل)

كم من شجاع قدته نحت الردى

بدم من الأوداج كالارسان

روى ليضرب بطمئة

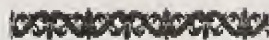
إن الرماح بداية الفرسان



وقال بهجو شخصاً اسمه مسلم *

(الوافر)

روائح	مسلم	قدرة	وأقصى دبره	دميره
وأدخل	فيه	إصبعه	وقاس بنانه	المشيرة
فلم يكن	وصول الذهب	(٢)	ن دون تجاوز الكره	
وهذا	عذر	مأبون	أبوه	سارق البقرة



وقال في معنى يكتى أبا الفضل * :

(السريع)

غنى أبو الفضل فقلنا له	يسبحان مخليك من الفضل
غداؤه حد على شربها	فأغرب فأنت اليوم في حل



وقال يتغزل * :

(الوافر)

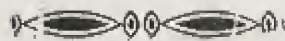
رثنا برنو بنرجسه ويمطو بسوسان ويدسم عن أفاح
تشير إلى قرطاء وتصفي خلاخله إلى نعم الوشاح



* في ص ٩٥ ، الشريف المرتضى ، شرح المصنوعة
(٢) في شرح المصنوعة : قرطاءها ، خلاخلها

وغال يصف جدولاً يصب في غدير * :
(الطويل)

ومطرده الاجزاء يصفـ لـ مته
صباً أعلنت سر الندى في ضميره
كأن جباباً ربح تحت جبابه
فسارع يرمي نفسه في غديره
جريح باطراف الحصى كلما جرى
عليها شكى أوجاهه بمخريره
شربنا على حافاته دور سكرة
وأكثر سكرآ منه عينا مديره
وقد لاح نجم الصبح باد كأنه
مطارق جـ شـ مؤذنب بأميره



وقال في غلام * :

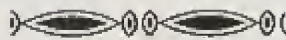
(المتقارب)

تعلقته جهورى النجى (٢) ر حلو اللى جهورى الفنايا
 من النفر البيض جر الزما (٢) ن رقاق الحواشي كرام السجايا
 ولا غرو ان تغرب للشارقا (٢) ت وتبقى محاسنها بالعشايا
 ولا وصل إلا هجان الحديد (٢) ت نساقطه من ظهور الطايا
 ه شئت المثلث للزعفرا (٢) ن وملت الى خضرة في النقايا



وقال يصف الدمشق وهو أحد القصور التي بناها بنو أمية في
قرطبة * :
(الخفيف)

كل قصر بعد الدمشق يذم
فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء غير
وُرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي
غير أشهب ومساك أحمر

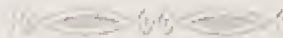
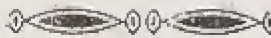


* ن ج ٢ ص ١٩٠ ، ق ص ١
(ن) في ق : عنه ، بدل : عندي

٢٥٦

وقال في رسالة * :
(الرجز المجزوء)

تمت في حلي الندي وتم عن نفس الصبا
عادت برعات الصبا (م) ب وجددت عهد الصبا



كتب إليه كاتبه ابو الحسن بن الجند *

(المتقارب)

تقدمت مستأذناً في الرحيل بمندرجي وهم دخيل
وما اخترت لكتبتها الحادثا (٢) تروح وتمدو
وإلا فمن ذا الذي يرتضي هجيراً على سحر أو أصل
فهل لوداع العلا فسحة أبل بأنذائها من غلبلي
وألبسها جنة من زما (٢) في وأصحبها عوذة في
بقيت ولا زلت في عزة عديم القرن عديم الشيل

فأجابه ابن عمار :

كتبت في الرحيل بمندرجي لهم دخيل
ولم تدرك أن فراق فراق الحيا (٢) في ليسهل عند فراق الخليل
وليس إلى قطع تلك السبي (٢) ل دون مرافقة من سبيل
فاني في المنع عين الجوا (٢) دواني في السمح عين البهيل

* * * *

* ديران ابن عمار

وكتب الى ذى الوزارتين أبى الحسن بن اليسع وقد آب من
إحدى سفرائه * :
(الكامل)

أعلا بقربك لو يطول مقام
وكفى بطيئك لو يزور مقام
آذنت بالعهد الجديد وإنما
قرب المدى دون اللقاء هيام
وكتبت توهن للنوى أميالها
هيات أميال النوى أعوام
لولا الصحيفة ماسلوت فانها
قد غام منها ما علمت مقام
وصلت إلى مع الأصيل وإنما
وصلت إلى حديقة ومدام
برد من الكافور نغم درجة
مسكاً وزر عليه منه ختام
من قطعة هي قطعة الديباج أو
هي قطعة البستان وهي كلام

وكأن أسطرها غصون أراكه
ومن القوافي فوقهن حمام
نادمتها والراح يلهب كأسها
عذب اللهي ساجي الجنون غلام
وتشاكلا حسناً فعايق قد ١٠
ألف وعارض عارضيه لام
إيه أبا الحسن اختيرت فقل لنا
ماذا تقول إذا استشق عصام
هل حاد بي من مذهب عن واجب
أو لم يقـدني للجـمـيل ذمام
أوهل تلجلج منطقي في حجة
لو كان تحت يد القضاء خصام
والسمى مشكور وفيات الغنى
مرجوة والي الضياء ظلام
ولقد جريت إلى التي قلدها ١٥
جرياً تباعد عنه فيه ملام
فوردت لم تلحق بغيرك رية
وصدرت لم يعلق بسميك ذام
وعلى مسفرك السلام تحية
ولقد تقل تحية وسلام

كتب ابن رزين الى ابن عمار يستدعيه الى مجلس أنس * :
(الطويل)

ضمان على الأيام أنت أبلغ المنى
إذا كنت في ودي مسراً ومعلنا
فلو تسأل الأيام من هو مفرد
بود ابن عمار لقلت لهم أنا
فإن حالت الأيام بيني وبينه
فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

فلما كان الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وقد تأخر في حمله على
عادته في التروى في النظم :
(الطويل)

هصرت لي الآمال طيبة الجنى
وسوغتني الاحوال مقبلة الدنيا
وألبيتني النعمى أغض من الندى
وأجل من وشي الربيع وأحسنا
وكم ليلة أحظيتني بحضورها
فبت سميلاً للسناء وللنسنا

أعلل نفسي بالمكارم والملا
وأذنى وكفى بالغناء والغنى
سأقرن بالتمويل ذكرك كلما
تعاورت الأسماء غيرك والكفى
لأوسعمني قولاً وطولاً كلاماً
يطوق أعناقاً ويحرس ألسناً
وشرفتني من قطعة الروض بالتي
تباثر فيها الطبع روضاً وسوسناً
تروق بجيد الملك عقداً مرصعاً
وتزهو على عطفه برداً مزينا
قدم هكذا يافارس الدست والوغى
لتظمن طوراً بالكلام وبالغنى



٧ - في مط : ورداً وسوسناً

٨ - في مط : وتزهي على عطفه وشياً مزيناً

وسر على مقربة من منازل ابن رزين في حدى سفرائه دون أن
يعرج عليها فعاتبه على ذلك ، فكتب اليه ابن عمار * :
(البسيط)

لفاؤك النجج لو أعقبته سفرى
ووجهك الصبح لو أقبلته نظرى

وقصرك البيت لو أنى قصدت به
حجى وبمناك منه موضع الحجر

لم تن عنك عنانى سلوة خطرت
على فؤادى ولا سمنى ولا بصرى

لكن عدتنى عنكم خجلة عرضت
كفانى المذر فيها بيت معتذر

(لو اختصرتم من الاحسان زدتكم
والعذب يهجر للإفراط في الخصر)



* ذفس ٢ فصل ابن عمار
٥ - البيت لاني العلاء الممرى

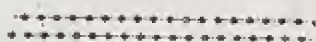
وأهدى إلى ابن ليون تقاحاً وأجاصاً وكتب معها * :
(الكامل)

خذعاً كما سغرت إليك خدود
أو أرجست في راحتك نهود
حذراً من التفاح ثراً بينهم
ولها باغصات الجنان عقود
وشفت بالاجاص قصداً إنه
شكل الجمال وحده المحدود
عذراً إليك قائماً هي أوجه
بيض تقابلها عيون سود
إيه فمندی من فراقك لوعة
يعزى إليها ثابت ويريد
انطرت من صوبي بعزتك التي
كانت هلالاً كان منه العيد
لله ايلتنا التي من أجلها
هذا الزمان بعثها بحسود

-٤٧-

واستهدى منه بعض اخوانه خيراً فبعث بها مع تباحثين ورمانتين
وكتب مع ذلك * :
(الوافر)

خذوها مثاماً استهديتهنوها عروساً لانزى الى اللثام
ودونكم بها ندى فتاة أضفت اليها خدى غلام



وكانت في ضيافة المعتصم صاحب المرية بالمنية الصمادية ، فلما
 أزمع الرحيل استسرحه بهذه الايات * :
 (الكامل المجزوء للذيل)

يا وائفاً وصل السما (١) ح الجود في فضل السماح
 ومطابقاً يأتي وجو (٢) ه الجد من طرق المراح
 أسرفت في بر الضيا (٣) ف فجد قليلا بالسراح

•••••

وقال مخملاً للمعتصم بن صالح على اسان شعراء مدحوه فابطاً
عنهم عطاؤه * :

يا أبها الملك الذي شاد العلا
معن أبوه وخاله المنصور

بفناء قصرك عصبة أديبه
لا زال وهو يجمعهم مغفور

زفوا اليك بنات افكارهم
واستبطأوك قبل لمن مهور



وقال حين أزعج الرحيل من حضرة المعتصم بن صالح في المرة ،
جواباً على ثلاثة الأبيات التي ودهه فيها المعتصم ، وقال ابن خالان في
قلائده إنه قالها ارتجالاً * :

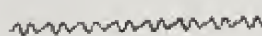
(الطويل)

أنظك أم كأس الرحيل المعق
وخصك أم روض الربيع المنق
وانظمك أم سلك من الدر ناصع
بروق على جيد العروس المطرق
بعتت بها - يا قطعة الروض قطعة
شمتت بها - عرف النسيم الخلق
ثلاثة أبيات ، وهبات إنما
بعتت بها الجوزاء في صفح مهرق
هي السحر أسرى في النفوس من الهوى
وكيف يكون السحر في الغظ منق
أعتصم بالله والحرب ترتجى
بأبطالها والخيال بالخيال تلتقي

* رويت في ق ٩٧ ، ثلاثة أبيات في مطبوعات أخرى أيضاً في ذ . فند ٣ فصل ابن تمار

٣ - في ذ : بعتت ، بدل : شمتت

دعني المطايا للرحيل وإني
لأفزع من ذكر النوى والتفرق
وإني وإن غربت عنك فأنما
جبينك شمسي والبرية مشرقي



٧ - فذ (القرويين) : لا فرق ، بدل : لأفزع
٨ - فذ : إذ ، بدل : وإن

وكتب اليه المعنصم صاحب الرية يوماً بنثر وشعر يقول فيه * :
(الطول)

وزهدني في الناس معرفتي بهم
وطول اختياري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلا تسرني
مبادية الإساءة في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملامة
من الدهر الا كان إحدى المصائب

فاجابه ابن عمار بقوله :

فديتك لا تزهد فم بقية
ستغرب فيها عند وقع التجارب
وأبق على الخلفاء إن لديهم
على البدء كرات بحسن العواقب
تكنتمني بالشر والنظم جاهداً
وسقت على القول من كل جانب

* رويت هذه القصيدة في : ذ ، ق ٢ ، فصل ابن عمار ، في مط ، و ١٣١ ، وفي
ق ، س ٥١ .

(٣) في ذ : عاتياً ، بدل : جاهداً .

وقد كان لي لو شئت رد وإنما
أجر لساني ذكر تلك المواهب

ولا بد من شكوى ولو بتنفس ٥

يسكن من حر الحشى والزائب

كتبت على رسمى وبعد نسيئة
قرأت جوابي من سطور المواكب

ثلاثة أبيات وهيات إنما
بعثت إلى حربي ثلاث كتائب

وكيف يلد العيش في عتب سيد
وما لذي يوم على عتب صاحب

وقبل جرت عن بعض كتي جنوة
ألحت نلى وجهي بغمز الخواجب

سلكت سبيلي الزيارة إثرها ١٠

فقابلت دفعا في صدور الركائب

وما كنت مرتاداً ولسكن انفحة

تعددت من ربحان تلك الضرائب

٤ - في ذ : بي ، بدل : لي .

٥ - في مط : يخفف ، بدل : يسكن ، في ذ (الرابط) : يبرد .

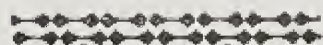
٨ - في ذ : من عتب ، بدل : في عتب ، وما لذني ، بدل : وما لذلي

ولو لمعت لي من سماءك برفة
ركبت إلى مغناك هوج الجنائب

فقبلت من يمينك أعذب مورد
وقضيت من لقياك أوكد واجب

وأبت خفيف الظاهر إلا من النوى
وخلت للمعاني ثقال الحقائق

سواك يعنى قول الوشاة من العدى ١٥
وغيرك يقضي بالظنون الكواذب



٣- في مط : مشر ع ، بدل : مورد .

١- في ذ (اللرويين) : الجنائب ، بدل : الحقائق .

ومر قرب مسكن ابي عيسى بن لبون دون أن يعرج عليه :
 فمكتب اليه ابو عيسى قصيدة غابيه فيها أولها :
 (الكامل)

ختمت بعصرك أعصر الأجواد
 وغنت لذكرك ألسن الورد

فاجابه ابن عمار * :
 (الكامل)

عطت من حلي المروج جادى
 وسلبت أعناق الرجال صمـأدى
 ونذبت عزمي عن مسير مهزنى
 سعدى اليه وحشي إسماعدى
 وسلبت من ثوب الروم والوفا
 ثوبى وحلت على نبي عبـأدى
 إن لم أحلك من فؤادى منزلا
 ينيك أنك مالـك لقيادى
 وأخص جانبك الرفيع بخدمة
 نسقيك صفو أحبة وأعاد

* رويت في ق ص ١١٠٤ بيتان منها في الخريدة و ١٦٧ ١١٣ بيتاً في ذ.

وأرد بذكرك من ثنائي روضة
غناء حالية بنور ودادي
حتى تبين أن غرسك قد دنا
بجني وزرعك قد أتى لحصاد
يا سيدي وأنا الذي ناديتك
لرضي فلي منك خير مناد
أعطاك فضل الابتداء ولو جرى
ظلم لأنكر أن تكون الباي
الله در عقيلة أبرزتم - ١٠
من خدر فكرك في حلي الانشاد
فرعاه عاطلة الدرائب والامى
غيداه حالية الطلى والهادي
خلصت إلى مع المساء فعارضت
صلة الحبيب أتى بلا ميعاد
خط من النظم البديع أفادني
حظ الكرام وخطه الامجاد
وشي سجت يدك الصناع برقه
فكسوتيه مذهبا بأباد

يفدى الصحيفة ناظري فيباضها

ببباضه وسوادها بسواد

أدى نحيبتك الركية طمها

كافور قرطاسه ومنك مداد

ولقد أمين لو أعانت قدرة

حسن الجزاء بها وهز النادى

لكن عجزت فما استقل بشأنى

ماء القرات ولا ترى به مداد

عذراً فنيك اسكن طالب حجة

فهم ألد روجه عذر باد

(م) بك فاخر العلم القصير فطاول الـ

مرح الطويل ككتابة بطراد

(م) فلك الفصاحة اوليفك قلبا اسـ

ستمطيت متني منسبز وجواد

ثلثت عليك حلى الوزارة مثملا

حمل الحسام عليك نبي مجاد

وتتوجت منك القيادة بالذى

ترك الرئاسة مهنة القواد

أنت الجلال الخلو رق طبيعة
وصفا مزاجاً كالسحاب الغادي

من مشر تتشرف الاذوى بهم
كتشرف الايام بالأعياد

جلوا فخلوا في الأنام مكانة
كمكانة الآلاف في الأععداد

أفديك من حر تعبد به
شكري وقل له العدى والنادى

فلقد ظفرت من اقتبالك بالنى
وبلغت أقصى غايي ومرادى

وأرحت من ندي بعهدك في ندى
ظل فبت على وزير وساد

وشددت منك يدي بعلق مظنة
وتفضتها بزغاف أنكاد

متعلمين على الوفاء بملة
ضحك الطبيب لها مع المواد

جنحوا الى ظلمي فسمت جراحهم
واقبت شدتهم بلين قياد

واستبطنوا حقداً وبن جواحي
 طبع يسلم سخائم الاحقاد
 ولبكم دعي في الاخاء اعزته
 جذب ان سفيان بطبع زياد
 حتى اذا رفض الاخاء رفضته
 واعتذرت عنه بطيب الميلاد
 لاذنب لي في طرد ساعة الطوى
 منه على السرح الويل الصادي
 أنا قد رضيتك فارضني وأعدني
 إن كنت محتاجاً الى الاعداد
 بني لمن إن دعوت لنصرة
 يوماً بساطي حجة وجلاد
 أذكيت دونك للعدى حديق القنا
 وخصمت عنك بالسن الانعام
 سلمني أصلك وصل فديتك بي أصل
 بك واعتمدني اتخذك عمادي
 إليه وفلت الى الوفاء محرراً
 إليه فما خطرت بمطف جماد
 ولأن بلغت الى رضاي فربما
 الغيتني لرضاك بالمرصاد

٣٥

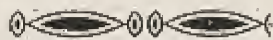
٤٠

وعلى تظاهرونا الضمان بقلة الـ (٢)
 أعداء ثم بكثرة الحساد
 وزعمت تظلم ساحة ما بيننا
 ظالماً وصبح العدل عندك باد
 ٤٥ كلا فما التسوية من شيمي ولا
 لي الجليل بمادة من عادى
 وهل اكنوت بهواك الالقية
 أحلى بمينى من لذيذ رقادى
 أخطرتها و... بميد الى التي
 يدعو المطي لها ويشدو الحادي
 لا بد من ذاك السفر وإن عدت
 عنه الالى إنهن عواد
 سفر إن استبعدته فسامتطي
 حرصى وأجعل من ثنائك زادى
 خذها نتيجة منك ولولادها
 برم بها قال لها متفاد
 حذر من الرد المخل فاعما
 أهدي الزيوف الى يدى تقاد

٤٦- في ذ (الرباط) : التوت ، بدل : اكنوت .

وقال يخاطب بني عبد العزيز وقد اجتاز بهم فأخرجوا اليه تضييهاً
وبراً مع قوم أغفال ولم يلقوه فكتب اليهم * :

تناهيتكم في برنا لوسمحتكم
بوجه صديق في اللقاء وسيم
وسلستكم راح البشاشة بيننا
فما ضر لوساعدتم بنديم
ضننكم بأعلاق الرجال على النوى
فلم تصلونا منهم بزعم
سألتمس العذر الجليل عن الملا
وأحتال للفضل احتيال كريم
وأثني على روض الطلافة بالحيا
وإن لم أفز من نشره بنسيم
ولكن سأستمدى الوفاء وأقتضي
سماحك بالأنس اقتضاء غريم



* رويت في ق : ١١٥ ، وفي ج ١١٦ ، و ١٦٨ مع خلاف في الترتيب ، وخمسة
آيات في ذ قس ٢ فصل ابن عمار .
٢ - في ق : بالجن ، بدل : في الحيا .

وكتب الى المعتمد في حل أوجبت إيجاشاً * :
(الطويل)

أصدق ظني أم أضيع الى صبحي
وأقضي عزبي أم أعوج مع الركب
إذا اتفقت مع رأي مشيت مع الهوى
وإن أتعبته ~~نكصت~~ على عتبي
وإني لتثني اليك مودة
يغيرها ما قد تعرض من ذنبي
ثما أغرب الأيام فيما قضت به
تربني بعدى عنك آتس من قربني
أخافك للحق الذي لك في دمي
وأرجوك للحب الذي في قلبي
وكم قد فرت بمنالك بي من ضريبة
ولا بد يوماً أن يقلل من غربي
وأعلم أن العفو منك سجية
فلم يبق إلا أن تخفف من عتبي

* - ح ١٥٩٠ رواه ابى الطاهر التميمي : سبعة أبيات في ذ ٢ -
١ - في ذ : فما أعجب ، بدل : ثما أغرب .

ولي حسنات لو أمت ببعضها
الى الدهر لم يرتع بنائية سرى
ولا بد ما بيني وبينك من
يطبقها ما بين شـ مرق الى غرب

فاجابه المعتمد بقوله :

(الطويل)

تقدم الى ما اعتدت عندي من الرحب
ورد تلفك العتي حجاباً عن العتب
متى تلفني تلق الذي قد بلوته
صفوحاً عن الجاني رؤوفاً على الصحب
سأوليك منى ما عهدت من الرضى
وأصغح عما كان إن كان من ذنب
فما أشمر الرحمن قلبي قدوة
ولا صار نسيان الازمة من شعبي
نكسفته أبغى به لك سلوة
وكيف يعانى الشعر مشترك اللب



وكتب الى المعتد وقد ارتهن أمير برشلونة رايغوند ابنه الرشيد
لمال توقف له عنده ، فغضب المعتد على ابن عمار ظاناً أن له في
ذلك سعيًا * :

(الطويل)

أأركب قصدي ام أعوج مع اركب
فقد صرت من أمري على مركب صعب
وأصبحت لا أدري أفي البعد راحتي
فأجعله حظي أم الخير في القرب
على أنني أدري بأنك مؤثر
على كل حال ما يرحزح من كربى
أبظلم في عيني كذا قر اللجى
وتنبو بكفى شفرة الصارم المضرب
حذانيك فيمن أنت شاهد جده
وليس له حاشا انتصاحك من حسب
وما جئت شيئاً فيه بنى لطالب
يضاف به رأى الى الضمير العجيب

* ج ص ١٦٦ روايه : اني الطاهر التميمي

سوى أنني أسلمتني للملحة
 فقلت بها حدى وكسرت من غربي
 أما أنه لولا عوارفك التي
 جرت في جرى الماء في الفصن الرطب
 لما سمعت نفسي ما أسوم من الأذى
 ولا قلت أن الذنب فيما جرى ذنبي
 سأستغنى الرحى لديك ضراعة
 وأسأل سقياً من تجاوزك العذب
 وإن تفحنتني من سمائك حرجف
 سأهتف بإرد النسيم على قلبي

١٠

فأجابه المتمد :

(الطويل)

لدى لك العتي تزاح عن العتب
 وسميك عندي لا يضاف الى ذنب
 وأعزز علينا أن تصيبك وحشة
 وأنسك ما تدر به فيك من الحب
 فذرع عنك سوء الظن بي وتمدده
 الى غيره فهو الممكن في القلب
 قريضك قد أبدى نوحش جانب
 فجاءت تأييداً وعلمك بي حسي

٥ نكأته أبنى به لك ملو
وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

وعندما ساءت الاحوال بين المعتد وابن عمار خاطب الأول الثاني
عائلاً ومتمثلاً بهذين البيتين * :

(الطول)

تغير لي فيمن تغير حارث
وكل خليل غـيرته الحوادث
أحارث إن شوركمت فيك فطالما
نعمنا وما بيني وبينك ثالث

فاجابه ابن عمار بقوله :

(الطول)

لك النذل الأعلى وما أنا حارث
ولا أنا ممن غيرته الحوادث
ولا شارككتك الشمس في وإنه
لينأى بحظي منك ثان وثالث
فدينك ما للبشر لم يسر برفه
ولا فحت تلك السجايا الدماء
أظن الذي بيني وبينك أذهبت
حلاوته غني الرجال الخبائث

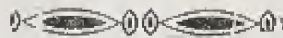
* - ذنب ٢ فصل ابن عمار ١ ح ١٦٣

٥
 تنكرت لا أنى لفضلك ناكراً
 لدى ولا أنى لعمدك ناكث
 ولكن ظنون ساعدتها نكاحاً
 كما ساعدت معنى المثنى الثالث
 أبعد مضت خمس وعشرون حجة
 تجافت بنا تلك الخطوب الكوارث
 مضت لم ترب مني أمور شوائب
 ولا نليت عنى مساع خبائث
 حلت يداً بي هكذا وتركنتى
 نهاباً وللأيام أبداً عواث
 وهل أنا إلا عبد طاعتك التي
 إذا مت عنها قام بعدى وارث
 أعد نظراً لا توهن الرأى إنه
 قديماً بما هاف وأدرك رائث
 ستذكرنى إن بان حبلى وأصبحت
 تشن بكفيك الجبال الرثاث
 وتطلبنى إن غاب الرأى حاضر
 وقد غاب منى للخواطر باعث
 أعوذ بعهد نطته بك أن ترى
 تحل عراه العاقبات النوافث

١٠

وكتب الى محمد بن عبد الرحمن بن طاهر اثناء ما وقع بينها رقعة
 عتاب وختمها بهذه الايات * :
 (الكامل)

عندي حديث لو سمعت قليلا
 ولدى نصح إن أردت قبولا
 يا راكباً ظهر النجى وراكضاً
 في حلبته أما اعتقدت نزولا
 لله درك لو طلبت حقيقة—تي
 لوجدتني بدل العـدو خليلاً
 خذ من عنان هواي يوماً للهي
 وانهج رأيك في اللجاج سبيلاً
 • وأفق من الأنف الذي أمتده
 عزا فقد يدع العزيز ذليلاً



وقال عندما نكت ابن عبد العزيز أمير بلنسية العهد الذي عاهد
عليه ابن عمار وهو النخعي عن أحد الحصون لقاء إطلاقه سراج
ابن طاهر * :

(الكامل)

خير بلنسية وكانت جنة
أن قد تدلت في سواء النار
غدرت وفيها بالهريد وقلمها
عشر الوفي سمى إلى الغدار
بأهلها من غائب أو حاضر
وقطينها من حاضر أو سار
جازوا بني عبد العزيز فانهم
جروا اليكم أسوأ الأقدار
نوروا بهم متأولين وقلدوا
ملكاً يقوم على العدو بشار
هذا محمد أو فهذا أحمد
وكلاهما أهل لتلك الدار

* - ح ١ ص ١٦٩ ، في ذ ، ق - ٢ فصل ابن عمار

١ - في ذ : بشر ، بدل : خير ، نزلت ، بدل : تدلت

جاء الوزير بها يكشف ذيلها
عن سوءة سوى وعار عار

نكت الجين واحد عن سفن التقى
وقفى على الاقبال بالادبار

آوى لينصر من نبا الثوى به
ودهاه خذلان من الانصار

١٠ بر الجين ولم يعرض نفسه

وتفوسكم لمصارع الفجار

ما كنتم الا كأمة صالح

فرماكم من طاهر بقدر

هذا وخصكم بأشأم طائر

ورى دياركم بأسوأ جار

لا بد من مسيح الجين فانما

لطمة غدراً غير ذات سوار

هيهات يطعم بالنجاة لطالب

ساع اذا وثت السكواكب سار

١٥ كيف التفت بالخدعة من يدي

رجل الحقيقة من بنى صمار

١٣ - في حاشية ذوق (الرباط) و ٨٠ : بالأم ، بدل بأشأم

رجل تطعمه الزمان فجاءه

طرفين في الاخلاء والامرار

سلس القياد الى الجبل فان يهيج

فدع العنان لهبة التيسار

طبن باغراض الامور محرب

فطمن لاسرار المكائد دار

ماض اذا برزت اليه مصمم ٢٠

هوت اذا التفت عليه مدار

مازال مذ عقدت يده ازاره

..... فادرك خمسة الاشهار

كشافي مظلمة وسائس أمة

تفاع أهل زمانه الضرار

عجباً لاشمط راضع ندى الوغى

منه وطرد في اننا المطار

شراب أكواس المدام وتارة

شراب أكواس الدم الموار

جرار اذبال القنا ظنوا به ٢٥

قد زاركم في الجحفل الجرار

وكأنكم بنجومه ورجومه

تهوى اليكم من سما غبار

وأنا النصيح فان قبلتم فاتركوا
آثارها خيراً من الأخبار
قوموا الى الدار الحبيثة فانهموا
تلك الدخائر من خبايا الدار
وتعوضوا من صفرة خبيثة
بأغر وضاح الجين مدار



وقال حين مقامه بمصر، يهجو المعتد بن عباد وزوجه اعتاد
الرميكية* :

(المنقارب)

ألا حي بالغرب حياً حلالاً
أناخوا جلالاً وحازوا جلالاً
وعرج يومين أم القرى
ونم فمسي انت تراها خيالاً

لتسأل عن ساكنيها الرما
د ولم تر النار فيها اشتعالاً

أيا فارس الخيل يازيدها
حميت الحمى وأبحت العيالاً

٥ اراك تورى بحب النفسا
وقدما عهدك تهوى الرجالا

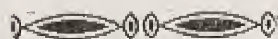
٢ تخيرتها من بنات الهجبا
ن رميكية ما تسارى عقلا

* ٧ - ابيات في ٤٨٨ : ٩ ابيات في ١٠ و ١١ بيتاً في ٢٠

٤ - في ع : فبا عامر ، بدل : ابا فارس

٦ - في ع : الحجين ، بدل : الهجان

- (٢) فجاءت بكل قصير العذا
 ر لثيم النجارين عمّا وخالا
 بصغر الوجوه كأن استها
 رماهم فجاءوا حيارى كسالا
 قصار الفؤود ولكنهم
 أقاموا عليها قروناً طوالا
 أتذكّر أيامنا في الصبا
 وأنت إذا لحت كنت الهللا
 (٢) أعانق منك الفضيّب الرطب
 ب وأرشف من فيك ماء زلالا
 (٢) وأقع منك بدون الحرا
 م فتقسم جهدك أن لا حاللا
 (٢) سأكشف عرضك شيئاً فشيئاً
 شيئاً وأعنتك سترك حالا فخالا



وكان له أيام اعتصامه بمريسيه خاتمان : أحدهما للمعتمد والآخر
لألفونس السادس ، فتندر بذلك الوزير ابن عبد العزيز وابن طاهر ،
فلما وصل خبر ذلك الى ابن عمار قال * :

(الكامل)

قل للوزير وليس رأى وزير
ان تتبعع التدبير بالتدبير
ان الوزارة مذ لبست رداءها
رفعت على التغير والتزوير
ان الوزارة لو سلكت سبيلها
وقف على التعزير والتوقيف
وأرى المكاهة جل مائتي به
رحماك في التمجيز والتصدير
بلغت دعايتك التي أهديتها
في خاتم التأمين والتأمين
وأظنها للطاهري فان تكن
فجيرة التقديس والتطهير

* في ح ١٦٢ ، ذ ٢٤ ، فصل ابن عمار ، ع ٢٦ ص ٩٧
١ - في ح : في التصدير والتطهير ، بدل : في التمجيز والتصدير
٢ - في ذ (القرويين) ق ٢ : فخلقه : بدل : فجدير :

ولعل يوماً أن يصير نفسه
في طيبة التطيب والتنزير
فرسا رهان أنما فتجاريها
لنقول في التقديم والتأخير
وإذا سلك سبيله حقيقة
كي تتبع التطهير بالتصغير
وترى بلنسية وأنت قدارها
سينالها التدمير من تدمير



ونزل ابن عمار في بعض حركاته بحسن شقورة فاقبضوا عن لفائه
استيحاشاً منه فكتب اليهم * :

(الطويل)

أإخواننا هل حال من دوننا أم
أحالك أم وحشة جرها الدهر
بخاتم بلقيانا وكان نزولنا
على جفوة منكم وإن عظم البر
وما هو إلا مقطوع كهوائكم
عصيب وخلق مثل منزاكم وعر
نفوا بي إذا عز اللقاء فما اعترى
إلى شيمتي غدر ولا بيدي سحر



وحين مقامه بسر قسطة وقد بلغه أن أهلها يعيبون عليه معاقرة الراح ،
فقال * :

نقمتم على الراح أدمن شربها وقلمت فتي لهو وليس فني جد
ومن ذا الذي قاد الجياد إلى الوغى سوى ومن أعطى الكثير ولم يكد
فديتكم لو تعلموا السر إزه فليتكم جهدي فابعدتكم جهدي



١ - في نسخة ١٠٤ ، ح ، حصل ابن عمار

- في ح : مجد ، بدل : جد

٢ - في ح : كثير ، بدل : الكثير

٣ - في ح : لم تعلموا ، بدل : لم تلهوا

وكان ابن عمار في مجلس المؤتمن بن هود ، فدخل غلام متدرع
 يستشير المؤتمن بن هود في الخروج لموضع بعثه اليه فطلب منه أن
 يخلع درعه ويسقيهم الخمر ، فأمر المؤتمن الغلام أن يطعمه ففعل ، وفي
 ذلك يقول ابن عمار * :

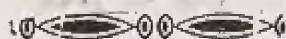
وهويته يسقي الدمام كأنه
 قر يدور بكوكب في مجلس
 متأرجح الحركات تندي ريحه
 كالغصن هزته الصبا بتنفس
 يسعى بكأس من أنامل سوسن
 ويدير أخرى من محاجر نرجس
 يأحامل السيف الطويل نجاده
 ومصرف الفرس القصير المحبس
 إياك بادرة الوغى من فارس
 خشن القناع على عذار أملس
 جهم وإن حصر اللثام فانما
 كشف الظلام عن النهار المشمس

* ق ٩٦ د ج ٢ ص ١٧٧ ذ ١ ق ١

٤ - في ن : يضع اللثام على العذار الأملس .

٥ - في ذ (رباط) : المرتدى : بدل : نجاده

يطنى ويلعب في دلال عذاره
كالنهر يمرح في الأجام المجرس
سلم وقد قصف العنا غصن النقا
وسطا بايث القاب فظي المسكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة
حوراء فأنه بكر المجلس



وال في وصف غلام * :

(الكامل)

وأعيد من ظباء الروم عاط

بسالمة من دممي فريد

نبيل الخلق جافي الخلق عبيد

هو المولى ونحن له عبيد

قما قلباً وسن عليه درعاً

فباطنه وظاهره حديد

بكيه وقد دنا ونأى رضاه

وقد يمي من الطرب الجميد

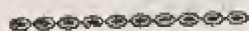
وان فتى تملكه بنقد

وأحرز رقه امتى سعيد



وسجن المؤمن يوماً غلاماً كان له في نفس ابن عمار موقع حسن ،
 فتخلف ابن عمار عن الركوب للقصر وكتب إليه * :
 (الطويل)

أنا المطبق المسجون لا من سجنه
 وأطبقت فأنظر لعبيدك أو دع
 حرام حرام أن ترائي عين من
 تراه فإن شئت ارتجاعي فأرجع
 ويا حسن حال الود إن سمحت يد
 ولقيت فيها بالشفيع الشفع



وقال في سجنه في شقورة مخاطباً الوزير أبا جعفر بن جرج حين
اجتاز بملك البقاع * :
(المستأرب)

كأنى أراك أبا جعفر تقول وتبسم نحوى مشيراً
سفرت ليرجع هذا معى وزيراً فلم أر الا أسيراً
وهل يملك المرء من أمره فتبلاً فينفذه أم
هو القدر الحتم يعمى الفتى وإن كان بالدهر طباً بصيراً



وكتب في مدة اعتقاله عند صاحب شقورة الى ابي الفضل بن
 حسداي يصف موضع اعتقاله :
 (الكامل الحذاء)

أدرك أخاك ولو بقافية
 كالطل يوقظ نائم الزهر
 فلغد تقاذفت الركاب به
 في غير مومة ولا بحر
 طمعت صحابته بلا سنة
 وتساقطوا سكرى بلا سحر
 بممارج أدت إلى جرد
 حتي من الأنواء والقطر
 عال كان الجن إذ مررت
 جعلته مرعاة إلى النسر
 وحش تناكرت الوجوه به
 حتي استربت بصفحة البدر
 قصر تهد بين خافقي
 نسرين من فلك ومن وكر

* - ق ص ١٠٤ ، ذ ص ٢ فصل ابن عمار . ديوان ابن عمار .

متعبر سال الوفا على
 عطفه من كبر ومن كبر
 ملكك غنان الریح راحته
 بخيادها من تحته تجرى
 ١٠ مأوى العزير وقد نصحت فان
 تهمل فقد ألبيت في العذر
 ووصلت خدمة قاطع سببي
 وأطمت أمر مضيع أمرى
 دع ذا وصلنا غير مؤتمر
 مستأثرا بالحمد والشكر
 واكتبت الينا بها ليد
 تمحو الذى كتب يد الدهر

١٠ - في ق : يهمل ، بدل تهمل

وكتب عندما كان سجيناً في شقوره الى المطرز :

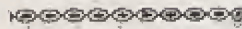
(الطويل)

تراءى بعيني إن أردت مبرئ

وسبب الى الحسنى ولو بقسيم

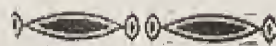
فأشعر عرف المسك دون تنشق

ولا اهتز عطف الغصن دون نسيم



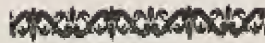
وكتب الى صاحب الميه في مدة اعتقاله في شقورة * :
(الرجز)

أصبحت في السوق ينادي علي
رأسي بأنواع من المال
فهل فتى يبتاعني ماجد
أخدمه مدة إمره الي
نالله لاجار علي نقده
من ضعفي بالتمن الغالي
أريج بها مولاي من صفقة
في سلمه من ترك الغال



وكتب الى المعتمد في مدة اعتقاله بشقورة * :

تقضى نحن الى فداء تفديك نفمي من شراء
 فاسبق بنفدك وهدم مسترخصاً لي بالفـلاء
 ثم امض في على اختيا (١) رك من فناء او بقاء
 والله ما أدري إذا قالوا غدا يوم اللقاء
 ما أقتل الحالين لي إن كان خوفي اوحياي

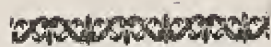


* - ذ فـ ٢ قبل ابن عمار ، ح : فصل ابن عمار .

٧١

وقال وهو في سجن شقورة ، وقد استدعى نورة يستنظف بها
فتمذرت عليه فاستدعى موسى فأتى بها * :
(المبحث)

بؤس - في شقورة عندي
أرني على كل بؤس
فقدت هروب فيها
فقلت أطلب موسى



وكتب الى الراضي بن المعتمد * :

(الكامل)

قالوا آتِ الراضي فقلت لعلها
 خلعت عليه من صفات أبيه
 فآل جرى فعسى المؤيد واهباً
 لي من رضاه ومن أمان أخيه
 قالوا نعم فوضعت خدي في الثرى
 شكراً له وتيمناً ببنيه
 يا أيها الراضي وإن لم يلقيني
 من صفحة الراضي بما أدريه
 هبك احتجبت لوجه عذر بين
 بذل الشفاعة أي عذر فيه
 سهل على يدك الكريمة أحرفاً
 فيمن أسسرت فتثني تقديده

* في ق ٩٦ ؛ في ذ ٢٨٢ فصل ابن عمار ، في ح ، فصل ابن عمار ، في ع ج ١١ ص ١٠٩ .

١ - في ذ (الزروين) مات ، بدل : صفات . وكذلك في ح .

٢ - في ذ (الزروين) : خفيف ، بدل : سهل .

وكتب من سجنه بأشبيلية إلى الرشيد بن المعتمد يطلب شفاعته
له لدى أبيه * :

(الكامل)

قل ليرق الغمام ظاهر بریدی
قاصداً بالسلام قصر الرشيد
فتقلب في جوه كفؤادی
وتماثر في صحنه كالفرید

وانتخب في صلاصل الزعد تحكي
ضعفتي في سلاسل وقیودی
فاذا ما اجتلاك او قال ماذا
قلت : انی رسول بعض المبيد

بعض من أبعدته عنك الليالي
فأجتنى طاعة المحب البعيد

(٢) فجزاك الاله من ملك حر

ر بقاء التمكن والتمهيد

من مطيع عهد الوفاء مطاع

وودود على النوى مودود

* ذوقه ٢٨٥ فصل ابن عمار ، ع ١١١ ح ١٦٧ .

- (٢) كنت أشدو عليك يادوحة الحج
د ويا روضة السندی والجود
إذ جناحي ند بظلك طلق
ولساني رطب على التغريد
وانا اليوم تحت ظل نقاب ١٠
اقوة محوة الجناح صيود
(٢) أتقيها بناظر خائق اللع
ظ مروع وخاطر مرؤود
غير أني سأصطفي لك جهدي
من ثناء طيب وذكر حميد
في قليل من القوافي كثير
وذلول من المعاني شرود
كلمات كأنها الدر نظاماً
طوقت منك أي طوق وجيد
١٥ أنت بدر النجوم تحت سني الشم
س أبيضكم على سماء السعود
(٢) أنت ريحانة العلي لبني عبـ
باد السادة الكرام الصيد
(٢) أنت إما اعترضتم درة التنا
ج فرند الحسام وسطى الفريد

- (٢) وإذا ما مدحتم نكتة الخط ..
 بية قصد الحديث بيت الفصيد
- (٣) وإذا ما ركبتم الخيل صدر الـ
 جيش عين اللواء قلب الحديد
- (٤) أنت فيهم إن يعمروا ليلة القدر
 ر وإذا يصبحون يوم العيد
 فهنئاً أبا الحسين خلال
 وصفات جلت عن التجديد
 وشفوف على الجمع بمن
 وسناء الى سنى محمود
 وهنيئاً من المؤبد حظ
 لامزيد عليه للمستزبد
 لك في نفسه العززة حب
 شاب فيه حلاوة التوحيد
 وعلى لحظة التزيه طلوع
 كطلوع البشير بالتأييد
- وإذا ما سمع بذكرك شاد
 قال أحسنت هزة المستعيد

٢٥

فعلام المرى وصبح رضاه

مع سنى وجهك الاغر السعيد

والى ابن في الشفييع اذا ما

لم ألد منك - عنده بالرشيد

بفتى نازح المكان مطل

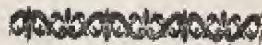
غائب الشخص ذى اعتناء تتيد

مشفق يستجيب لي من قريب ٣٠

وانا أستغيثه من بعيد

(٢) لو أطلت علي رحمة عيب

به انجلت شدتي وذاب حديدي



وكتب من سجنه في اشبيلية الى الامون بن المتمد يطلب شفاعته
لدى أبيه * :

(الكامل)

هلا سألت شفاعته الامون
أو قلت ما في نفسه يكفيني
ماضسر لو نبيهته بتحية
يسرى النسيم بها على دارن
وهزرت منه فقد يقلب سيفه
يوم الجلال الحين بعد الحين
مالي ابنه ناظراً لم يغف عن
خطيه من دنياه أو من دين
وأهز من عطف ثناه عطفه
حتى خشيت عليه فرط الدين
بيدي من الامون أوثق عصمة
لو أن أمرى في يد الامر
أمرى الى مولى اليه أمره
وكفاه من فوق ككفاه وودون

٥ - ذقيد ٢ فصل ابن عمار ١ ج ٢ ص ١١٠ ج فصل ابن عمار .

٧ - في ج : ملك ، بدل : مولى .

حيث استوى الحصان حقاً والتقى
عز الغني بذلة المسكين

مست طوى سر الهارب شخصه
لولا أسرة وجهه الميعون

١٠ جبل سما بذؤابته الى العلى
ورسا بهضبة على التمكن

متوقد الجنبات كال درحه
يخفى وخير صفحه بعيون

دانت لآيدي المجتدين قطفة
ودنا اليهم من ظلال غصون

ونأى لأبصار العصاة فاعما
يتوهمون نعيمه بظنون

بحر اذا ركب العفاة سكونه
وهب الغنى في عزة وسكون

١٥ واذا طوى للذنب لم يسمع به
الا الدعاء يعان بالتأمين

كم أسكب المذب القرات على فمي
برمي يدي بالأؤلؤ المكنون

* ١٤ - في ذ (الفرولين) : في أنمة ، بدل : في عزة .

واليوم قد أصبحت في شهراته
 إن لم تغثنى رحمة تنجيني
 بعدت سواحله علي وأدركت
 أمواجه فتلاعبت بسفيني
 لاشك في أني غريق عبابه
 إن لم يعد الفتح لي يمين
 يافتح جردها غاية فارس ٢٠
 بطل على حرب الولي أمين
 متقدم من جده بكتيبة
 مستظهر من لفظه بمكين
 وافر شجاعته الكريمة شدة
 بتواضع من عزة لاهون
 في سكتة من هبة وسكينة
 وبضجة من رحمة وحنين
 فأبوك من يغشي الملوك بساطه
 شوسا فما يرمونه بصيور
 مايعرض الجبار منه الحاجة ٢٥
 الا برفع يد ووضع جبين

٢٠ - في ح : درب على قصر ، بدل : بطل على حرب ، وكذلك في ع .

٢١ - في ث (الفرزدق) : من لفظه ، بدل : من لفظه .

يَا فَتَحْ إِنْ نَازَلَنِي مُسْتَعِزًّا
فَأَعِنَا بِنَفْسِكَ مِنْ رِضَاكَ مَبِينِ
وَلِيَخْلُصَنِي إِلَيْكَ مِنْ أَعْلَاقِهِ
عَلَى يَدَيْكَ عَلَيْكَ كَفِّ ظَنِينِ



٢٢ - فِي ح : شَجَاعَتِكَ ، بَدَل : شَفَاعَتِكَ .
٢٣ - فِي ذ (الْفَرَوِينِ) فِي شَكَّة ، بَدَل : فِي - كَتَفَ .

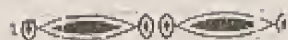
ومما قاله في أثناء انتقاله في إشبيلية * :

(الذسرح)

يقول قوم إن المؤيد قد
 حال في فديتي على نقده
 يا قوم ماذا الشراء ثانية
 ترى لمغنى يرب من عنده
 أوحشني والساح عاداته
 سماحه بالغلاء في عبده
 الحمد لله إن يكن حرجاً
 فليس في مثله سوى حمده
 وحيلة إن وصلت حضرة
 جعلتها رغبة إلى جنده
 لو ساءحوا في القرنند أرمقه
 من طرفه لم أخفه من غمده
 اسكن على الغرب عارض رجل
 مرتجياً بالشرار من رنده

* ح ١٧٢ : ذ ٢ ، فصل ابن عمار ، ع ج ٢ ص ١١٩ .

أخضر يفتّر من جوانبه
كالبحر في جزره وفي مده
يارب بشر برحمة وحياً
تؤنس من برقه ومن رعه



وكتب الى المعتد من سجنه يستعطفه ويقال إنها آخر قصيدة
أرسلها اليه * :
(الطويل)

سجايك إن عاقبت أندى وأسمح
وعذرك إن عاقبت أجلي وأوضح
وإن كان بين الخطتين مزية
فأنت الى الأدنى من الله أجنح
حنانيك في أخذي برأيك لا تطع
عدائي وإن أثبوا علي وافصحوا
وماذا عسى الأعداء ان يتريدوا
سوى أن ذنبي واضح متصحح
نعم لي ذنب غير أن لحاه
صفات يزل الذنب عنها فيسفع
وإن رجائي أن عندك غير ما
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح

* ق ص ١١٠ ، ذ ق ٢ فصل ابن عمار ١٩٠ بيتاً في مع ص ١٢٦ ، ١١٠ بيتاً في ن
ج ص ١٨٨ ، ١٩٠ بيتاً في ح ص ١٦٨ .
١ - في ذ : ولو ، بدل : وإن [في ذ (الرماط) اجح ، بدل : اجنح
٢ - في مع : عليك ، بدل : علي
٣ - في ذ : الراشون ، بدل : الاعداء .

ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة
 يكران في ليل الخطايا فيصبح
 وهبني وقد أعقبت أعمال مفسد
 أما تفسد الأعمال ثمة تصالح
 أقلني بما بيني وبينك من رضى
 له نحو روح الله باب مفتوح
 وعف على آثار جرم جنيته
 بهبة رحمتك منك تمحو وتمصح
 ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم
 فكل إناء بالذى فيه يرشح
 سيأتيك في أمرى حديث وقد أتى
 بزور نبي عبد العزيز موشح
 وما ذاك إلا ما علمت فأنى
 إذا تبث لا أنفك آسوا وأجرح
 تخيلتهم لإدر لله درهم
 أشاروا نجاهي بالشمات وصرخوا
 وقالوا سيجزيه فلان بفعله
 فقلت وقد يعمو فلان ويصفح

١٠

١٥

١١ - في ذ : برأى ، بدل : يزور .

١٥ - في ذ : بدليه ، بدل : بفعله .

ألا إن بطشاً للمؤيد يرتجى
 ولكن حلاً للمؤيد أرجى
 وبين ضلوعى من هواه نعمة
 ستنفع لو أن الحمام مجلج
 سلام عليه كيف دار به الهوى
 الى فيدنو أوعلى فينزع
 ويهنيه إن مت السلو فأتى
 أموت ولي شوق اليه مريح



فهرس القسم الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
تمهيد تاريخي	٩
أسرة ابن عمار	١٩
الصفات المميزة لشخصية ابن عمار	٢٠
ثقافة ابن عمار	٢٢
ابن عمار قبل أن يلتقي بالمعتضد عام ٤٤٥	٢٣
ابن عمار منذ لقائه بالمعتضد حتى مجيء المعتضد الى الحكم عام ٤٦١	٢٩
ابن عمار في إسبيلية	٣٠
الرائية	٣١
الدالية	٤٠
ابن عمار والامير محمد بن عباد (المعتضد)	٤٦
العودة الى إسبيلية	٥٣
ابن عمار في المنفى	٥٤
الميمية	٥٥
ابن عمار في اثناء حكم المعتضد بن عباد	٧٠
ابن عمار الباسي	٧١
ابن عمار حاكماً لشب	٨٣
ابن عمار وزيراً أولاً لملكة اشبيلية	٨٤
ابن عمار وقرطبة	٨٧
ابن عمار وغرناطة	٨٨
ابن عمار ومسيحيو الشمال	٩٧

الموضوع	الصفحة
نشاط ابن عمار الأدبي أيام وزارته المعتمد في إشبيلية .	٩٠٣
ابن عمار بين عامي ٤٧١ - ٤٧٧	٩٠٨
ابن عمار ومرسية	٩٠٨
اليائمان	٩١٣
الحملة الثانية على مرسية	٩٢٠
تتدد ابن عمار في مرسية	٩٢٤
ابن عمار وطلبه	٩٤٢
ابن عمار في سرقطة	٩٤٥
ابن عمار في سجن شقورة	٩٤٨
ابن عمار في سجن المعتمد	٩٥٤
التهنئة الموجهة لابن عمار	٩٥٤
نشاط ابن عمار الادبي في سجن إشبيلية	٩٥٦
مصرع ابن عمار	٩٦٥
أحكام المؤرخين المسلمين على ابن عمار	٩٦٦
القيمة الأدبية لشعر ابن عمار	٩٦٨

فهرس القسم الثانی

فهرس الموضوعات والاغراض

الصفحة	رقم القصيدة	موضوعها او غرضها
١٧٥	-	ديوان ابن عمار
١٧٩	-	المصادر الرئيسية لهذا الديوان
١٧٩	-	ديوان ابن عمار
١٨٠	-	ابن الأبار ، الحلة السبراء
١٨٠	-	ابن يسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة
١٨٣	-	ابن دحية الكلبي ، المطرب في أشعار أهل المغرب
١٨٤	-	ابن سيد الناس اليموري ، نصوص أندلسية
١٨٥	-	عبد الدين الاصماني ، خريدة القصر وجريدة أهل العصر
١٨٥	-	ابو العباس الجراوي ، الحفاسة المغربية
١٨٦	-	مصادر أخرى
١٨٨	-	المختصرات المستعملة في الحواشي
١٨٩	١	في مدح المعتضد بن عباد ملك اشبيلية
١٩٥	٢	» » » » ووصف انتصاره
		على البربر
٢٠٠	٣	في مدح المعتضد بن عباد
٢٠١	٤	» » » »
٢٠٣	٥	» وصف الليل
٢٠٤	٦	» مدح المعتضد
٢٠٥	٧	» » »

المصفحة	رقم القصيدة	موضوعها أو غرضها
٢٠٧	٨	في عتاب أبي الوليد بن زيدون
٢٠٩	٩	« الشكوى والاستعطاف والمدح ، كتبها الى محمد بن المعتضد من منقاه في سرقسطة
٢٢٠	١٠	في الغزل
٢٢٣	١١	« معاقبة أبي الوليد بن زيدون وطلب شفاعته له عند المعتضد
٢٢٥	١٢	في مدح المعتضد بن عباد
٢٢٧	١٣	» » » »
٢٢١	١٤	« وصف زورق
٢٢٩	١٥	» » « طبق فضة مذهب الباطن
٢٣٠	١٦	أرسلها مع هدية للمعتد في يوم عيد
٢٣٠	١٧	كتبها في يوم غائمه وقد احتجب
١٣٢	١٨	في وصف مؤذن
٢٣٣	١٩	» » « مجلس أنس ومدح المعتد
٢٣٤	٢٠	كتب المعتد الى ابن عمار يدعوه لمجلس أنس ، فأجابه ابن عمار
٢٣٥	٢١	في مدح المعتد بن عباد
٢٣٦	٢٢	كتبها الى المعتد يحضه على الالتحاق ببعض نسائه .
٢٣٧	٢٣	في الغزل
٢٣٨	٢٤	« استنجاز حاجة

الصفحة	رقم القصيدة	موضوعها أو غرضها
٢٣٩	٢٥	في استنجاز حاجة
٢٤٠	٢٦	» الغزل
٢٤٢	٢٧	» »
٢٤٣	٢٧	» وصف كأس من الخمر
٢٤٤	٢٩	» » غلام جميل
٢٤٥	٣٠	» الفخر
٢٤٦	٣١	» وصف الحرف
٢٤٧	٣٢	» » القلم
٢٤٨	٣٣	» » يوم غائم
٢٤٩	٣٤	» » فارسين تبارزا فطعن أحدهما
الآخر		
٢٥٠	٣٥	في هجاء شخص اسمه مسلم
٢٥١	٣٦	» » مفت » ابو الفضل
٢٥٢	٣٧	» الغزل
٢٥٣	٣٨	» وصف جدول يصب في غدير
٢٥٤	٣٩	» التنزل بفلام
٢٤٥	٤٠	» وصف قصر الدمشق بقرطبة
٢٥٦	٤١	» » رسالة .
٢٥٧	٤٢	كتب ابو الحسن بن الجند كاتب ابن عمار أبياتا اليه يستأذنه في الرحيل فأجابه ابن

الصفحة	رقم القصيدة	موضوعها أو غرضها
		عمار عليها
٢٦٨	٤٣	كتبها الى ابي الحسن بن اليعسم مجيباً عن رساله
٢٦٠	٤٤	كتب ابن رزين الى ابن عمار اياتاً فأجابه عليها
٢٦١	٤٥	كتبها لابن رزين يعتذر فيها عن عدم تعريجه عليه
٢٦٣	٤٦	كتبها الى ابن لبون مع تفاح وأجاص
٢٦٤	٤٧	» » أحد معارفه مع تفاحتين ورماتين
٢٦٥	٤٨	» » المعتصم بن صالح يستأذنه في الرحيل
٢٦٦	٤٩	كتبها الى المعتصم على لسان بعض الشعراء
٢٦٧	٥٠	قالها عند رحيله من المريه للمعتصم بن صالح
٢٦٩	٥١	عاب المعتصم بن صالح ابن عمار بأبيات فأجابه على ذلك
٢٧٢	٥٢	كتبها الى ابي عيسى بن لبون معتذراً ومجيباً على ابيات
٢٧٨	٥٣	في عتاب بني عبد العزيز حكام بلنسية
٢٨٩	٥٤	كتبها الى المعتد معتذراً فأجابه المعتد على ذلك بأبيات
٢٨١	٥٥	كتبها الى المعتد معتذراً بعد فشل الحملة

الصفحة	رقم القميدة	موضوعها أو غرضها
٢٨٤	٥٦	عائنه المعتمد بأبيات فأجابه ابن عمار على ذلك الأولى ضد مرسية ، فأجابه المعتمد بعد حملته
٢٨٤	٥٧	كتبها الى ابن طاهر يعائنه
٢٨٧	٥٨	كتبها محرضاً أهل بلنسية على الثورة ضد بني عبد العزيز
٢٩١	٥٩	في مجيء بني عباد
٢٩٣	٦٠	أرسلها الى ابن عبد العزيز مستنكراً ومهدداً
٢٩٥	٦١	في عتاب -أداة حصن شقوره
٢٩٦	٦٢	في الفخر ومجيء أهل سرقسطة
٢٩٧	٦٣	« التفرل بفلام
٢٩٩	٦٤	» » »
٣٠٠	٦٥	« الشناعة في غلام
٣٠١	٦٦	كتبها الى أحد معارفه في التشكي من الزمان
٣٠٢	٦٧	كتبها من سجنه في شقورة الى الفضل بن حسدان يشكو
٣٠٤	٦٨	كتبها من سجنه في شقورة الى المطرز
٣٠٥	٦٩	» » » » » صاحب المربة
٣٠٦	٧٠	» » » » » المعتمد
٣٠٧	٧١	شكوى
٣٠٨	٧٢	في استمطاف الراسي بن المتمد
٣٠٩	٧٣	في استمطاف الرشيد بن المعتمد وطلب شفاعته

لدى ابيه

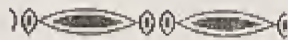
يستعطف المأمون بن المعتد ويطلب شفاعته ٧٤ ٣١٣

خواطر واستعطاف ، كتبها للمعتد من ٧٥ ٣١٧

سجنه

كتبها الى المعتد من سجنه يستعطفه وهي ٧٦ ٣١٩

آخر قصائده



فهرس المطالع والقوافي والبحور

الصفحة	رقم القصيدة	مطلعها	قافيتها	بحرها
١٨٩	١	ادر الزجاجة فان نسيم قد انبرى	السرى	كامل
١٩٥	٢	الا للدمعالي ماتعيد وما تبدى	تبدي	طويل
٢٠٠	٣	وفيت لربك فيمن غدر	كفر	متقارب
٢٠١	٤	للكأس ظامية الى يمننا كا	لقيا كا	كامل
٢٠٣	٥	اتاك الليل معتكراً	البدر	هزج
٢٠٤	٦	إنا عبدك او يقول مصدق	بجبل	طويل
٢٠٥	٧	أشواقك برق ام جفاك حبيب	رحيب	»
٢٠٧	٨	تأملت منك البدر في ليلة الخطب	الجدب	»
٢٠٩	٩	على والا ما بكاء الغمام	الغمام	»
٢٢٠	١٠	جاء الهوى - فاستشعروه - عاره	أوراه	كامل
٢٢٣	١١	كيف اعترزت على الدليل	الوصول	كامل مجزوء
٢٢٥	١٢	على البعن والطائر السائح	البارح	متقارب
٢٢٧	١٣	افي كل يوم تحفه وتفقد	يؤكد	طويل
٢٢٨	١٤	وجارية مثل الهلال القتها	رقيق	»
٢٢٩	١٥	وسماء من الغنى قد اسالت	الجين	خفيف
٢٣٠	١٦	لما رأيت الناس يحتشدون في	بابه	كامل
٢٣١	١٧	تجههم وجه الافق واعتلت النفس	الشمس	طويل
٢٣٢	١٨	هذا المؤذن قد بدأ بأذانه	رحمانه	كامل
٢٣٣	١٩	ما ضر ان قيل اسحاق ومرصه	واسحاق	بسيط

الصفحة	رقم القصيدة	مطلعها	قافيتها	بحرها
٢٣٤	٢٠	لبيك لبيك من مناد	الندى	بسيط
			مجزوء مقطوع	
٢٣٥	٢١	لله درك ما تعلق ناظري	تحصيل	كامل
٢٣٦	٢٢	مولاي عندي لما تهوى مساعدة	الساري	بسيط
٢٣٧	٢٣	أما أنا فتيتم	كيف	كامل مجزوء
٢٣٨	٢٤	أهزك لا أنى عهدك ناسياً	التفاضل	طويل
٢٣٩	٢٥	يا نسيم الشاء هب فنبه	عبده	منسرح
٢٤٠	٢٦	وما لحام الايك تبكيك كلاً	شذيب	طويل
٢٤٢	٢٧	نفسى وان عذبتها تهواك	لقيامك	كامل
٢٤٣	٢٨	السكاس جامد ماء	نار	مجتث
٢٤٤	٢٩	قرأت كتابك مستشفعاً	رده	مقارب
٢٤٥	٣٠	إني ابن عمار لا أخفى على أحد	والقمر	بسيط
٢٤٦	٣١	وبنت ترب وماء جودها أبداً	البخل	»
٢٤٧	٣٢	نحن خليلان ما دعانا	اختيار	بسيط
			مجزوء مقطوع	
٢٤٨	٣٣	يوم تكائف غيمه فكأنه	أخضر	كامل
٢٤٩	٣٤	كم من شجاع قدته تحت الردى	كالأرسان	»
٢٥٠	٣٥	روائح مسلم قدرة	دسره	وافر مجزوء
٢٥١	٣٦	غني ابو الفضل فقلنا له	الفضل	سريع
٢٥٢	٣٧	رشا يرنو بنرجسه ويعطو	أفاح	وافر
٢٥٣	٣٨	ومطررد الاجزاء يصقل متنه	ضمره	طويل

الصفحة	رقم القصيدة	مطلعها	قافيتها	بحرها
٢٥٤	٣٩	تملأته جهوري النجار	الثنائيا	مقارب
٢٥٥	٤٠	كل قصر به الدمشق يذم	المشم	خفيف
٢٥٦	٤١	تهتز في حلى الندى	الصبا	رجز مجزوء
٢٥٧	٤٢	كتبت . . . بالرحيل	دخيل	مقارب
٢٥٨	٤٣	أهلا بقربك لو يطول مقام	منام	كامل
٢٦٠	٤٤	ضمان على الأيام أن أبلغ المنى	معلنك	طويل
٢٦٢	٤٥	لقاؤك النجج لو أعقبته سفرى	نظرى	بسيط
٢٦٣	٤٦	خذها كما سمرت اليك حدود	نهود	كامل
٢٦٤	٤٧	خذوها مثلما استهدىتموها	الثام	وافر
٢٦٥	٤٨	يا واثقا وصل السماح	السماح	كامل
				مجزوء ومذيل
٢٦٦	٤٩	يا أيها الملك الذى شاد العلا	المنصور	كامل
٢٦٧	٥٠	ألفظك ام كأس الرحيق المعتق	المنق	طويل
٢٦٩	٥١	فديتك لا ترهد فثم بقية	التجارب	»
٢٧٢	٥٢	عطلت من حلى السروج جياى	صعادي	كامل
٢٧٨	٥٣	تداعيتهم في برنا لو سمحتهم	وسيم	طويل
٢٧٨	٥٤	أصدق ظني أم أصيخ الى صحي	الركب	»
٢٧٩	٥٥	أأركب قصدى أم أعرج مع الركب	صعب	»
٢٨١	٥٦	لك المثل الأعلى وما أنا حارث	الحوادث	»
٢٨٠	٥٧	عندى حديث إن سمعت قليلا	قبولا	كامل
٢٨٧	٥٨	خير بلنسية وكانت جنة	النار	»

الصفحة	رقم القصيدة	مطلعها	قافيتها	بحرها
٢٩١	٥٩	ألا حي بالغرب حياً حلالاً	جالاً	مستقارب
٢٩٣	٦٠	قل للوزير وليس رأى وزير	بالتندير	كامل
٢٩٥	٦١	أ إخواتناهل حال من دوننا أمر	الدهر	طويل
٢٩٦	٦٢	نقمتم على الراح أدمن شربها	جد	»
٢٩٧	٦٣	وهويته يسقي المدام كأنه	مجلس	كامل
٢٩٩	٦٤	وأغيد من طلباء الروم غاط	فريد	»
٣٠٠	٦٥	انا المطبق المسجون لأم ن سجنه	دع	طويل
٣٠١	٦٦	كأنى أراك أبا جعفر	مشيراً	مستقارب
٣٠٢	٦٧	أدرك أخاك ولو ثقافية	الزهر	كامل حذاء
٣٠٤	٦٨	ترامى بعينى إن أردت مبرتى	بقسيم	طويل
٣٠٥	٦٩	أصبحت فى السوق ينادى على	المال	رجز
٣٠٦	٧٠	نفسى تحن الى فداء	شراء	رجز مجزوء
٣٠٧	٧١	بؤسى شقورة عيذى	بؤسى	مجت
٣٠٧	٧٢	قالوا أنى الراضى فقلت لعلها	أبيه	كامل
٣٠٩	٧٣	قل لبرق النعام ظاهر بريدى	الرشد	خفيف
٣١٣	٧٤	هلا سألت شفاعة المأمون	يكفيني	كامل
٣١٧	٧٥	يقول قوم إن المؤيد قد	نقده	منسرح
٣١٩	٧٦	سجايك إن عافيت اندى	وأوضح	طويل



أهم مصادر البحث

- ابن الأبار ، الحلة السيرة . مخطوط في المكتبة الوطنية في مدريد (نسخة مصورة منه في مكتبة كلية الآداب والعلوم ببغداد)
التكملة لكتاب الصلة القاهرة
- ابن بسام (ابو علي الحسن) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الاول ، طبع في جزين في القاهرة ١٩٣٩ و ١٩٤٢ .
القسم الثاني . نخسه مصورة في
مكتبة كلية الآداب والعلوم ببغداد
مخطوط الرباط رقم ١٣٤٢
مخطوط القرويين (اجزاء متفرقة)
مخطوط مكتبة الآثار ببغداد
- ابن خاقان (الفتح) ، فلائد العقيان ، ط بولاق ١٢٨٣ .
مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل
الاندلس ط . الاستانة ١٣٢
- ابن الخطيب (لسان الدين) ، أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال
من ملوك الاسلام ط الرباط من قبل لبني
بروفنسـال .
- السحر والشعر ، مخطوط الاسكوريال رقم ٤٢٠
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ط القاهرة ١٣١٠

- ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بولاق

١٢٨٢

- ابن دحية الكلبي ، المطرب في أشعار أهل المغرب ، مخطوط

المتحف البريطاني رقم ١٦٣١ .

- ابن زيدون (أبو الوليد أحمد بن عبد الله) ، ديوان ، ط القاهرة ١٩٣٢

من قبل كامل الكيلاني .

- ابن ظافر ، بدائع البداء ، بولاق ١٢٧٨

- ابن سعيد (عبد الملك) ، المغرب في أخبار أهل المغرب ، القاهرة

١٩٥٢ من قبل شوقي ضيف

- ابن سيد الناس اليعمرى ، نصوص أندلسية ، مخطوط الاسكوريال رقم

٤٨٨

- ابن عذارى البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ٣ ط

باريس ١٩٣٠ من قبل ليفي بروفنسال

- ابن عمار (أبو بكر محمد) ، ديوان ، مخطوط القرويين في فاس رقم ١

- ابن ليون التجيبي ، نفح السحر في اختصار روح الشعر ،

مخطوط الرباط ٣٣ ١

- أبو القداء ، تقويم البلدان ، ط باريس ١٨٤٠ من قبل

رينو ودي سلان

- الأندلس (مجلة) ، مدريد ١٩٣٥ ، ج ٢

- الحميدى ، جذوة المقتبس ، القاهرة ١٩٥٢ من قبل محمد بن تاويت
- الجراوى (ابو العباس) ، الحماسة المغربية ، مخطوط الاستاذ (مصور)
- شوقى ضيف (انظر ابن سعيد)
- صلاح خالص ، المعتمد بن عباد وشعراؤه (تحت الطبع)
- اشبيلية فى القرن الخامس (تحت الطبع)
- عبد الله بن زبرى ، مذكرات ، الاندلس ، ج ٣ ١٩٣٥
- عماد الدين الاصبهانى ، خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، ج ١١ مخطوط باريس رقم ٣٣٣
- عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، القاهرة ١٩٤٩ من قبل محمد سعيد العريان
- عبد السلام الطود ، بنو عباد فى إشبيلية ، طبعه ١٩٤٩
- كامل الكيلانى ، (انظر ابن زيدون)
- ليني بروفنسال ، (انظر ابن عذارى وابن الخطيب)
- محمد بن تاويت ، (انظر الحميدى)
- محمد سعيد العريان ، (انظر عبد الواحد المراكشى)
- محى الدين عبد الحميد ، (انظر المقرئ)
- المعتمد بن عباد ، ديوان المعتمد بن عباد ، القاهرة
- المقرئ (احمد بن محمد) ، تفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، القاهرة ١٩٤٩ من قبل محى الدين عبد الحميد .

أهم المصادر الأجنبية

- Dozy . R - Hisroire des musulmans d'Espagne . Nouvelle edition ,
revue et mise au Jour par Levi - Provençal
Scriptorum arabum Loci de Abbadides , Leyde 1846 -
1853 , 3vol .
- Garcia - Gomez , Une eclipse de la poesia en Sevilla a la epoua
Almoravides , Madrid , 1945
Poemas Araibgoandaluces. Collection Austral 1945 .
- Gonzalez Palencia A ; - Historia de literatura Arabigo - espanola ,
Collection Labor , 1945 .
- Levi , - Provençal , - Islam d'occident, ed . maisoneuve Paris , 1948 .

(انظر ابن الخطيب ، ابن عذارى)

- Menendez Pidal - Espana del cid , Madrid 1947 2 vol ,
- Nykle (A . R) - Hispano - arabic poetry and its relations with old
provençal troubadours , ed . Paltmor 1946
- Peres (Henri) , La poe'sie andalouse en arabe classique au xl
eme siecle , Paris 1947 .